



مركز الكتب والوثائق القومية

الإدارة المركزية للمراكز العلمية

مركز تاريخ مصر المعاصر

سلسلة

أوائل الطبوعات المصرية

كتاب

في الزوايا خبايا

أو

كشف أسرار اليهود

٢



تعريب

نجيب الحاج

تأليف

جورج كورنيليان



هذا الكتاب

اقتربت الذكرى المئوية الأولى لصدور وعد بلفور المشؤوم، ومن هنا يأتي أحد أسباب إعادة طباعة هذا الكتاب بعد مرور ١٢١ سنة على طباعته، في وقت لا يزال الفلسطينيون والعرب في حاجة للمزيد من الدراسات المتعمقة لتاريخ الصهاينة، بدلاً من إعادة استهلاك دراسات أنتجت من قبل. ولانبالغ أن قلنا بأن هذا الكتاب هو الأول، في بابهِ ونوعه، الذي أخرجته المطبعة المصرية للمكتبة المصرية والعربية في سنة ١٨٩٣م، في وقت لم يكن المشروع الصهيوني قد تبلور تمامًا تجاه فلسطين. ومع هذا كان تعريب الكتاب يعكس هاجسًا مبكرًا لدى قطاع من المصريين آنذاك، وعيًا بخطورة الصهاينة/اليهود. ومن هنا لا يبدو غريبًا أن تصدر طبعتان من الكتاب في عام واحد، ثم تتوقف طباعته بعدها، ربما بسبب ما تضمنته، خاصة وقد كان من المستحيل أن يقبل يهود/صهاينة مصر - وأعدائهم - بما ورد فيه. أرجو أن يكون العدد الثاني من سلسلة «أوائل المطبوعات المصرية» من الكتب التي تستحق أن تقرأ في تلك اللحظة المهمة - بل العصبية - من لحظات التاريخ الفلسطيني والعربي.

كتاب
في الزوايا خبايا
أو
كشف أسرار اليهود



مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر



كتاب
في الزوايا خبايا
أو
كشف أسرار اليهود

تأليف جورج كورنيليان
تعريب نجيب الحاج

الطبعة الثالثة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبدالناصر حسن

كورنيليان، جورج.

كتاب في الزوايا خبايا، أو، كشف أسرار اليهود /
تأليف جورج كورنيليان؛ تعريب نجيب الحاج. ط ٣ ..
القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية
للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر، ٢٠١٤.
١٨٧ ص ؛ ٢٤ سم. - (سلسلة أوائل المطبوعات

المصرية)

تدمك 0 - 1081 - 18 - 977 - 978

١ - اليهود - تاريخ

أ - الحاج، نجيب (مترجم)

ب - العنوان

ج - السلسلة

٩٠٩، ٠٤

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى
طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى
من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٢٩٣ / ٢٠١٤

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1081- 0



دار الكتب والأوراق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر



العدد الثاني

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الناصر حسن

رئيس التحرير

أ.د. محمد صبرى الدالى

مدير التحرير

أ. مسئولة عطية علي

سكرتارية التحرير

صالح محمد عمر

سامية محمود سيد

الإشراف الفنى

محمد على الشريف

تصميم الغلاف

محمد عماد

المسئول التنفيذي

سامي عبد الحميد

تقديم

اقتربت الذكرى المئوية الأولى لصدور وعد بلفور المشؤم، ومن هنا يأتي أحد أسباب إعادة طباعة هذا الكتاب بعد مرور ١٢١ سنة على طباعته، في وقت لا يزال الفلسطينيون والعرب في حاجة للمزيد من الدراسات المتعمقة لتاريخ الصهاينة، بدلاً من إعادة استهلاك دراسات أنتجت من قبل. ولا نبالغ إن قلنا بأن هذا الكتاب هو الأول، في بابهِ ونوعه، الذي أخرجه المطبعة المصرية للمكتبة المصرية والعربية^١ في سنة ١٨٩٣م، في وقت لم يكن المشروع الصهيوني قد تبلور تماماً تجاه فلسطين. ومع هذا كان تعريب الكتاب يعكس هاجساً مبكراً لدى قطاع من المصريين آنذاك، وعياً بخطورة الصهاينة/اليهود. ومن هنا لا يبدو غريباً أن تصدر طبعتان من الكتاب في عام واحد، ثم تتوقف طباعته بعدها، ربما بسبب ما تضمنه، خاصة وقد كان من المستحيل أن يقبل يهود/صهاينة مصر - وأعدائهم - بما ورد فيه.

العنوان الرئيسي الذي اختاره المُعَرِّب للكتاب "في الزوايا خبايا" يبدو عنواناً خادعاً للوهلة الأولى، لأنه قد يشير إلى أن الكتاب يتناول خبايا زوايا الصوفية، والحقيقة أنه يتناول خبايا أسرار اليهود وخطورتهم في فرنسا ومصر بالتحديد، وفي أوروبا بوجه عام، حتى أواخر القرن التاسع عشر. ومن هنا فالكتاب مهم لفهم بعض الأسباب الحقيقية لرغبة المجتمعات الأوروبية في التخلص من اليهود، كما أنه مهم لتوضيح بعض مقدمات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومستوطناتهم الأولى فيها. من ناحية أخرى يشير غلاف الكتاب إلى أن مؤلفه "جورج كورنيليان" وأن "نجيب الحاج" قام بتعريبه من الفرنسية. ومع ذلك نستطيع القول بوجود مؤلفين للنسخة العربية المُعرَّبة للكتاب، لأنه انقسم لقسمين: قسم ألفه "كورنيليان" وقام "الحاج" بتعريبه (ص ٦-٦٦)، وقسم ألفه الحاج (٦٧-١٥٠).

١- هذا مع العلم أن المطبعة المصرية أخرجت القليل من الكتب في القرن التاسع عشر على شاكلة «الدرة الحقيقية البهية» أو «خروج الإسرائيليين من مصر» لهزري بروكش، وترجمة نخلة صالح، ويقع في ٢٢ صفحة.

ومع أن الكتاب أورد الكثير من الحقائق التي قد تُنسى، وأشار لكتابات أوربية مهمة عن اليهود وتاريخهم المخفي، فإنه ليس بحثاً موثقاً بالمعنى الأكاديمي المتعارف عليه، بقدر ما أنه حصيلة قراءات مستفيضة وثقافة عميقة يساندها موقف وطني (فرنسي ومصري) قوي. أما لغة الكتاب فأدبية في الأساس، ومن الواضح أن المغرب/ المترجم تصرف كثيراً في التعريب/ الترجمة، وإن أبقى الأفكار والمعاني كما هي. ورغم ما في التعريب من أخطاء مطبعية ولغوية^٢ فإنها تعكس حقائق حق على المؤرخين متابعتها خدمة لتاريخ - بل وحاضر ومستقبل - فلسطين والأمة العربية، خاصة وأنها نحتاج لمعرفة المزيد عن مدى فهم المصريين والعرب آنذاك لحقيقة أطماع الصهاينة، وفهم المزيد عن أسباب طرد اليهود من الدول الأوربية.

ومع أن المؤلف والمغرب تجنباً التمييز بين اليهودية والصهيونية، وأن المغرب نافق "حكومة مصر" في أكثر من موضع، حتى استبعد ترجمة أحد فصول الكتاب لأنه تناول يهود مصر وأعمالهم فيها، وحقيقة علاقتهم مع الفرنسيين والانجليز والحكومة، كما تعرض في سطحية أحياناً لموقف الدولة العثمانية من الهجرة اليهودية لفلسطين، متبعاً تلك النغمة القديمة/الجديدة غير الموضوعية.. رغم ذلك فإن الكتاب مهم أيضاً إذا لاحظنا سرعة تعريبه من اللغة الفرنسية للتحذير من اليهود، بعد حوالي اثنتا عشرة سنة من صدوره مطبوعاً في فرنسا، وهو ما يعكس أيضاً استمرار اهتمام المصريين بالترجمة، لا سيما بأمور وقضايا نوعية مهمة للأمتين العربية والإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية واحتلال الصهاينة لفلسطين.

لا نعرف عن المؤلف "جورج كورنيليان" سوى أنه كان "من مشاهير كتبة الفرنسيين" وإن يتضح أيضاً أنه من الوطنيين الذين بحثوا عن أهم أسباب ضعف

٢. بالإضافة إلى الأخطاء اللغوية والمطبعة، يلاحظ القارئ أن المغرب أساء لترجمة بعض المصطلحات، مثل مصطلح «المساجد اليهودية». هذا ناهيك عن أن مصطلح «الأمة اليهودية» الذي أورده يحتاج للتدقيق.

الفرنسيس“ وإن يتضح أيضاً أنه من الوطنيين الذين بحثوا عن أهم أسباب ضعف فرنسا وهزيمتها في حرب السبعين، فوجد اليهود هم السبب الرئيسي. أما المغرب “نجيب الحاج” فلا نعرف عنه سوى أنه كان “مكاتباً لجريدة اللفانت هيرالد”. ومع هذا فما فعله “الحاج” كان جديداً ومهماً، بل وخطيراً عليه، حتى كتب: “فجازفت بنفسي حباً بأهل وطني، وعَرَضْتُهَا لسهام الملام، غيرة على أبناء جلدتي”. وعندنا أن منبع الخطورة كان يأتي مما قد يتعرض له من أذى اليهود والمتعاطفين معهم، لاسيما وقد كان نفوذهم قوياً في مصر، في ظل الاحتلال البريطاني.

في مقدمته تساءل المغرب: “كيف اتصل اليهود إلى اغتيال الأمم التي دخلوا بينها” رغم “خسة أصلهم وجبانة قلوبهم؟!“. جاءت الإجابة سريعة. لقد فعلوا ذلك “بخداعهم الموصوف ومكرهم المعروف“. والواضح أن السؤال/القضية امتلکا عقل المغرب فكتب: “وإذ كنت أرى أن الشر يحل أينما حل اليهود.. فما دخلوا مملكة إلا وانتزفوا دماءها المادية والمعنوية، ولا ولجوا بلداً إلا وسلبوا أموالها.. يحملني ذلك على البحث، ويحولني إلى النظر فيما هو الذي يخولهم تلك القوة.. ولاسيما إذ رأيتهم في البلاد المصرية والآستانة وتونس وسوريا أرباب المال والعقار وذوي النفوذ المطلق في الحكومات.. فإني عجبت لذلك وزدت فحصاً وتنقياً ودرساً وتدقيقاً، لعلني أطلع على العلة فأنبه مواطني إليها وأقف على السر.. حتى عثرت على كتاب باللغة الفرنسية لرجل من مشاهير كتبة الفرنسيس.. فحوّل مني النظر، فقرأته، ثم عاودته، ثم أعدت الكرة عليه، فزال الغشاء عن عيني والعناء عن قلبي، لأنني علمت كيفية دخولهم بين الأمم، والوسائل التي يستخدمونها لجمع الأموال ونهب الخزائن واحتكار الأرباح، حتى يتوصلوا من ذلك إلى القوة والنفوذ والتصرف بالأرواح والأشباح، وما هي أعمال كل واحد منهم، وما هي القوات التي يعتمدون عليها، والجمعيات التي يستخرونها لتنفيذ مآربهم.. وأخيراً

فما هو مركزهم وقوتهم الماديتين المعنويتين الآن.. وما هو مطمح أنظارهم ومبدأ تلمودهم. فرأيته كتاباً أذاع الأسرار وكشف المخبا، وهو يعود بالفائدة على أهل الوطن، ويكون عبرة لرجال الشرق“. هكذا أوضح المعرب في مقدمته موقفه من اليهود، وهو ما يتضح أيضاً من اختياره الكتاب لتعريبه، واختياره عنوانه باللغة العربية، ومصطلحاته التي استخدمها. ومن هنا كتب ”وقد سميته (في الزوايا خبايا) لأنه كشف المخبا وأذاع المكنون. فلعله يكون عبرة لأولي الألباب، فيتنبهوا إلى ما أمامهم، ويتيقظوا إلى الخطر الذي يتهددهم إن بقوا على تغافلهم عن خداع أمة اليهود وتهافتهم على الوقوع في شراكها وحبالها“.

أما مقدمة ”كورنيليان“ فأوضحت وجود العديد من الكتابات الأوربية المضادة لليهود. من ذلك كتاب ”روسيا اليهودية“ لـ ”كاليكست دي دولسكي“ وفيه فضح ”تعاليم اليهود الشرعية، ومقصدهم السري، وسلوكهم القبيح“. وكتاب ”فرنسا اليهودية“ لدريمون، وفيه كشف الستار عما ارتكبه اليهود من الذنوب واستعملوه من طرق الاختلاس وأساليب المكر والخداع في فرنسا. وكتاب ”م.ج. مينير أراناً“ عن اليهود، وفيه كشفهم باعتبارهم لصوص يسعون في الأرض فساداً. سار ”كورنيليان“ على المنوال نفسه ”رأيت الواجب علي أن أقتدي بهم، فأجهدت النفس لاطلاع قرائي على حالتهم وأعمالهم عموماً، وفي الشرق خصوصاً، وطريقهم التي يسلكونها، مع ما يقترفونه من الذنوب تحت اسم فرنسا.. وأفتخر بمشروعي هذا لأني فعلت الواجب علي أمام وطني“. كما أوضح خطورة أوضاع فرنسا التي عانت ”وقوف الحال وارتباك الأحوال“ في العشر سنوات التي تلت حرب السبعين ”وإن بقي الحال على هذا المنوال عظم البلاء عليها وتفاقم الداء“. ورغم إشادته بقوة الشعب الفرنسي وعمدته وطول باعه في التجارة والصناعة و”المشروعات السياسية“، فإنه أوضح أن الشعب ”أصبح اليوم بداخل

أعضاء جسمه الارتباك، ويزداد هذا كلما تقلبت الأيام دون أن يعلم لذلك سبباً، وأشبه مريضاً يحمل جسمه جراثيم المرض.. ويستغيث ولا يعلم أصل الداء.. وسيصبح إذ يئس من الشفاء ينتظر حلول أجله“. وعنده أن اليهود هم السبب، رغم سوء إدارة الحكومة لشئون البلاد. والغريب أن ”كورنيليان“ أيضاً كتب ما كتب وهو يعلم أن ”العالمين بسبب مصابهم، والمطلعين على جرثومة دائهم، يهابون ويوجفون خوفاً من إذاعة سره المكنون“.

في السياق السابق تابع ”كورنيليان“ توضيح هدف كتابه/مشروعه بالقول: ”أنا في الوقت الحاضر نكد ونتعب، بل نهلك باليهود ولأجل اليهود، فياله من أمر غريب ومنظر مؤلم محزن، كيف أن شعباً اتصف بالعقل وعُرف بالشجاعة والثبات، يتألف من أربعين مليوناً.. يستعبده ثلاثمائة ألف فرد من أجلاف اليهود“. ومع أنه أتبع ذلك بالقول: ”سننهض بهمتنا المعروفة.. ونضرب بسيف الحرية انتصاراً للحق، ونزيح به الغشاء الذي لم يزل يمنع عن أعين أبناء شعبنا الشريف النور الحقيقي لعلمهم يميزون به ما أمامهم وينتهون إلى الهاوية الهارية التي تهددهم“.. رغم ذلك بقيت مخاوفه، خاصة وأن اليهود، بعد أن يفتنوا من مجيى اليوم الذي تكتشف فيه الأمة الفرنسية حقيقة ظلمهم، وأنها حتماً ستذلهم ”وتهلكهم بالسيف عن آخرهم“.. عندها ”سخرُوا جمعية مؤلفة من خواص رجالنا وأعظمهم، للذب عن صواحلهم وستر فطائع أعمالهم، وحرصوا على إخفائها“. ومن ثم فرغم تعاقب الحكومات وتغير أشخاص الوزراء، فإن ديون فرنسا تتضاعف، والضرائب تتزايد، والأحوال تزداد ارتباكاً ”ومن بحث عن السبب رأى حوله ظلام وغوامض أسرار، وخفي عليه أن الحكام المتعاقبين هم أعضاء تلك الجمعية.. وقد سخرت بالأموال الطائلة للعبث بحقوق البلاد وصواحلها، وأن الخلف والسلف يخضعان لرأس واحد ويشتركان بمبدأ واحد، وهو إيقاع البلاد بالعسر والارتباك، في حين يكون مسخروها فائزين“.

ومرة أخرى بقي الأمل عند كورنيليان الذي أكد على أن الوقت قد حان لوضع حد لهذه الأحوال، خاصة وأن "إشارة من روتشيلد تكفي لإسقاط جسم فرنسا المختبط بين يدي عدوتها ألمانيا". لكنه أوضح أنه لا يوجه كلامه لأثرياء فرنسا وولاة أمورها لأنهم "يغضون طرفهم عن النظر إلى ما يتهدد الوطن" بل يسوقه إلى جيش فرنسا وعمالها "الذين حفظتهما طبيعتهما من التلطيخ بأوزار اليهود". على أن النجاح كان يتطلب أيضاً أن "نضرب صفحاً عن كل خلاف سياسي أو ديني.. ولا ندع فرصة تفوت إلا ونستعملها في مقاومة مقاصد اليهود الشريرة.. وبعد خلاصنا من القوم الأجلاف.. ترجع إلينا السلطة الأصلية ونفوذنا الأول، ويرتد إلى بلادنا السكينة والنظام.. فالعدد عندنا كثير، والقوة لدينا متوفرة، وحالتنا تقتضي الدفاع والمحافظة على حقوق وطائها الأرجل وعثت بها أيدي السفلة".

وتحت عنوان "ضلال اليهود" أوضح "كورنيليان" مساوئ اليهود عبر تاريخهم من خلال عرض "سرعة تقلب هذا الشعب، وغلظة عقله وجموحه عن الطريق المستقيمة"، خاصة منذ تجربتهم في مصر وتصرفاتهم مع النبي موسى عليه السلام، وهي أمور -من وجهة نظره- لا بد وأن تثير ذهول وكرهية أي إنسان قادر على التمييز. وعنده أن "حالة اليهود السيئة لم تكن في أيام موسى فقط، بل إنها مازالت تزداد وتنمو أيام القضاة والأحبار والملوك المتعاقبين بعد موسى، وكثيراً ما كان يعود عليهم ذلك بالخسران والذل، فيليلهم الله بالسبي والهلاك قصاصاً لهم، ثم يبعث إليهم بالرسل والأنبياء ليرشدوهم.. فكانوا يبادئونهم بالشر ويميتونهم شر الممات، بعد أن يذيقوهم العذاب ألواناً. وكانوا عندما يرسل الله عليهم سيف الانتقام ويشعرون بالألم، يرجعوا إليه بالتوبة والخضوع، فيرحمهم ويخلصهم.. ولكن لم يكن يمضي على ذلك أيام قلائل يستبدلون في خلالها طعم العذاب بطعم الرفاه، فينبذوا طاعة رؤسائهم.. ورأى الله بعد ذلك أن الشعب الذي اصطفاه قد

شقي عصا طاعته ونبد جميله وأنكر فضله، فعالجه. ولما لم ير لدائه شفاء، غضب وسلط عليه الشعوب المجاورة فأذلته وقهرته وأسرته.. وهكذا لم تزل المصائب تنتابه والقبائل تتناوشه حتى انحلت عراه وتشتت منه الشمل وتاه بين قبائل المسكونة وشعوبها“. بعدها عرض لأوصاف ”الأمة اليهودية“ منذ بدايتها، كما حفظها التاريخ، فاعتبرها أمة طبعها الاحتيال والمكر، ودأبها الاختلاس وارتكاب المحرمات ”لا تعترف بجميل ولا تقر بمعروف. كثيرة التذلل في الغلبة والسقوط. شائخة قاسية سفاكة في الانتصار“. وأحسب أن هذه الأوصاف مهمة في أيامنا حقيقية لفهم تاريخانية عقلية اليهود وطبائعهم.

وتحت عنوان ”التلمود“ أوضح ”كورنيليان“ أن اليهود حاولوا التمسك بعوائد الأوربيين ليحولوا الرأي العام عنهم، مع أن ما كتبه وقاله قادتهم في الاجتماعات السرية يفضحهم. إنهم ”يتخذون جنسيتنا درعاً متيناً وحصناً حصيناً يدرك عنهم الظنون، ويسعون وراءه لبلوغ غايتهم الموهومة أو مآربهم الشيطانية.. ولكي يجدوا من ذلك مخرجاً، أخذوا يبحثون في إيجاد وسيلة تمنع آرائهم من التفريق، سنوا التلمود الذي أصبح مختصر مبادئهم الدينية وعنوان سلوكهم المدني“ لأنه ”يسمح لهم ما يميلون إليه بالطبع“. فعندما آل أمر اليهود إلى الشتات، خاف قادتهم الدينيون من انقراض شعبهم لسرعة تلاشي تقاليدهم. وهنا عمدوا لنسخ شريعتهم ”وابدأها بقانون جديد يوافق رداءة قصدهم“. لقد أسسوا هذا القانون على زعم أن سعادة إسرائيل موعودة من الله. هكذا ”ذهبوا بقيود القانون الموسوي، وعشوا بالشرعية الإلهية غير مبالين.. فإنه فضلاً عما أعطى اليهود من الامتيازات على كافة الشعوب في أيام أبينا إبراهيم والنبي موسى، فإن الشريعة الموحاة تقيد الشعب بقيود وتقضي عليه بفروض نحو إخوانه بالإنسانية بدون استثناء أمة. وعليه فلا نص يتلك الشريعة يسمح لليهود الخروج عن الحدود الموضوعة لهم.. ولكن فسر هذا واضعوا

التلمود بزعمهم أن ما تفرضه الشريعة عليهم يكون أمام إخوانه بالجنسية فقط". ولكن "لا يعقل بأن تلك الشريعة الموحاة من الله.. ينقصها ما يختص بعلاقات الإسرائيلي مع الأمم الأخرى. أما المبدأ الذي بُني عليه التلمود فهو أن العزة الإلهية أعدت للأمة اليهودية امتلاك الأرض برمتها، ووعدتها بالتمتع بجميع خيراتها، حيث أنها خلقت لأجلها وكانت لها، وسترجع إليها بالعاجل أو بالآجل. وقد جاء في التلمود ما نصه (يباح لاسرائيل، بل يفرض عليه، قتل من أمكنه قتله من الجويم) أي الخارجين عن إسرائيل، ثم (مال الجويم حق لليهود، وعليه فإنه يجوز اغتصابه وإلا فسرقته).. فكاننا حينئذ على الأرض عبيد مسخرون من الأمة اليهودية". ولتأكيد ذلك أورد ما كتبه "برافان" اليهودي الذي اعتنق المسيحية "وكشف به الستار عن جمعيات اليهود السرية التي يسمونها (بالكاهال) وعما يقرونه من الأعمال الفظيعة، والطرق التي يتخذونها لإفساد الأعمال وإيقاع البلاد التي يسكنونها بالارتباك، ليتمكنوا من انتزاف خيراتها". ومع أن الثورة الفرنسية ومبادئها خلصت اليهود من صعوبات كانوا يقابلونها في فرنسا، فإنهم استغلوا للتقرب من القادة، وبث الشقاق بين الأمة، ثم سيطروا على الأحزاب والسلطة والصحف والمطبوعات التي صيروها "آلة هائلة يموهون بها على أعين الشعب، ويحولون الحقائق فيها إلى نفاق وبهتان". والغريب -من وجهة نظره- أن صحف فرنسا لا تستطيع كشف حقيقة الأمور، بل "انتدبت لسترها، وسخرت لإزهاق الحق وبث الباطل" لسيطرة اليهود عليها. وهكذا خلص إلى أن اليهود "سبب فقرنا وعلة بلائنا.. طمحت أنظارتهم البعيدة إلى ما فوق الحدود، فسعوا في الأرض فساداً، وعثوا بحقوق كل شعب وأمة، وزعموا بأن الدنيا ملكهم القديم وسترجع إليهم كما وعدهم بذلك آبائهم. وعليه فلا يهمهم اعتلاء أو هبوط إحدى قطعها في سبيل تنفيذ مآربهم.. وأصبحنا في يدهم آلة يديرونها كيف يشاؤون وعهدون بها الطريق التي توصلهم إلى المجد

الموعود“. والشاهد أيضاً على مكرهم، استمالتهم أثرياء الأمة وقادتها ”حتى أصبح أشرف المملكة وعظماؤها والنائبون عن الحزب الملكي فيها، لا يعجبهم إلا معاشرة اليهود.. ولا يميلون إلا إلى عوائلهم“. وقد دعم ذلك زيادة عدد معابد اليهود، وعزوفهم عن تعليم أولادهم في المدارس العامة، واعتمادهم على مدارسهم الخاصة ليرسخوا في أذهانهم ”التعاليم الدينية والأحكام التلمودية“. في السياق نفسه، وتحت عنوان ”نفثة خناس“ عرض كورنيليان ما قاله ”كبير اليهود في روسيا“ في مجمع يهودي سري، وأكد فيه على ضرورة سيطرة اليهود بالمال على الشعوب الأوربية التي تسيطر على غيرها. ومن خلال أوربا يستطيع اليهود السيطرة على العالم ”فقد أصبح اليهود عموماً، وآل روتشيلد خصوصاً، أرباب المال وأصحاب الحل والعقد في باريس ولوندره وبطرسبورج وفيينا وبرلين ورومه وفي جميع الممالك والبلاد“. في هذا الإطار كان من نصائح ”كبير يهود روسيا“ لقومه ”لينقض كل منكم على المدارس العالية انقضا البواشق، ويختطف وظائف المعلمين، ويعلو مراتب الأساتذة الكبار ويث في قلوب التلامذة مبادئ الحرية. وليكن مبادئكم في الأول المساواة في المذاهب والوحدة في الأديان. وهكذا يسري تعليم هذا الفرع المهم بالسقوط والانخفاض، ولا يلبث أن يتلاشى بالكلية في المدارس، فعندها نشن الغارة على الكنيسة ونتوصل إلى إلغاء ديانتها ونسخ كل عقائدها“. كما نصح بضرورة زواج اليهود بنات المسلمين والمسيحيين. والمثير أن تأتي نصيحة بأنه ”لا يبعد أن يقوم ضدنا أحزاب يرشقوننا بسهام الانتقاد.. لكن طاعة الجاهلاء العمياء وميل عوام الناس إلينا، لاسيما الذين أمطرونا عليهم سحاب أنعامنا وغرسنا في قلوبهم أصول محبتنا، كل ذلك يمهّد لنا سبيل الانتصار. وعندها تنهض جرائدنا على ساق وقدم، فتشدد النكير على تلك المبادئ التي ينشرونها، فنقيم على الأعداء حرباً عواناً.. فنبلي فريقهم بالتفريق وجمعهم بالشتات“.

وتحت عنوان "صدى نفثة الخناس" أكد "كورنيليان" على ما جاء في أقوال "كبير يهود روسيا"، خاصة سيطرة اليهود على الحكومة الفرنسية وبرلمانها، وعلى شئون فرنسا الاقتصادية والإدارية والسياسية والقضائية والحزبية والتعليمية، وسيطرتهم على شئونها الخارجية. وما كتبه يوضح من جديد أن سوء أمور فرنسا إنما كان لسيطرة اليهود عليها. وليس أدل على ذلك من اشتغال اليهود بالمضاربة "وأشهرهم روتشيلد الذي سارت بذكره الركبان.. فمن حرب السبعين أخذت ثروته بالازدياد.. حتى أمسى أغنى رجل في العالم، لا تقل ثروته عن الخمس مليارات من الفرنكات". لقد أصبح لروتشيلد من النفوذ والمكانة ما يضاهي به الملوك "حتى أنه لا يعد الآن ملكاً لإسرائيل فقط، بل إنه الحاكم الوحيد في فرنسا.. وما رئيس الجمهورية لدى روتشيلد إلا وزيره الأكبر والمستول أمامه بالمصالح اليهودية". لم يتوقف الأمر على روتشيلد، بل إن صهره إيفروس "يشتغل من جهته باحتكار الحبوب وحصرها ضمن دائرة امتلاكه، فتجح بذلك لجأحاً عظيماً واحتكر الداخل والخارج.. في أسواق العالم أجمع، وهو ينظم لها السير ويحدد لها الأسعار والفئات بزيادة الوارد وتقيصه، وإن هبطت الأسعار أو صعدت فالأمر ينكشف عن المكاسب الجمة والأرباح الطائلة لإيفروس وزمرته. وهذا ما يفعله اليهود الآخرون بالبضائع الأخرى في كافة الأسواق". وعنده أن اليهود سيطروا على سياسة فرنسا الخارجية بعد حرب السبعين، وفازوا بمكاسبها وتحملت فرنسا خسائرها "وأهم هذه المشروعات وأعظمها احتلال بريتي تونس والتونكين". لقد تم ذلك "رغماً عن إرادة الشعب الفرنسي، وضد صوالح البلاد العمومية".. فتونس "فضلاً عن أنها كلفت فرنسا دماء عشرة آلاف من أبطالها، ومائة مليون من أموالها، فإنها كانت سبباً للنزاع بين فرنسا وإيطاليا، فانتقمت هذه لنفسها بانضمامها إلى ألمانيا عدوة فرنسا". أما حملة التونكين "التي ذهبت بقيود المعاهدات الدولية" فقد "ضحت

لها حكومتنا أربعين ألفاً من الرجال مع مليار ونصف من الفرنكات. وليس هذا فقط بل إن عاقبتها انكشفت عن ضياع حقوقنا في الشرق، ونتج عن ذلك احتلال الانكليز للبلاد المصرية“ واضعاف فرنسا أمام التحالف الثلاثي (١٨٨٢) الذي لا يفتر عن التهديد والوعيد لفرنسا. وفي المقابل ترتب على احتلال تونس أن تمتع يهودها بحماية فرنسا “ولا نلبث أن نراهم قد دخلوا في التبعية الفرنسية فالحقوا بيهود الجزائر الذين وهب إليهم غمبتا وكريميو جميع أملاكنا الأفريقية“. وبشكل عام فإن فرنسا “تألم وتضطرب“ بسبب كساد التجارة والصناعة، حتى أن ثلاثمائة ألف عامل “باتوا بغير عمل.. ويضطربهم الفقر المدقع لاقتراف الذنوب وارتكاب القبائح.. وعوضاً من أن يستعمل ذلك في سبيل إحياء ميت التجارة والصناعة الذين هما ينبوع الثروة وأصل السعادة والعمران، فإنهم يستخدمونها لسحب ما بقي منه في أيدينا. فلاشك إذاً بأن اليهود هم محتلسو الثروة الفرنسية وجرثومة بلاء الشعب الفرنسي.. وقد ظنوا، وأصابوا في ظنهم، أنهم تقدموا بقدم السرعة نحو غايتهم الوحيدة التي تطمح أنظارهم إلى نوالها. وما تلك إلا امتلاك المسكونة برمتها“. والغريب أنهم اتخذوا فرنسا “سنداً متيناً وعوناً عظيماً، وهي بيدهم آلة قوية يستخدمونها لتحقيق أمانيهم“. وبعد أن تساءل “كورنيليان“ عما إذا كان مستقبل فرنسا سيخضع لليهود كما خضع لهم ماضيها، انتهى إلى نفي ذلك، حيث “إن الطير الفرنسي الذي صبر على الذل وخضع لأحكام الزمن، فجرده الأعداء من ريشه الواحدة بعد الأخرى، قد أحس بالألم وبدأ صبره بالفراغ، وقد قربت ساعة خروجه عن حدود الاعتدال“ وسينهض “نهضة الأسد“.

وتحت عنوان “ربة البغاء“ كتب “كورنيليان“ أن جمال المرأة اليهودية نتيجة طبيعية لاختلاط اليهود بالأجناس الأخرى، والتعم الذي تعيش فيه. ومع هذا فالكل يعلم أنها “تهزأ بما نسميه الشرف والعفاف.. ميالة إلى الشهوات“ وأنها “قاصرة

عن إدراك معنى الحب والهوى اللطيف، ولا تضعيع الوقت سعيًا وراء ذلك التصور الكمالي الذي به ميز الإنسان عن الحيوان“. لكنها لدهائها ”قادرة إذا اقتضى الحال، عند وجود الغاية السياسية أو المالية، على التزيي بزي العشاق.. ولهذا ترى بأن في كل الأماكن التي بها المرأة تبذل نفسها لشهوة الرجل وتبيعه عرضها وناموسها بالرخص، فليهودية الدور الأكبر والسواد الأعظم. فيوت الفساد والبغي وحانات الفسق والفجور في أوروبا، ولا سيما في مصر والجزائر، ملأى باليهوديات“.

وتحت عنوان ”جبن اليهود“ أوضح كورنيليان أن اليهود عبر تاريخهم لم يكونوا قط ”شعباً محارباً مقداماً“، ومع ذلك ”ظهروا في رداء من الحماسة أكثر جلبة“. أما ما اتصفوا به وتميزوا باعتباره سلاحهم الوحيد فكان ”الغدر والخيانة والمكر“. ومن ثم فاستخدمهم في الجيش الفرنسي يعود بالخسارة، خاصة وأن اليهودي لا يحب الخدمة العسكرية ”ولو قطعنا النظر عن جبانة اليهودي ودناءة أصله، فما الذي يجب إليه الخدمة العسكرية، ولم يجازف بنفسه ويخاطر بحياته. هل فدية لوطنه أم افتداء للجوي؟ فهو لا يعرف الأول ويحتقر الثاني.. ورب قائل يقول بأن اليهود يُدَخَّرُون للمدافعة عن الوطن والمحاربة عن داخلية فرنسا إن تهددها الضر. فوالله لن يحارب اليهود في الداخل بأكثر مما حاربوا في الخارج. فكيف يوقف اليهودي حياته للذب عن بلاد يزعم أنها ملكه ولكنها ليست بوطنه ١٩. فهذا ينافي الخطة التي اختطها لنفسه والوظيفة التي تقتصر على استخدام هذه البلاد في سبيل تعديد سلطته واتساع دائرة امتلاكه“.

وفي ”نفي اليهود“ طرح كورنيليان مشروعاً في غاية الدلالة، حين كتب ”لكل شئ نهاية. فقد طال استعباد اليهود لنا ووصل إلى درجة قصوى يمكننا بعدها أن نتبأ مع دريمون بقرب سقوط نفوذ اليهود.. فإنه إذا مل الشعب من احتمال وطأتهم وشدة جورهم.. وإذا أصبح الجيش في ضيق من ضروب الإهانات والمذلة التي

يكابدها في الداخل والخارج، تميز الشعب والجيش حقاً.. فمزقاً حجاباً على عينيها ونظراً ذات اليمين وذات الشمال ليرى من كان السبب.. وإذا تأكدنا بأن ما أصل ذلك إلا اليهودي، وقفنا وقفة الحائر المدهش متعجبين في كيف أمكنهما أن يتحملا هذه المدة الطويلة نير عصابة قضت مدة ثمانية عشر جيلاً تجمع بين بصقات العالم وضربات نعاله“. بعدها لن يقتصر على الانتقام من روتشيلد وزمرته، بل سيشرعان ”في استرداد عمومي إجباري لكافة أموال الإسرائيليين المنتزفة من دماء الأهالي والحكومة“. وعنده أن المشروع يمكن أن يتم بسهولة. في البداية تعلن فرنسا حصار اليهود فيها وتصدر الأوامر للمختصين بمنع أي يهودي من عبور الحدود. أما الخطوة التالية فتكون بأن ”يفتح مشروع الاسترداد بأن تمحى كل أسماء اليهود من سجل الديون العمومية“. وبعدها تضع الحكومة يدها على كل أموال اليهود في بنوك فرنسا والجزائر، وتقوم بالحجز على ما يملكونه من عقارات وأثاث ”وبيع بالزيادة بأبخس الأثمان“. وبعدها يعطى اليهود ثمانية أيام لمغادرة فرنسا بعد تفتيشهم بعناية، على ألا يسمح لأحدهم بحمل أكثر من ٢٠٠٠ فرنك. أما من يتخلف منهم فيتم نفيه إلى التونكين. ولما كانت ثروة اليهود لا تقل عن ثلاثين مليار فرنك، يستطيع اليهود ”بمكرهم المعتاد ومهارتهم في ضروب الاحتيال والاختلاس“ إخفاء ثلثها ”فهل يتأمل القارئ فيما تكون نتيجة دخول عشرين ملياراً فجأة على الخزينة الفرنسية؟! فإن فرنسا تصبح في الحال أغنى دول العالم“. ثم إنه إذا حدث ذلك سيعود أكثر اليهود إلى ألمانيا من حيث أتوا، وحينها ”لابد أن يرجعوا إلى مبادئهم الحرة التي تخولهم النفوذ والقوة، ولا يمضي أيام قلائل حتى يثيروا بهذه البلاد الملكية ثورة توقعها بالارتباك وخوار القوى كما أوقعت فرنسا من قبلها، فلا تعود محلاً للرعبة. وهكذا ينتقم لنا اليهود من واقعة سدان بغير أن نجرّد سيفاً أو نطلق مدفعاً“. هكذا طرح كورنيليان مشروعاً لفرنسة أموال اليهود وطردهم من فرنسا. والسؤال: كيف

كان موقف اليهود من هذا المشروع وهذا الكتاب؟ ١.

أما العرب "الحاج" فبدأ دوره في التأليف من الصفحة (٦٧) وكتب أن كورنيليان "أبداع وأجاد في ذكر أعمال اليهود في مصر، ولكنه التزم في بحثه ذكر الأشخاص الذين ينتصرون لهم ويحولونهم ذلك النفوذ من وطنيين وأجانب، والذين سرت إليهم العدوى.. وقد سرد أعمالهم بالتفصيل مع ذكر الأزمنة والأمكنة والأشخاص. وإني مع تأكدي حقيقة ما يقول، آثرت عدم ذكر ذلك الفصل لأن ذكره ينافي ما أقصده بتعريب هذا الكتاب الجليل. وذلك أولاً: لأن حضرة المؤلف تصدى للطنع في أشخاص معروفين، وهذا لا أميل إليه، لاسيما وأن أولئك الأشخاص هم من غير اليهود، وإن يكونوا من أنصارهم. ثانياً: لأن ما أوعزه إليهم من الأعمال يتعلق بالحكومة المحلية وبعس شرفها. فرأيت العدول عن ذكره أولى وأبدلته بذكر ما أشاهده بنفسي من أعمال اليهود رأي العين". هكذا، ولأسباب لا تبدو موضوعية، حذف العرب فصلاً/جزءاً كاملاً ومهماً من الكتاب، لأن فيه نقد لليهود المصريين، بل وربما فيه نقد لاحتلنا والحكومة مصر. ومع ذلك كتب أن مصر "رزئت في الأيام الخالية بسبب اليهود بعشر ضربات عظيمة أوقعت بها المحن وأنزلت بها المصائب والعبر. ولكن وجودهم فيها كان أشد تلك الضربات وأعظم تلك المصائب. وهذه البلاد ما زالت منكودة الحظ منذ نزلوا فيها وأنزلوا شرورهم، فتراهم ناقلين عليها، تُكنُّ صدورهم أحقاداً وقلوبهم حزازات". وفي هذا الإطار أضاف أن "الفلاح المصري يتقلب بين الشقاء والعناء سعياً وراء إحياء نفسه.. بينما اليهود يتمتعون بالسيادة المطلقة.. ومن المعلوم لدى القاصي والداني أن اليهود في مصر، كما في جميع الجهات، أرباب المال وخزائن ثروة البلاد. فكيف تحصلوا على تلك الأموال، وما الذي يمكنهم من ضبطها واحتكارها؟!". ومن هنا أيّد ما أورده "كورنيليان" وأوضح الوضع في مصر من خلال عدة مقالات/فصول جاءت كما يلي:

أولاً: الضربة الصغرى (الصراف): حيث أوضح كيف يقوم الصراف بتبديل النقود بيعاً وشراء، فيحصل على المكاسب في الحالتين، خاصة وأنه يتفنن في "سحب الذهب عن الجنية، بحيث لا يمكن تمييزه.. ثم إذا أتاه أحدهم بواحد من تلك الدنانير المسحوبة عرفه، وإن نقص قمحة أخذه بنقص عشرين قرشاً أو أكثر. أما هو فيدفعه كغيره من الجنيهات إلى الجاهل". والصراف لا يكتفي بذلك، بل يخدع موظفي الحكومة بإقراضهم مقابل فوائد كبيرة، وعندما لا يستطيع أحدهم الدفع، يقرضه المزيد حتى تراكم عليه الديون، فيقوم الصراف اليهودي بالحجز على المرتب وأثاث البيت والعقار.

ثانياً: الضربة الكبرى (البنكير): فبعد أن تتضخم ثروة الصراف اليهودي، يوسع دائرة أعماله "ويتجرد لشراء السندات العظيمة والقضايا المالية الجسيمة ممن اضطروهم الحال.. فيشتري منهم تلك السندات بنصف ثمنها والقضايا بربع ما تساوي، وهو على كل حال في ثقة من الحصول عليها، ولديه من الوسائط ما يضمن له استيفاء كامل قيمتها". وهناك طريقة أخرى للنصب والسلب "وهي أنهم اشتروا أسهم الجمعيات المالية، كالسويس وبناما والبنك العقاري في باريس ومصر وغيرها" حيث اشتروا السهم بمبلغ ضئيل ثم باعوه بأضعاف أضعافه بعمليات خداع مختلفة. وفي هذا الإطار أورد أكثر من عملية نصب ليهود ضد مصريين. لم يكتف اليهود بذلك، بل قاموا بأعمال الربا والنصب في الريف مستغلين حاجة الفلاح. كما احتالوا على الأغنياء والأمراء، باستغلال إسراف أولادهم الشباب. ولقد ضرب على ذلك مثلاً بنجل (ش. باشا). هذا بالإضافة إلى قيامهم بالمضاربة وتجارة الأوراق (القراطيس) المالية "فعند حدوث أي تغيير أو انقلاب سياسي أو إداري يترتب عليه ارتفاع الأسعار أو هبوطها، تنقل إليهم أنبأوها على أجنحة البرق، آتية من نحو روتشيلد مفتاحها ومحط رحالها، فتسير أعمالهم وهم يعاقبها عالمون. فإن هبطت أو ارتفعت فهم وحدهم الرباحون".

ثالثاً: الضربة اللطيفة (المرأة): فينما يشغل اليهودي بسلب الرجال، تقوم اليهودية بدورها "فتلج بيوت الأميرات.. حاملة من الحلي ونفيس المنسوجات ما يخلب سيداتنا ربات الدلال" فيشتري البضاعة بدون مقدم ثمن، فقط يقوم الزوج بالتوقيع على ورقة بيضاء، على أن يقوم بالدفع لاحقاً، وبعدها يضطر لدفع أضعاف الثمن "حفظاً لناموسه"، وإن لم يستطع تم الحجز على ممتلكاته. وقد أشار "الحاج" في ذلك لثلاثة نماذج، منها نموذج اليهودية (ك) وزوجها، واستطاعتهما الاستيلاء من إحدى الأميرات على قصر بدر ب البربرة. أما قوة نفوذ اليهود فأعاده إلى أنهم "استمالوا إليهم حزياً من أعظم الرجال وأصحاب الكلمة.. وأصبحوا يستخدمونه في قضاء أغراضهم الذاتية ويستعبرون ما له من النفوذ.. وأقوى من يساعدهم على تلك الأعمال ويخولهم ذلك النفوذ هم وكلاء فرنسا في مصر، فإن السواد الأعظم من اليهود اكتسبوا التبعة الفرنسية، واستمالوا إليهم القناصل المتعاقبة بواسطة يهود فرنسا الأقوياء، فسخروهم بالأعمال، ونسبوا إليهم كل ما يقترفونه من الذنوب.. وهذا الأمر قد أوقع النفور في قلب من عرف هذا من عقلاء المصريين وذوي الغيرة الوطنية منهم، فرأوا أنفسهم قبالة دولتين: انكلترا بحكمها وتحكمها، وفرنسا بانتصارها لليهود، مخبرين بين سلطتين كل منهما تنوي العبث بصالحهم وتطمح أنظارها إلى الاستيلاء عليهم. غير أن الواحدة مستولية ظاهرة، والأخرى خفية خادعة محتالة. فلم يترددوا في اختيار أخف الضررين وأهون الشرين، فآلقوا بأنفسهم بين أيدي الانكليز مستجيرين من شر أعمال إسرائيل، يبتغون من مخالفه خلاصاً. نعم إنهم يندبون استقلالهم المفقود، ويكون حريتهم المسلوقة، ولكنهم إذا وجدوا في حماية الانكليز رعاية ورفقاً ولو في الظاهر، وفي اليهود سهاماً حادة ومخالباً للخطف مستعدة، ارتدوا إلى الوراء مذعورين، ورجعوا إلى الانكليز خاضعين".

رابعاً: أرض الميعاد: وفيها عالج "الحاج" ماضي اليهود في فلسطين والشام، وتشتهم في الأرض، وأنهم ينتظرون العودة إلى تلك البلاد بعد أن "استولت هذه الأوهام على عقول اليهود الأقدمين والحديثين". والواقع أن ما كتبه يعكس وعياً مصرى آنذاك بطمع اليهود في فلسطين، خاصة في قوله "ولكن الويل لنا إن تحققت آمالهم ونجحت مساعيهم. ولا يخفى أيضاً أن اليهود لا يعترفون جهاراً بهذه الغاية، بل إنهم ينكرونها عند اللزوم، ولكن كفى بأعمالهم شهيداً عليها وأقوى دليل إليها. ففضلاً عن أن ديانتهم تشير لتلك البلاد كوطن مقدس محفوظ لهم عليه حقوق مقدسة.. فإن أعمالهم التي جعلوها مقدمة لامتلاك تلك البلاد تثبت أن تلك الأوهام أصبحت حقائقاً غريزية في عقول كبار اليهود وصغارهم" حتى أن كثيرين من أثريائهم إذا شعروا بقرب موتهم، رحلوا إلى "الأرض الموعودة" حتى "لا يُحرَموا من امتلاك شبر فيها وتضم عظامهم إلى رثاء أجدادهم". وأضاف أن عبارة "العام الآتي في أورشليم" التي يرددونها عادة عند كل اجتماع يهودي، هي من الشواهد على رسوخ تلك الأمانى عندهم. ومن هنا عبر عن خشيته من أن يكون "ذلك الاعتقاد وذلك الأمل على وشك التحقيق اليوم، إذا تأملنا في أعمالهم في هذه البلاد والوسائل التي تختلف كل الاختلاف عما سواها في كل جهات العالم، وذاك الاجتهاد والعمل اللذين لم نعرفهما في طبيعة اليهودي منذ نشأ حتى الآن" خاصة وأن حكومة فرنسا "آلة صماء" بيدهم "يديرونها كيف يشاءون" وأن فرنسا "أول الدول ذوات الصوت الأقوى والكلمة النافذة في سوريا وفلسطين"، وأن أول ما فعلته هناك إدخال معظم يهود بلاد الشام تحت حمايتها "وشد أزهرهم بحماية الجمهورية" التي سمحت لهم بتأليف جمعية "الاتحاد الإسرائيلي". وعنده أن غاية وهدف تلك الجمعية "تسهيل وسائل الاستعمار لجماعة إسرائيل في البلاد المقدسة حتى تهرع إليها الوفود منهم، فيعملون بأرضها ويشيدون فيها

المدن والقصور حتى يكثر العنصر اليهودي فيها وتصبح، إذا أزف زمن السعادة، لاثقة لأن تكون عرشاً لإسرائيل وحاضرة ملكة". ومن هنا بذلت الجمعية الأموال الطائلة لشراء الأراضي والعقارات في كل جهات فلسطين، وخصصت المبالغ الضخمة لكل يهودي طلب الهجرة إليها، حيث تعين له المال والبيت والأرض. ومع نجاح مشروع الاتحاد الإسرائيلي "تسابق فقراء اليهود في طلب الاستعمار إلى أرض فلسطين، وعلى الخصوص العرب منهم من شمالي أفريقيا حتى تكاثروا فيها وعظم عددهم". ولما تبين لجمعية الاتحاد الإسرائيلي أن تلك النوعيات الفقيرة وغير المتمدينة من اليهود لن تستطيع استعمار فلسطين، اتجهت لتهجير بعض اليهود المتعلمين والمتمدنين. ورغم حاجة الجمعية لتخصيص مبالغ طائلة لاقتناع بعض يهود أوروبا بسكنى تلك البلاد "ثم حصرهم في تلك الأرض كي يأتي منهم نسلًا يألفها ويخصص في المستقبل لتشييد مملكة إسرائيل العتيدة". .. فإنها بذلت جهودها ليكون اليهود في فلسطين في وضع لا يحتاجون فيه لغيرهم "فاستجلبت جماعة من المزارعين والبنائين وأصحاب الصنائع المختلفة، ووضعتهم في نقط أرض فلسطين التي اشترتها، فسادوا فيها قصوراً على الطراز الأوربي وعمارات محصنة الجوانب". وعندما ضاقت الأرض على المهاجرين "أضافوا إليها غيرها ثم غيرها، وهي سائرة بالعمران من يوم إلى يوم". أما أكبر المستوطنات (العمارات) التي أنشأها اليهود في فلسطين فهي مستوطنة (ميكوه-إسرائيل) قرب مدينة يافا، ومستوطنة (ريشون) بين القدس ويافا، وأغلب يهودها من ألمانيا وروسيا، وبعضهم من فرنسا. أما المدير العام للمستوطنتين الفرنسي "هيرش" فأدخل "جميع هؤلاء الغرباء من ألمانيين وروسين وبولونيين تحت ظل العلم الفرنسي، وهم لا يعرفون من اللغة الفرنسية غير اسمها". على أن "الحاج" لم ينس أن يذكر بالفضل دور السلطان عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية "فلما تكاثر عدد مهاجري اليهود في فلسطين

وتعاضم أمرهم، أدرك الجناب السلطاني غايتهم، وعلم عظم الخطر الذي يتهدد تلك البلاد إن أهمل أمرهم، فأراد تلافي الأمر قبل تفاقم الداء“ ومن ثم أصدر فرماناً في سنة ١٨٨٣م بمنع كل يهودي من امتلاك عقار أو بناء بيت في فلسطين “ولكن قد أهمل العمل بهذه الأوامر، بالنظر لتداخل وكيل فرنسا وحكومتها كلما اهتم حكام تلك البلاد بتنفيذ إرادة مولاهم. وكيف يسمح روتشيلد بمنع امتداد السلطة اليهودية ونمو العنصر اليهودي في البلاد المقدسة؟!“. وعلى كل شدد “الحاج“ على خطورة الاستيطان اليهودي، بل ووعى حقيقة مهمة حين كتب “أن الربح والخسارة لدى جمعية الاتحاد الإسرائيلي سيان لأنها لم تقصد بعملها تجارة أو ربحاً، وإنما ذلك عمل سياسي مباشرته، يترتب عليه مجدها ومستقبل سعادة أمتها، فهي لن تؤخر رجلاً بعد أن قدمتها، ولو أنفقت في سبيل ذلك نصف ثروتها“ خاصة وأنها تحظى بمساندة فرنسا وبلاد أوربية أخرى. في هذا الإطار أيضاً أشار إلى محاولة أحد اليهود الألمان استيطان منطقة الطور بسيناء، حيث “أتى من قبل الاتحاد الإسرائيلي بالمراكب مشحونة بالرجال والأموال إلى نواحي جبل الطور، بدعوى أن تلك الأرض هي ملك اليهود القديم.. وكادت آمالهم تتحقق وتعمر بهم تلك البلاد، لولا انتباه الدولة العلية لهذا الأمر، فدعت الحكومة المصرية إلى إخراجهم من تلك البلاد“. ومن هنا طرح السؤال “هل يبلغون تلك الغاية ويظفرون بذاك القصد؟“. وعلى كل فإن الحاج لم يستبعد ذلك ولم يؤكد، بل ترك الأمر مفتوحاً. ومن هنا نستطيع القول بأن الكتاب دق ناقوس الخطر في حينه، ولكن لم يتم الالتفات إلى ما جاء فيه لأسباب كثيرة، منها خضوع مصر للاحتلال الإنجليزي، وانشغال المصريين بقضايا بلادهم قبل غيرها. وليؤكد “الحاج“ أنه لم يبالغ فيما أورده عن “أعمال اليهود ووصف أخلاقهم وعاداتهم“ أورد في نهاية الكتاب قصة حقيقية “قصها عليّ في تونس، إذ كنت

نزيراً فيها، فاضل أثق به وأعتمد في حقيقتها عليه.. وقد تصرفت فيها تصرفاً كلياً حتى غادرتها رواية لطيفة المبني، أدبية المعنى سميتها رواية (اليهودي المنتقم) لأن بها إظهاراً لفظاعة أعمال اليهود ورداءة قصدهم ودلالة على نقمهم على عباد الله وحقدهم“.

تتكون الرواية من خمسة فصول. أوضح الفصل الأول أن أحداث الرواية بدأت سنة ١٢٥٠هـ في مدينة سوسة التونسية، حيث عاش التاجر الثري ”الفضل بن يحيى“ الذي عرف باستقامته وحسن سيرته وخصاله. كان للفضل أصدقاء كثيرين، أخصهم الشاب ”علي بن صالح المغربي“ الذي ينتمي لعائلة كريمة، وإن أدى كرمه الشديد لتبذير أمواله واضطراره للاستدانة بين الحين والآخر من صديقه الفضل، حتى كثرت ديونه. وفي أحد الأيام طلب ابن صالح من الفضل ثلاثة آلاف دينار للزواج من الأميرة ”فاتنة“ إحدى أميرات العائلة الحاكمة لتونس، والتي مات أبوها وترك لها ثروة ضخمة، واشترط عليها شروطاً عليها أن تلتزم بها في اختيارها لزوجها. وللصدقة بين الرجلين، ولعدم وجود أموال سائلة بيد الفضل ورغبته في تلبية طلب صديقه، فقد اقترح عليه أن يبحث لدى ”التمولين“ عن من يقرضه المال، على أن يضمن الفضل سداد القرض بعد أن يبيع جزءاً من سلعه التي ستأتي بها السفن.

جاء الفصل الثاني من الرواية بعنوان ”حقد ومؤامرة“ وفيه عرض المؤلف لوجود مراب يهودي يسكن سوسة اسمه إسحق ”دميم الخلفة، ذميم الأخلاق، سئ السريرة. ومع أنه واسع الثروة، كثير المال، فإنه كثير البخل والطمع، شديد الحرص والآمة، لا هم له إلا جمع المال وحشد الذهب.. يتظاهر أمام جيرانه المسلمين والنصارى بالوداد وحب الإنسانية مع أنه لا يضمّر إلا الشر“. كان إسحق يكن للفضل شديد العداء والحقد ”لأسيما أن الفضل على غير دين التلمود، وأنه

يقرض المبالغ الجسيمة لكل طالب بغير فائدة أو ربا". أراد اسحق الانتقام من الفضل، ولم يجد وسيلة سوى الاستعانة بفكرة ابنته الجميلة والوحيدة "رفقا" التي رسمت خطة لتحقيق حلم أبيها عن طريق الإيقاع بيوسف النصراني "الوكيل المتصرف للفضل.. والنائب المستولي على ثروته" والذي كان يحب "رفقا" بجنون، وهي لا تبادله ذلك.

جاء الفصل الثالث بعنوان "قضاء وقدر" وفيه عرضت الرواية لفرح "اسحق" بخطة ابنته، وكيف أن ابن صالح لم يجد من يقرضه المال سوى "اسحق"، فذهب إليه وطلب منه إقراضه ثلاثة آلاف دينار بالفوائد التي يراها، على أن يردها إليه قبل مرور ثلاثة شهور، وأن يكون الفضل هو الضامن. فرح اسحق بضمان الفضل للقرض، وطلب من ابن صالح حضوره لكتابة الشروط. وبحضور الفضل انتهى الأمر بأن رفض اسحق أخذ فوائد على القرض، ولكنه اشترط -وعلى سبيل المزاح- كتابة شرط "يضحك الشكلاّن، وهو إن لم تف المال بعد ثلاثة أشهر، وفي مثل هذه الساعة، آخذ من جسمك رطلاً من اللحم من أي محل شئت"، مع العلم بأن اسحق كان يعلم بأن ابنته ستوقع بيوسف النصراني الذي استودعه الفضل كل بضائعه، فذهب إلى إسبانيا ليبيعها ويشتري بشمئها وبكل الأموال التي معه بضاعة. قبل الفضل بالشرط في النهاية، اطمئناناً منه بأن الأنصاري سيعود بالبضاعة والأموال قبل مرور ثلاثة شهور.

جاء الفصل الرابع بعنوان "مكر واغتيال" وفيه يتضح كيف أعدت "رفقا" خطتها. فما أن سافر يوسف بالمراكب والأموال إلى "فالانس" و"مادريد" بإسبانيا، حتى اقتفت أثره للإيقاع به. ومن خلال إظهار عواطف يوسف الجياشة تجاه رفقا وخداعها له، تدور أحداث الفصل، حيث ظهرت أمامه فجأة في مطعم الفندق، فمرض مرضاً شديداً بعد رؤيته لها بصحبة أوربي. وعندما كاد أن يهلك،

اقتربت منه وادعت حبها له وهروبها من والدها وتركها وطنها للزواج منه، على أن يهرب معها بأموال الفضل. ورغم رفض يوسف في البداية للعرض، فإن حبها لها اضطره لقبول خديعتها في النهاية.

جاء الفصل الخامس بعنوان "على الباغي تدور الدوائر" وفيه تناول المؤلف قصة لقاء ابن صالح بالأميرة التونسية، وكيف فاز بقلبها وتزوجها في النهاية. على أن سعادة ابن صالح أنسته القرض الذي اقترضه من إسحق بضمانة الفضل الذي وقع في مأزق لعدم عودة وكيله يوسف. هنا استعد اليهودي إسحق لتنفيذ شرط القرض، رغم رجاءات أصدقاء الفضل للعفو. خاف الفضل على نفسه من الهلاك "فكتب إلى صاحبه علي في تونس يخبره بكل ما حصل. ولكن الأجل انقضى قبل أن يحضر الجواب من علي، فرفع اليهودي أمره إلى قاضي المدينة، ودخلت القضية في التحقيق". وفور علمه، أفاق ابن صالح من انشغاله بعروسه التي أعطته عشرة آلاف دينار لسداد دين صديقه، بل إنها "أسرعت إلى الباي، الذي هو خالها، وطلبت منه أن يتدبها للحكم في هذا الأمر" فلبست زي القضاة، وذهبت إلى سوسة. وفي يوم المحاكمة رفض إسحق أخذ أية أموال، وطالب بتنفيذ الشرط المتفق عليه، بلا رحمة. وافق الفضل على تنفيذ الشرط، ووضع جسمه بين يدي إسحق ليأخذ منه رطل اللحم. لكن القاضي (الأميرة في الحقيقة) فاجأ اليهودي بسؤال: "هل أتيت بميزان لتزن اللحم، وجراح يمنع الدم من النزيف، فقد عزمنا على انصافك واعطائك حقلك فلا تخرج عن القانون. فقال: أتيت بالميزان ولكن لم يخطر ببالي الجراح، إذ لا يهمني إن مات غريمي أو عاش. فقال القاضي: حيث أنه لا يمكننا الخروج عن القانون، ويجب علينا أن ننصفك ونحكم بتنفيذ شرطك كما هو، فقد أذن لك بقطع رطل اللحم من جسم غريمك كما تطلب، ولكن إياك أن تسقط نقطة واحدة من دمه، فليس مذكوراً في الشروط أن تأخذ الدم أيضاً، فحياتك تكون فداء لنقطة واحدة من

صعق اليهودي، وأبدى قبوله للمال، لكن القاضي صمم على تنفيذ شرط أخذ رطل اللحم مع المحافظة على الشرطين اللذين اشترطهما، وأضاف: "بناء على المادة ١١٥ من قانون العقوبات التونسي التي نصها (إذا حاول يهودي قتل خارج عن دينه يقتل، ثم يعطى نصف أمواله للحكومة والنصف الآخر لغريمه) قد حكمت المحكمة بنص هذه المادة على إسحق اليهودي الذي ثبتت عليه محاولة قتل الفضل ابن يحيى التاجر المسلم". بكى اليهودي وطلب الرفق من المحكمة، فوافقت على أساس "أن العفو من شيمنا، والرحمة من لوازم شريعتنا" لكنها أصرت على ضبط أمواله، وإعطاء نصفها للفضل. وبعدها بفترة قصيرة مات اليهودي حسرة على أمواله. أما ابنته فحكّم عليها القضاء الإنجليزي بالأشغال الشاقة، بعد أن اكتشف البوليس دخولها المجلّز مع يوسف النصراني وقتلها له. وبعدها استعاد الفضل كل أمواله.

والواقع أن الرواية مستسوخة من رواية "تاجر البندقية" للكاتب الإنجليزي وليم شكسبير، مع تغيير في أسماء الشخصيات لتصبح أسماء عربية، وإضفاء مسحة عربية/إسلامية على الأحداث، وهي أمور لا تخفى على كل من قرأ رواية "تاجر البندقية" ورواية "اليهودي المنتقم".

أرجو أن يكون العدد الثاني من سلسلة "أوائل المطبوعات المصرية" من الكتب التي تستحق أن تقرأ في تلك اللحظة المهمة - بل العصيبة - من لحظات التاريخ الفلسطيني والعربي.

محمد صبري الدالي

أستاذ التاريخ الحديث - جامعة حلوان

كتاب

في الزوايا خبايا

او

كشف اسرار اليهود

معرب عن الافرنسية بقلم

نجيب الحاج

مكاتب جريدة اللغات هـ رالد

طبعة ثانية

حقوق الطبع محفوظة

ثمنه عشرة غروش صاغ

سنة ١٨٩٣

مقدمة

للمترجم

الحمد لله الذي علم الانسان ما لا يعلم وكشف له من الاسرار ما لا يحيط به قلم . حمداً يشهد به ازري وينشرح له صدري وبعد فلا يخفى ان الامة الاسرائيلية كانت منذ نشأتها الامة المقدسة المصطفاه من الله اذل بها الشعوب واخضع لها رقاب عبدة الاوثان فمزّزها وبارك بنسلها واعظم شأنها بايات يثبت كان ياتي بها على ايدي رجالها ولكنهم ما زالوا صمّ بكم عمي فهم لا يبصرون وعتاة بقاة لا يعقلون فكم نبذوا جميل ربهم وشقوا عصا طاعة خالقهم ووصلت بهم القحمة الى طرد رسله واهانتهم وقتلهم اذ جاؤا ينذرونهم بغضب الله ويمجدونهم من عقاب القادر الجبار . ولما اعزّهم الله ولم يعرفوه واذلم ولم يخافوه وانذرهم ولم يطيعوه وبعث اليهم بالرسل فاهانوه فيهم وعصوه غضب وسلط عليهم الامم فقهرهم واذلم واباد كبارهم وفرق كلمتهم وشتت شملهم وحكم على عروش مجدهم بالسقوط فसारوا على وجوههم في الارض تائهين خاسرين لا يهتدون . ولما تفرقوا ولعبت بهم ايدي سبا بعد ان سفكت دماء رجالهم وسيت نسايتهم وغيالهم ازدادت قساوة قلوبهم في الذل والاستعباد لانهم اضافوا الى غلظ رقابهم ودناءة اصلهم ورداءة قصدهم خسة العبد وذل الرقيق فاجتمعت فيهم اخس

الصفات واصبحوا مثالا للسيئات فزجوا مهام غضبهم في عيد الله اخذاً
بثأرهم فاستحلوا دماءهم وانتهكوا حرمتهم وحمام ونهبوا اموالهم وراحوا في الارض
يفسدون وهم في غيهم يعمهون

وكيف اتصل اليهود الى اغتيال الامم التي دخلوا بينها مع قلة نذرهم
وخسة اصلهم وجبانة قلوبهم - انهم اتابوهم بخداهم الموصوف وتمكنوا منهم
بمكرهم المعروف فهم يطاطئون الرؤوس الخناء امامهم ولكنهم يفتشون السم
طلي الخفاء في الرؤوس ويزرعون البغضاء والشحناء في القلوب ويتركون
النار تاكل بعضها بعضاً بينما هم عنها بعيدين ومن شرها امنين

واذ كنت ارى ان الشر يحل ايها حل اليهود والفرينزل اني نزلوا
فما دخلوا مملكة الا وانتزفوا دماؤها المادية والمعنوية ولا ولجوا بلداً الا
وسلبوا اموالها واغتالوا نساءها ورجالها يجملي ذلك على البحث ويجولي
الى النظر فيما هو الذي يخولهم تلك القوة ويمنحهم ذلك الاقتدار . ولا
سيما اذ رايتهم في البلاد المصرية والاساتنة وتونس وسوريا ارباب المال
والعقار وذوي النفوذ المطلق في الحكومات لا عمل الا ما يريدون ولا
رأى الا ما يرون فاني عجبت لذلك وزدت فحصاً وتنقياً ودرساً وتدقيقاً
اعلي اطلع على العلة فانه مواطني اليها واقف على السرفازيح الستار
منه حتى عثرت على كتاب باللغة الفرنسية لرجل من مشاهير كتبة
الفرنسيس يدعى المسيو جورج كورنيليان فحوّل مني النظر فقرأته ثم عاودته
ثم اعدت الكرة عليه فزال الغشاء عن عيني والعناء عن قلبي لاني علمت
كيفية دخولهم بين الامم والوسائل التي يستخدمونها لجمع الاموال ونهب
الخزائن واحتكار الارباح حتى يتوصلوا من ذلك الى القوة والنفوذ

والتصرف بالارواح والاشباح وما هي اعمال كل واحد منهم وما هي القوات
 التي يعتمدون عليها والجمعيات التي يستغرونها لتنفيذ مآربهم ويسترون
 ورائها فظيع اعمالهم واخيراً فما هو مركزهم وقوتهم الماديتين والمعنويتين الآن
 وما يقصدون بهما وما هو مطمح انظارهم ومبدأ تلمودهم فرايته كتاباً اذاغ
 الاسرار وكشف الخبايا وهو يعود بالقائدة على اهل الوطن ويكون عبرة لرجال
 الشرق فزمت الحال على تعرييه ولم اتردد في عزمي فضلاً عن انني اعلم
 من نفسي العجز ومن قلبي التقصير وعن معرفتي بان الترجمة جبل صعب
 المرتقى وسأوك شابه اصعب من يوم اللقاء ولم احفل بما قيل فمين الف
 بين كلمتين ونظم بيتاً او بيتين فجاذفت بنفسي حباً باهل وطني وعرضتها
 لسهام الملام غيراً على ابناء جلدتي وقد سميتها [في الزوايا خبايا] لانه كشف
 الخبايا واذاغ المكنون فلمله يكون عبرة لاولي الالباب فيتنبهوا الى ما امامهم
 ويتيقظوا الى الخطر الذي يتهددهم ان بقيوا على ثغافلهم عن خداع امة
 اليهود وتهاونتهم على الوقوع في شراكها وحبالها وعلى كل فاني اطلب من ارباب
 الفضل عفواً ومن ذوي الاذواق السليمة غدراً - وبالله اعتضد وعليه
 اعتمد وبه استعين وهو نعم المعين

فجيب حاج



مقدمة المؤلف

لقد اصبح وقوف الحال وارتيك الاحوال في داخلية فرنسا امر لا يختلف فيه اثنان وقد عم الخطب الكبير والصغير وشكى منه الغني والفقير . ولم يطرأ هذا المصائب على البلاد الا في عهد العشر سنوات الاخيرة ولكن الامر لم يزل يزداد يوماً عن يوم وان بقي الحال على هذا المتوال عظم البلاء عليها وتفاقم الداء وسيخرج بها في عميق الدركات حيث لا يكون لها منها قيام

ان الشعب الفرنسي قد اتصف بالقوة والشدة وعرف بين الامم بطول الباع في التجارة والصناعة وسداد الراي في المشروعات السياسية العظيمة وقد صبر على مفضي الدهر ايام الشدة صبر الكرام وقاوم بثبات كلما اصاب به من لضربات والهجن ولم تهزه المصائب او تذهب برونقه ثقلبات الزمن وغدر الايام بل ازداد وجه تاريخه جمالا وقام بعد انتهاء ايام الشؤم ولم شعثه الذي كاد يفرق ونهض نهضة الاسد مفتخراً على عدوه وشامتاً بمن رام اسقاطه فسلت يداه ولم يتمكن من اتيانه باذى وهكذا لم يزل كما كان ينبوع موارد الثروة وحياة التمدن الانساني ولكنه اصبح اليوم يداخل اعضاء جسمه الارتباك ويزداد هذا كلما ثقلت الايام دون ان يعلم لذلك سبباً واشبه مريضاً يحمل بجسمه جراثيم المرض تنال اعضاءه ويستغيث ولا يعلم اصل الداء وموضع الالم فقلت به الحيل وضائق بوجهه المذاهب وسيصبح اذ ييأس من الشفاء ينتظر حلول اجله وتلاشي جسمه . ولو صادفنا رجلاً قديم العهد فارق البلاد ثم رجع بعد زمن اليها وقصصنا عليه خيانة عظيمة

او مظلة قاسية ارتكبتها احد سراة القوم في الزمن الماضي لكان يتميز من
الفيظ وتمنى لو امكنه الوصول لذلك الجاني الظالم ليمزق جلده انتقاماً لما
اتاه ضد ابناء جلدته اما الآن فانه يطايط راسه خجلاً ويمجيب «وكان
بوده ان لا يجيب» قاومنا العدو في حين كنا اقوى منه اما الآن فانه
اقوى واقدر فما باليد حيله . فما هي تلك القوة العظيمة وذلك العدو المهاب
الذي عجزت فرنسا نفسها عن مقاومته وتلافي مضرته . . . انه يجهله . .
ولكنه يخضع لامره ويسلم صابراً على ظلم احكامه

وقبل ان نوجه سهام اللوم نحو الحكومة الفرنسية لتهاونها وتسليمها
لاحكام عدوها الخفي فمن الفروض الواجبة ان تبين لما مركزها الحرج
وقربها من الهاوية المارية التي تهددها الموقف بالسقوط فيها . فمن
حوّل النظر نحو حالة فرنسا الحاضرة وانعمه في داخلتها وخارجيتها رأى
بان الاضطراب قد استولى عليها والارتباك قد داخل امورها فمقاليد
الامور فيها ملقاة بين يدي رجل من اعظم الناس دناءة وخساسة يوزّع
ازمة احكامها واوراق ماليتها على اناس عرفوا بالتلاعب واشتهروا بالدنائة
وسوء السيرة وهو ينظر اليها نظر المتفرج على سلبها الشامت يلائها بينا
تلعب بها ايدي سبا وليس هذا فقط بل انه انحاز الى اناس سافلين واصبح يساعدهم
على تنفيذ اغراضهم ويمكنهم من نوال غاياتهم الدنيئة . فالسياسة الخارجية
قد ادتها يد الخيانة الى الخلل والفساد واصبحت وسائر الدول تشدد عليها
النكير وترميها بسهام اللوم والتدديد . والامور الداخلية عهد بها الى اناس
تجردوا عن الذمة والشرف لاهمّ لهم الا العيث بصوالح البلاد وتضحية
كل عزيز في سبيل اغراض تلك القوة الخفية ولا يبالون بوقوفهم هذا

الموقف الخطير امام الامة والبلاد لان تلك القوة تدراً عنهم مقابل ذلك المصائب وتحميهم من سلطة الحاكم العالية اذ تطالبهم بما يقتربونه من الذنوب . اما القوة الحربية فانها فضلاً عن تهديد المانيا ووعيدها المتداومين متفرقة في كل فطروواد معرضة للبلاد الحارة والاهوية الفاسدة وستذهب بارواحها دون شك كما ذهبت ايدي السالين بالصالح والال

اما التجارة والصناعة فان ارباك المالية واختلال دائري الادارة والقضاء لم يبقا لها شريعة تربطها وتنصر لها او قانون يذب عنها ويحمي ذراها فخارت قواها واربتكت في امورها فعاقتها هذا عن السبر في مضمار التقدم فقامت التجارة الالمانية لمزاحمتها حتى فاقتها ترتيباً ونظاماً وفانت اثارها بعد ان كانت لا تدرك منها الا الفبار . ولا يخفى ان الفلاحة والزراعة هما في كل البلدان ينبوع الثروة وحياة التجارة والحكومات ولهذا فما بلغت فرنسا من التقدم السريع كانت بانتظام امور فلاحها ووفرة الاسباب التي كانت الحكومة تشرع فيها لمجرد راحته لعلها بانه احد اعضاء حياتها المهم اما الآن وقد انقلبت الاحوال الى عكسها فقد ساءت احواله لسقوط التجارة واختلال الحكومة ولما باءت تحت اعباء الضرائب ولم يعد يقوى على حمل وقرها الثقيل هجر الحقول وهاجر القرى واتى المدن ابتغاء للغلاص من ظلم الحكومة الشامل وسعياً وراء وسيلة للتعيش لان الفقر انشب فيه نابه ولكن ذلك لا يكون الا لابدال الفقري بالفقر والاستعاضة عن الفاقة بالمسكنة

وبالحقيقة ان فرنسا مع علو قدرها وعظم شانها لم تصب بهذا المصاب ويتفاهم عليها الداء بهذه السرعة الا وكان عدوها عظيماً وخطبها

شديداً جسيماً . والغريب بان اناساً كثيرين من محبي الوطن والغيورين
على صوالح الامة والبلاد قاموا يحذرون الناس من الداهية الدهماء التي
تتأهبهم بعد ان كشفوا عنها الستار بمطبوعاتهم واسهبوا في تفصيل اسبابها
وشدة ضررها واكن

لقد اسمعت اذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
فكانوا كمن ينفخ في رماد ولم يصادفوا الا اذاناً صمّاً وقلوباً قاسية
ولكن غير هؤلاء . كثيرون ايضاً من ذهبوا ضحية الشر وفريسة ذلك العدو
الخفي قد اطلعوا على الحقيقة وعلموا غوامض الامر ومكنوناته ولا مانع
منهم من اراحة النقاب عن اسباب البلاء الذي عمّ . فلم لا يتشبهون
بهم ويقتفون اثارهم . ان هؤلاء العالمين بسبب مصابهم والمطلعين على
جرثومة دائهم يهابون ويوجفون خوفاً من اذاعة سره المكنون وقد ذكرنا
أمرهم قداماً النسك الذين كانوا لا يحسرون على التعوذ من الشيطان
ولا باسم الله خوفاً من ان يكون ذلك داعياً لحضوره الذي يعقبه خطف
ارواحهم .

فاليكم يا بني امي اسوق الكلام واياكم ايها العارفون استنهض
وبحمتكم وغيرتكم استعين فللوطن عليكم فروض مقدسة وللبلاد دين
عظيم فهبوا من رقدتكم وسهّلوا الطريق لابناء جسدتكم ومهدوا
السييل لاولاد وطنكم . وهياً اخلعوا عنكم ثياب الخوف والهلع واكشفوا
غوامض المصائب ويسنوا موضع الضرر لعل في الامكان تلافي الشر ومنع
البلاء الذي ضر . وها اني اذكره قبلكم واصرح باسمه في بادئ مشروعي
دون خوف ولا ارتياب وكيف اخاف من نفع وطني العزيز وله عليّ

فروض الوطنية والواجبات المقدسة فنفسى له الفداء وحياقي في سبيل مجده
سجيه .

ان البلية العظمى والطامة الكبرى وذاك الداء العضال الذي استحل
اثره واصبح شره يتاب الاهالي ويتهدد البلاد بالدمار هو . . . اليهود
. . . اليهود . . . فاليهود اصل البلاء . اليهود كل الضرر وجرثومة الداء
. . . اليهود مصابنا العظيم وخطبنا الجسيم فقد اصبحت فرنسا او بالحري
اوروبا فريسة لليهود وغنيمة باردة لم فأنهم لما لم يروا في طريقهم
مانعا او لقيح اغماهم رادعا طفوا وتمردوا ووجهوا سهام اطاعهم نحو جسم
فرنسا فانتزفوا ما يدور في عروقها من الدم المادي والمعنوي فاقوموا البلاد
بغوار القوى وابلواها بالضيق الشديد ينما كانوا هم ناعمي البال يتمتعون
بغيرات البلاد وانعامها وقد اغرام ازدياد قوتهم من يوم الى يوم فانتزوا
فرصة فقدان جانب عظيم من قوة فرنسا بعد حوادث السبعين وتمكنوا
من شن الغارة علينا والتصرف في اثم شووننا وتحصلوا على القوة بالمال
وعلى المال بطرق الفس والخداع وبهما حصروا موارد الفنى وينابيع الثروة
واقرونها بمكرهم الشيطاني في حين كنا لعظم الثقة بهم غافلين لقوتهم
مسلمين فاستبدونا وملكوا رقابنا واصبحت مغالب اليهود تشب فينا من
الوراء والامام حتى اصبحنا الآن بالرغم عن انوفنا نطيع لاوامرهم ونخضع
لاحكامهم . وفي الواقع بان كافة اموال اوروبا لا تكاد تكفي لسد اطاع
يهود فرنسا فقط اذا قصدوا تحقيق هذا الامر وابرازه من حيز الفكر
لحيز القوة . ولكنهم في الوقت الحاضر قد استولوا على كافة اموال فرنسا
ولم يكتفوا فيها بمصر المال واحتكار موارد الفنى بل طمعت انظارهم الى

في فرنسا والجزائر وتونس وغيرها من المستعمرات عقارات لا تقدر واقطاع
لا تعد ولا تحصر ثم حولوا النظر الى الشؤون الادارية والقضائية فراحوا يبتنا
يقضون ويفتون . يدرون امورنا ويتحكمون باموالنا وارواحنا فكاننا آلة طائفة
عمياء يتصرفون بها كيف يشاؤون ولا تمضي برهة من الزمن حتى يعرض
لهذه الآلة ما يحطمها فتذهب ضحية الآرب الخبيثة والاغراض الباطلة
المسافلة

قد بينت في خلال مشروعي هذا باننا في الوقت الحاضر نكد ونتمب
بل نهلك باليهود ولاجل اليهود . فباله من امر غريب ومنظر مؤلم محزن
كيف ان شعباً قد اتصف بالمقل وعرف بالشباعة والخبثات يتألف من
اربعين مليوناً من الانفس اربعين مليوناً من الفرنسيين خيار
الرجال يستعبدونها ثلاثمائة الف فرد من اجلاف اليهود . ان هذا لمن
العجب العجيب وامر مشين معاب . السنيا اخواني سلبية شعب طاب
اصله ومما قدره فسارت بذكره الركبان وأقرت بفضل الشعوب . فاين
همنا العلية واين نفوسنا الاية ايجدر بنا ان نسقط عرش مجده الى
حضيض الذل ونلطح سما تاريخه بحمأة العار . . . لا . . . لا . . .
سننهض بهمتنا المعروفة ونخوتنا الموصوفة ونضرب بسيف الحرية انتصاراً
للحق ونزيج به الغشاء الذي لم يزل يمنع عن اعين ابناء شعبنا الشريف النور
الحقيقي لعلهم يميزون به ما امامهم وينتهون الى الهاوية الهارية التي نتهددع
ولقد اخفى اليهود عنا امراً جديراً بالانتباه فانهم اذ علموا العلم
اليقين بان الامة الفرنسية وان تكن رقيقة الطباع دمثة الاخلاق يسرل

على مثل اليهود خداعها والمكر بها لا بد ان ياتي يوم ينكشف به الستار
عن اعمالهم فتنهض للانتقام من الذي ظلمها وعثت بحقوقها فتبليهم بالذل
والهوان وتهلكهم بالسيف عن آخرهم فقد انتبهوا لذلك وسخروا جمعية
مؤلفة من خواص رجالنا واعظمهم للذب عن صوالحهم وستر فظائع
اعمالهم وحرصوا على اخفائها كل الحرص وهم يعيشون في كنفها ويعملون
في ظلمها لاعلاء شانهم والقدر بما ربههم . نتعاقب الوزراء وولاة الامور
من زمن الى آخره وبقدر تعاقبهم تزداد الديون على عاتق البلاد وبقدر
ذلك تكثر الضرائب والمكوس وتزيد احوال البلاد ارتباكاً واضطراباً
فتسير بالسقوط الى حضيض العسر والفاقة . ومن يبحث عن السبب
رأى حوله ظلام وغوامض اسرار وخفي عليه ان الحكام المتعاقبين
هم اعضاء تلك الجمعية المعني عنها وقد سخرت بالاموال الطائلة
للمبث بمقوق البلاد وصوالحها وان الخلف والسلف يخضعان لرأس
واحد ويشتركان بمبدأ واحد وهو ايقاع البلاد بالعسر والارتباك في
حين يكون مسخروها متصرين فائزين لان امرهم مستوراً وشهرهم طيّاً
الخفاء . فلقد آن لنا يا اخواني ان نضع حداً لهذه الحال واخراً لهذا
الاضطراب وكفى ما نعملنا من مشاق الذل اذ اثابتنا ايدي الاعداء مدة
عشر سنوات كاملات ولم ينته ما طرقتنا من المصائب في غضون الحوادث
الاخيرة . وان اشارة من روتشيلد تكفي لاسقاط جسم فرنسا المختبط
بين يدي عدوتها الالدة التي لا تقتر عن التهديد والوعيد . ولا يغرب
عن القاريء باننا لا نوجه كلامنا الى سراة القوم وولاة الامور حيث انهم
يغمضون اعينهم ويغضون طرفهم عن النظر الى ما يتهددون من الخطر اذ

لم يتمكنوا من تلافي المصيبة وتدبير الشر قبل وقوعهما . بل نسوقه الى قسي الشعب المهين اللذين حفظتهما طبيعتهما من التلطف باوزار اليهود وهما جيش فرنسا وجماعة المال في المدن والقرى بدون استثناء فعليهما المعتمد وعليهما فقط نوطد اركان الامل ففي عروقهما يسري دم فرنسا الحقيقي الطاهر وفيهما تنحصر الشجاعة والحمية والغيرة عن الوطن العزيز مع جميع الحلال الشريفة التي اتصف بها شعبنا المشهور

ونضرب صفحاً عن كل خلاف سياسي او ديني تحدته الايام ولا زرع فرصة نفوت الا ونستعملها في مقاومة مقاصد اليهود الشريرة ونثقف قلباً وقالباً على اضعاف شوكة من يقصدنا بالسوء وبعد خلاصنا من القوم الاجلاف وبما يسببون من الارتباك واضطراب الاحوال ترجع اليها السلطة الاصلية ونفوذنا الاول ويرتد الى بلادنا السكينة والنظام ويرتفع من بين احزاب شعبنا الخلاف واقتراق الكلمة والمذاهب فالمدد عندنا كثير والقوة لدينا متوفرة وحالتنا تقتضي الدفاع والمحافظة على حقوق وطاقاتها الارجل وعبثت بها ايدي السفلة فاتصاراتنا الاولى وفوزنا المتعدد في احوال اعظم من هذه اهمية في حين لم تكن بقوتنا الحالية يضمن لنا النصر على الاعداء في هذه الحالة وتشيت شملهم في كل قطر وسبب ويكفيها لذلك الارادة وثبات العزم فان اليهود فملكونا بسلاحهم المعتاد وهو الخداع والكذب . اما نحن فانتا نخطم هذا السلاح بالنور الذي يكشف لنا ما كان يخفيه الظلام من اعمالهم القبيحة ونبيدهم بسيف الحق الساطع

لقد بين لنا المسيو " كاليكست دي دولسكي " في كتابه " لاروس جويف " [روسيا اليهودية] تعاليم اليهود الشرعية ومقصد هم السري وسلوكهم

القيح الحنفي وفصل لنا مباديء الفساد التي يثونها في كل بلدة حلوها كي
يتوصلوا لامتلاكها بأسهل الطرق . والمسيو دريمون كشف الستار في كتابه
" لافرنس جوفيف " [فرنسا اليهودية] عما يرتكبه من الذنوب ويستعملونه
من طرق الاختلاس واساليب المكر والخداع في فرنسا والمسيو م . ج .
مينير ارانا اليهود بصفة لصوص سرقة يسعون في الارض بالفساد . اما
انا فرأيت الواجب عليّ ان اقتدي بهم فاجهدت النفس لاطلاع قرائي
الكرام على حالتهم واعمالهم عموماً وفي الشرق خصوصاً وطريقهم التي
يسلكونها مع ما يقترفونه من الذنوب تحت اسم فرنسا ليعلم القاصي والداني
بان اسم فرنسا يلم وشرفها يبلط بالخارج بازوار اليهود باكثر منه في الداخل
وكنت افتخر بمشروعي هذا لاني عمات الواجب عليّ امام وطني العزيز
وابناء جلدتي الافاضل لولم اكن اقتفيت بذلك اثر سلفائي الافاضل الذين
خططوا لي ولا بد من وطني الطريق ومهدوا السبيل للغلاص من ورطة ويلة
وهاوية هارية فكنت على حد من قال

فلوقبل مبكاها بكيت صباية بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ونكن بكت قبلي فبيج لي البكا بكاهها فقلت الفضل للمتقدم

على انني اعترف بانني نلت من امثال سلفائي الكرام ولا من رجال
هذا الميدان وما عملته لا يذكر امام ما نطقت به اعمالهم من الفضل
وغزارة الوبل لكنني مع هذا أسر عند ما أرى كلامي هذا قد صادف موقفاً
حسناً لدى ذوي الاذواق السليمة واثار الحمية في رؤوس محبي الوطن
العزيز فنهضوا للاقتداء بي بهذا المشروع تلافياً للخطر وتداركاً للمصائب واطلب
من اولياء الفضل اسبال ذيل المعذرة على ما يروونه من الهفوات وبالله المستعار

ضلال اليهود

ان من تصنع التاريخ القديم واطلع على ما احتوته بطون اوراقه من تاريخ الامة اليهودية منذ نشأتها يتعجب من عظم الانتقباض والتأثير اللذين يستوليان عند قراءته على النفس ولا سيما اذا قابل ذلك التأثير بما كان يشعر به من السرور لو تصفحه حين الصغر . فان الصغير لا ينظر فيه الا للامكان المسره والحوادث البسيطة التي تتسلط على عقله وترسخ في ذهنه اما الامور العالية والمبادئ الفلسفية فانها تفوته ويقصر عن ادراكها لانها تقتضي الخبرة التامة وسمو المدركة والفكر الثاقب وهذا كله ينقص الصغير مهما كان متنبهاً ذكياً لان تلك لا تحصل الا بالعلم وزيادة الاطلاع اللذين لم يبلغ اليهما بعد ولهذا فلا يمكنه فهم الحوادث وتقديرها قدرها . واذا تصفحها هذا الصغير عند بلوغه سن التمييز فان سروره من قراءة ذلك التاريخ ينقلب عند ذلك الى عجب واندهال ويتحول الى كراهة الشعب الاسرائيلي ويحكم بماوة قلبه وغروره وذلك عند ما يرى سرعة تقلب هذا الشعب وغلظ عقله وجموحه عن الطريق المستقيمة التي التزم عقلاؤهم تخطيطها حتى عجزوا عن وضع حد لهذا الثقب وشكيمة لهذا الجموح رغماً عما وهبهم اياه الله من الحكمة السامية والغيرة العظيمة . فان الشعب الاسرائيلي بعد ان وفقه الله بواسطة نبيه موسى الى الخلاص من مصر واستعباد المصريين وقساوتهم عدلوا عن السير ورغبوا عن الحرية الى العبودية وارادوا الرجوع الى قيود الاستعباد

وفضلوا خدمة مصرين فرعون على التمتع بحرية النفس وكادوا يتغلبون
على قائدهم موسى لو لم يتأثرهم فرعون بقومه ويدركهم بجيوشه وشجعانه
يخافوا عند ذلك من الهلاك واذعنوا لرأي موسى بعد ان كانوا عصوه
وطلبوا اليه ان ينجيهم من الهلاك كما اعتق رقابهم من العبودية . وبعد ان
خاضهم موسى بقوة الله عند شق البحر الاحمر واغراق فرعون وقومه
وصعد الى جبل الطور ليتلقى الوصايا العشر ويسنّ التريعة الالهية فلم
يكده يتوارى عن اعينهم الا ونسوا المهم الحقيقي الذي اعتقهم من الذل
والاسر والهلاك فعمدوا لاصطناع العجل الذهبي وداروا حوله يعظمونه ويكرمونه
واعمال موسى وخوارقه ومعجزاته التي خلصت هذا الشعب مراراً عديدة من هلاك
الجوع والعطش والموت الاحمر لم تكن الا لتزيده عصياناً وكفراً وقساوة وهكذا
قضى هذا النبي جميع ايام حياته في تلافى كلما يحدثه اليهود اللثام من كفران
النعم والغلطات الشنيعة . وحالة اليهود السيئة لم تكن في ايام موسى فقط بل
انما ما زالت تزداد وتنمو ايام القضاة والاحبار والملوك المتعاقبين بعد موسى
وكثيراً ما كان يعود عليهم ذلك بالخسران والذل فيبليهم الله بالسبي والهلاك
قصاصاً لهم ثم يبعث اليهم بالرسل والانبياء ليرشدوهم الى المحجة البيضاء
والنور الحقيقي فكانوا يبادثونهم بالشر ويميتونهم شر الميثاق بعد ان يذيقوهم
العذاب الوثاق . وكانوا عند ما يرسل الله عليهم سيف الانتقام ويشعرون
بالالم يرجعوا اليه بالتوبة والخضوع فيرحمهم ويخلصهم مما ابلاهم به ان الله
غفور رحيم ولكن لم يكن يمضي على ذلك ايام قلائل يستبدلون في خلاصها
طعم العذاب بطعم الرفاه فينبذوا طاعة رؤسائهم او بالحري يسوقونهم هولاء الى
عبادة الاوثان التي كانوا يفتنون باحداثها كل يوم

فهذا كان ذأب اليهود والى هذه الدرجة بلغت قساوة قلوبهم وفظاعة
اعمالهم فان ديدنهم ارتكاب المعاصي والذنوب التي تقشعُر منها الابدان وتشيب
لهول ذكرها الولدان

ورأى الله بعبد ذلك بان الشعب الذي اصطفاه قد شقَّ عصا
طاعته وبذ جميله وانكر فضله فعالجه ولما لم يرَ لدائه شفاء غضب وسلط
عليه الشعوب المجاورة فاذلته وقهرته واسرته رغماً عن كثرة عدده وقوة
جيشه وهكذا لم تزل المصائب تتابه والقبائل تتناوشه حتى انحلت عراه
وتشتت منه الشمل وتاه بين قبائل المسكونة وشعوبها وقد اندرست اثاره
واندكت عروش مجده . واذا اردنا الوقوف على حقيقة اخلاق هذه الامة
من اول نشأتها حتى الآن فان التاريخ يرينا اياها بزي امة طبعها
الاحتيل والمكر ودأبها الاختلاس وارتكاب المحرمات . تميل بالفطرة الى
المعصية والمنكر . سريعة التعمد على الاستعباد والخدمة . ميالة الى الذل
وعبادة الاوثان . لا تعترف بجميل ولا تقتر بمعروف . كثيرة التذلل في
الغلبة والسقوط . شاحخة قاسية سفأكة في الانتصار . وهذا ما رمى بها
في وهدة الذل وادى بها الى التفرق والشتات وهي مع ذلك لم ترتدع
ولم تعتبر بل انها الى يومنا هذا لا تزال ترتكب عظام المنكرات وتستعمل
طرق الفس والحداغ ولم تحفل ان جعلها ذلك عرضة لاهانة الشعوب
الاخرونفر منها الهيئة الاجتماعية . ولو لم يختلط اليهود بعد تفرقهم بين
الام التي دخلوا فيها والتي ذاقوا مرارة جوارهم المشوم لكان يجمعهم
حيث اهانته الشعوب وطردهم لم بعيداً بقدر ما يجمعهم الان شدة تمسكهم
بعرى الالاماني التي يعقدون الخصاص على تحقيقها وبراها الى حيز الوجود

التلمود

ومن المعلوم بان المتأخرين من اليهود يحاولون الاستمسك بعوائدنا وتقليد بدعنا وهذا ليجوّلوا انظار الرأي العام عنهم كأنهم جهلوا ان مقالاتهم العديدة وخطبهم المتتابعة التي يفوه بها رؤسائهم في الاجتماعات السرية وعموماً جميع اعمالهم تكشف ما تكنه قلوبهم من الحقيقة الساطعة وتظهر شدة تمسكهم بالجنسية وانهم انما يتخذون جنسيتنا درعاً متيناً وحصناً حصيناً يدرأ عنهم الظنون ويسعون وراءه لبلوغ غايتهم الموهومة او مآربهم الشيطانية التي زجتهم في وهاد الغلط وعدلوا لاجلها عن السراط السوي ولكي يبعدوا من ذلك مغرجاً اخذوا يبحثون في ايجاد وسيلة تمنع ارائهم من التفريق فسنوا التلمود الذي اصبح مختصر مبادئهم الدينية وعنوان سلوكهم المدني فهو يسبح لهم ما يميلون اليه بالطبع ويشجعهم على استطراد خطتهم القبيحة . فانه بعد سقوط الامة النهائي وهبوط عرش مجدها اي عقب انتشار الدين المسيحي تشتت اليهود في كل قطر وبسبب واضطر كل فريق منهم ان يخضع لنواميس البلاد التي سكنها وبطبع لاحكامها وشرايعها ويترك قبالة ذلك اشياء كثيرة من عقايد دينه الاصلي فقام نصراء الدين في اورشليم وبابل واهتموا بوضع قانون يضمن بقاء الشعب على مبادئه الاولى مع مطابقتها للاحوال الحاضرة والسياسة المطردة وحيث لم يخف عليهم ما كانت عليه الامة

من الضعف الطبيعي وعدم الاهلية للاعمال المفيدة الامر الذي
اضطرها الى المعيشة في ظل الشعوب الاخر^١ اخافوا الى غيرتهم وحميتهم
ما اخذوه عن سلفائهم من المهارة وحسن التدبير وفكروا في الوسائل التي
تبدل ذلك الضعف بقوة وتبرز تلك السعادة الموهومة الى حيز الوجود .
ولا يخفى ان موسى وخلفاءه لم يكتفوا في الزمن القديم بتعليق الشروح
والتفسير على الشريعة الالهية الاصلية بل كان اهتمامهم ايضاً باضافة
اشياء كثيرة الى فروضهم الدينية من شأنها ان تقدم بقيود لا يخرجون
منها ليتمكنوا بها من جمع الامة تحت جناحهم منعاً لشلها من التفرق
ولرأي افرادها من الاختلاف . ولما لم تكن ضرباتهم المتعددة مدرسة
تجارب تعلمهم الاذعان لراي رؤسائهم او يتمكن الاخيريون من حفظهم
ضمن دائرة النظام بما وضعوه لهم من القيود والقوانين وتفرقوا في اقطار
المسكونة اضطروا رؤساء للاذعان لحالتهم ومجاراتهم على سيرتهم باده
بدء ولكن عند ما آل امرهم الى التفرق والشتات بين شعوب البسيطة
خاف رؤساء الديانة المستحدثون من انقراض الشعب الاسرائيلي عند
ما راوا سرعة تلاشي أكثر عوائده والفاء جل عقائده نظراً لاختلاطه
ببقية الشعوب وانتشار نذره القليل بين جموع الامم العديدة علموا حين
ذاك مقدار الخطر الذي يهدد امتهم وعمدوا مقهرين الى نسخ القوانين
الاولى اي الشريعة المقدسة لانها تفل ايديهم عن فعل ما يميلون اليه
بالطبع وابدالها بقانون جديد يوافق رداة قسدهم ودناءة اصلهم من
شانه ان يربط الامة ببعضها وان تفرق الاجسام ويقضي على عمومهم
بالتعاضد والتعاون فاسسوا هذا القانون على زعم ان سعادة اسرائيل موعودة

من الله وعليه فيجب ان تطمح انظاره الى ما لا نهاية له من توسيع
الامتلاك والسلطة فرفعوا كل ما يضاد هذه المبادئ ويجول دون تحقيق
هذه الاماني واعفوا اسرائيل من كل ما يقضي عليه بفرض ادبي لغيره
من الامم فذهبوا بقيود القانون الموسوي وعبثوا بالشريعة الالهية غير مباليين
بما سينتج عن ذلك من فساد الديانة والزوغ عن الذي لا يشكون بحقيقته
فانه فضلا عما أُعطي اليهود من الامتيازات على كافة الشعوب الاخرى في
ايام ايناس ابراهيم والنبي موسى فان الشريعة الموحدة تقيد الشعب بقيود
وتقضي عليه بفروض نحو اخوانه بالانسانية بدون استثناء امة ما وعليه
فلا نص بتلك الشريعة يسمح لليهود الخروج عن الحدود الموضوعه لهم او
يساعدنهم على الاستقالة من "الفروض التي تفرضها" ولكن فسر هذا واضعوا
التعود بزعمهم ان ما تفرضه الشريعة عليهم يكون امام اخوانه بالجنسية فقط
يقطع النظر عن بقية الشعوب الاخرى ولكن لا يعقل بان تلك الشريعة
الموحدة من الله المنزهة عن كل عيب ينقصها ما يختص بعلاقات
الاسرائيلي مع الامم الاخرى . اما المبدأ الذي بني عليه التعود فهو
ان العزة الالهية قد اعدت للامة اليهودية امتلاك الارض بمرمتها ووطئها
بالتمتع بجميع خيراتها حيث انها خلقت لاجلها وكانت لها وسترجع
اليها بالماجل او بالآجل . وقد جاء في التعود ما نصه بالحرف الواحد
"ياح لاسرائيل بل يقرض عليه قتل من امكنه قتله من "الجووم"
اي الخارجين عن اسرائيل" ثم "قال [الجووم] حق لليهود وعليه فانه
يجوز اغنصابه والا فسرقة"

فهذا كتابهم المقدس وهذه قاعدة واساس مبدأهم وسيروهم في هذه

الايام فكأنتا حيثذ على الارض عبيد مسخرون من الامة اليهودية للشقاء والتعب وبالتالي فللسيد ما يملك العبد

وقد انشأ برافان اليهودي الذي اعتنق الديانة المسيحية من زمن وجيز كتاباً كشف به الستار عن جميعات اليهود السرية التي يسمونها " بالكاهال " وعما يقررونه من الاعمال الفظيعة والطرق التي يتخذونها لافساد الاعمال وايقاع البلاد التي يسكنونها بالارتباك ليتمكنوا من انتزاف خيراتها وسلب اهلها بالخداع وليس هذا فقط بل ان الكاهال المذكور او المجلس السري يحكم لكل فرد من افراد الامة بالحرية المطلقة ويبيع لهاملاك اموال وعقار اي شخص من الطوائف الاخرى يذكره في طلبه المقدم لذلك المجلس وبالتالي التصرف بذلك الرجل حسب مشيئته . ولتسهيل ذلك يفرض على اخوانه بالديانة مساعدته وامداده بالقوة والمال بشرط ان لا يراحمه احدهم في غنيمة

فذلك هي حالة الاشخاص الذين غفضنا الطرف عن اعمالهم فانبثوا بين ظهرائنا وطمحت انظارهم الى الدرجة القصوى من السلطة والمجد . والذي سهل لهم بالاكثر الدخول بيننا واطمعههم في رجالنا واموالنا هو فواعدنا الثلاث الاخافة والحرية والمساواة فقد مهدت لهم الطريق وطمبلوا بها عما كانوا يلاقونه قبل من الصعوبات التي كانت تبعدهم عن تأريهم فانه لما تمتعت مبادينا الحرة وامتنعت عنهم تلك الاضطهاداث لدائمة امنوا على انفسهم واهيجوا يتظاهرون بالتودد الينا فكناهم من النهب والسلب حتى استعمل الامر وثقام الخطب ولما كانت بانهم تقضي عليهم باتفاق الرأي والتعاصد على عظام الامور كانوا بين

ظهراني امتا متفقين قصداً ومبدءاً وقد احتالوا على القسم الاعظم من اكبرنا فاستمالوه اليهم وبعد ان بثوا فيه مبادئهم الفاسدة تواطؤوا معه على الشر واتخذوه ذريعة لتنفيذ ما يريدون وستراعمالهم المباحه لهم في التلمود

ولما علم اليهود بان اقرب الطرق للوصول لغايتهم المقصودة هو بث روح الشقاق في جموع الامة وتفريق ارائها ومبادئها لم يقتصر على الاشتغال بذلك في المحافل الادارية فقط بل تحرشوا في المحافل السياسية ايضا وقد نجحوا بذلك نجاحاً عظيماً حتى اصبحوا رؤساء تلك المحافل وقاموا يشددون التكبر على كل من يخالف مبادئهم

والغريب بان هؤلاء القوم لما اصبحوا رؤساء المحافل الادارية والسياسية تصدى بعضهم لبعض بالخلاف والمعارضة مع انه من المؤكد بانهم متفقون باطن الامر مبدءاً وثابتاً وان تظاهروا بالمخالفة فلكي يجعلوا الامة فرقة متفرقة ويسعوا بزرع العداء والشقاق بين الفرق التي يرأسونها وهكذا يتمكنون من اسقاط الامة بعد تفريقها ويشغلون بعدها او في خلالها لاعلاء الشعب الاسرائيلي وابلاغه الى الدرجة القصوى

كانت الجرائد والمطبوعات في فرنسا اكبر موجب لتقدمها وحصولها على الشرف والعظمة وهذا الامر لم يبقَ زمناً طويلاً محجوباً تحت استار الحفاء عن انتظار الامة اليهودية فقد جردوا في الاخر عليها جيوش مكرم وساعدهم على ذلك القوة المالية والنفوذ الاداري فاستولوا عليها وصيروها كغيرها آله هائلة يوهون بها على اعين الشعب ويحولون الحقائق فيها الى نفاق وبهتان ويتمون ما بدأوا به في المحافل السياسية من شق الشعب الفرنسي وتفريق كلمته ليوقعوه بارتباك الاحوال

فاعظم الصحف السياسية في باريس وغيرها لا يخلو عداد محرريها من اليهود الا بعض التي لا اهمية لما وها انا اذكر ما خطر بآلي من هذه الجرايد واسماء الاشخاص تثبت القول

الجلول - اريتر ماير - الكري دي ييل "جيهار" صاحب امتيازها " الفيجارو البرت وولف وهاليود - اللاتيرن - اوجين ماير - المودورد - والايكودي باري . والايفيرنا سيونال . فالين سيمون - لاناسيون . كميل دريفوس - باري فيل بيكار - لابي . القونس مليود - لاريوبليك فرانسز . جوزيف ريناك - الراد يكال سيموند - التلغراف ج سيمون . وغيرهم كثير ما يضيق القام عن حصر اسمائهم وذكر الجرايد التي يمررونها او يديرونها

اما الجرايد الحرة التي يخلو عدد موظفيها من اليهود فانها تخضع طوعاً او قهراً لسلطة اسرائيل بمجرد اشتراك اربابها مع اليهود وهكذا بقيت مقاصد اسرائيل وافعاله الشنيعة تحت حيز السر والحفاء ولا يحسر احد على الاباحة بهذا السر المكنون ولو قامت بين هذه الجرايد حروب من الجدل وحى وطيسها

فكل من القراء يرى حالة فرنسا السيئة وما هي عليه في الوقت الحاضر من الارتباك الداخلي . ولو سئل عن السبب لاجاب بلا شك انه يجهله وكان اشبه بمريض يشعر بوطاة الداء ولا يعلم لذلك علة وبحس بالالم ولا يعلم محله ولا غرو بذلك فان جرائد البلاد الحرة هي المكلفة لدى لامة مجل هذه المشكلة وهي وحدها الطبيب المكلف بالبحث عن جرثوم الداء ولكن اني لجرايدنا كشف الستار عن حقيقة الامر وقد اتدبت

لستوها وسخرت لازهاقي الحق وبث الباطل

فاليهود اذا هم سبب فقرنا وعلّة بلائنا وقد سافتهم اميالهم الشريرة
وطمعت انظارهم البعيدة الى ما فوق الحدود فسمعوا في الارض فساداً
وعبثوا بحقوق كل شعب وامة وزعموا بان الدنيا ملكهم القديم وسترجع اليهم
كما وعدم بذلك اباؤهم وعليه فلا يهمهم اعتلاء او هبوط احدي قطعها
في سبيل تنفيذ ما ربههم فقصدوا الوحيد زرع الشقاق والفساد بين قومنا
واصبحنا في يدهم آلة يدبرونها كيف يشاؤون ويميدون بها الطريق التي توصلهم
الى السعادة المستقبل والمجد الموعود

واكبر شاهد على خداع اليهود ومكرهم ودهائهم السياسي تمكنهم
بالسهولة من استمالة جميع المحافل السياسية وخب عقول روستائها حتى
اصبح اشراف المملكة وعظماؤها والنائبون عن الحزب الملكي فيها لا يعجبهم
الا معاشرّة اليهود ولا يهتأ عيشهم الا بمجالستهم ومسامرتهم ولا يميلون
الا الى عوائدهم والظاهر بان هذا القسم المهم من المملكة يستميل اليهود
اليه لعلهم بانهم وجدتم القابضون على ازمة المال والسياسة واليهم مرجع
الامر والنهي في جميع المقدرات وقد ظن الملكيون بان اليهود لا يتأخرون عن
امدادهم بالنفوذ السياسي والاداري عند اللزوم اذا مكنوهم من اغتصابها
الآن

اما حزب الاحرار فقد انتصر لليهود وقام يشدد التكبر على كل
من ينسب اليهم سوء النية ويرميهم بالتعصب الديني والتعزب الجنسي وقد
زعم بان اليهود قد اصبحوا من ذوي الافكار الحرة لاختلاطهم بالمليّة
المتمدنه وقد خلعوا عنهم كل تعصب واستبداد وان اكبر شاهد على حرية

افكارهم نفورهم من الكهنة وبعدهم عن رؤساء الديانة فكان الذاهين هذا
المذهب خفي عليهم او تعاملوا عن النظر الى عدد المساجد اليهودية التي
تزايد يوماً عن يوم في المدن والقرى والى عدد الواردين لزيارتها فقد
اصبحوا ضعفي مثله في الزمن الماضي او كأنهم لا يرون بان اليهود قاموا
الآن ينشئون المدارس الخصوصية لابنائهم بعد ان كانوا يعلمونهم بالمدارس
العمومية وهذا لكي يلقنهم التلمود ويرسخوا في اذهانهم التعاليم الدينية
والاحكام التلمودية فيشبعوا على بعض الجويم ويرتاح ضميرهم عند اختلاس اموالهم
وسلب حقوقهم وارواحهم . ومن العجب ان يدعي اليهود حرية الافكار
ونرى جرائدهم التي هي لسان حالهم تشدد التكبر على الكنيسة المسيحية
وترميها بالتعصب والاستبداد على غير طائل مع اننا لا نرى ولا واحداً
منهم قام ضد الاعتقادات اليهودية وذكر التلمود بلام مع ان الحرية ترتجف
لدى ذكره وقلب الانسانية يرتعش من فظاعته

فلا شك اذا في تمسك اليهود بعري تلمودهم ومحافظتهم كل المحافظة على
اعتقاداتهم وكنت لا ألومهم على هذه الامانة ولا انكر عليهم محافظتهم على
فروض الديانة لو لم تكن هذه اباحت لهم المحرمات وحلت لهم سفك دمائنا
وسلب اموالنا وهم مع علمهم بمنافاتها للانسانية والحرية لا يرضون تعديلا لها
او تمحوها خوفاً من فقدائها برمتها

دياتنا قاوموا الصليب اجيالاً عديدة. وسينياً طوالاً . مع انه قد عظمت
 قوته وكبرت شوكته حتى اصبح والملوك تعيش تحت لوائه . والسلاطين
 ترفل بنعمائه . وبدل ان يضر ذلك بامتنا وضوالمها لم تزل قوتها تزداد
 يوماً عن يوم والشعب يرتفع ويعظم . فقد خضعت الاجيال الماضية
 لاعدائنا . لكن الجيل الحاضر والاجيال الآتية يجب بان تطيع لحكمتنا
 وتنفيذ مقاصدنا لنا جماعة بني اسرائيل نعد لا بدع انها
 لنا فقد ملك شعبنا بقوته اعظم الملوك ونال بصبره وثباته خير
 كل مملوك ألا وهو المال . العجل السمين الذي قدمه هارون قرباناً
 لله واصبح اله الارض في عصرنا هذا . فكيف لا نؤمل منه ارجاع
 السلطة لنا وتغافل بطلعته اناطة القدرة والحكم بنا دون غيرنا وهو بنفسه
 للقدرة والقوة الجزء الأمل وهو مفرج الكروب مذل الصعاب
 وهو هو المحور الذي يدور عليه الكون كافة هو ملك الاستقبال هو حسن
 المال هذه المرة العاشرة التي بها يجتمع رؤساء الاسباط حول لجند
 سبندا كاليب سيمون بن يهودا في خلال الف سنة ثارت بها على امتهم
 الاضطهادات الدائمة المشومة للمداولة فيما يجب اتخاذه من الوسائل
 لتلافي تلك المصائب والانتقام من سببها لنا وجرها على رؤوسنا . نعم
 بان الهيئة في تلك المرات العشر المذكورة قرّرت وجوب المقاومة والثبات
 وجاهرت بالمداولة لاعدائنا واقامت عليهم الحرب على ساق وقدم ولكن
 لم تكن لهم القوة التي لنا الآن ولا ذلك النفوذ الذي تمصنا عليه بما
 ملكناه من الاموال العظيمة وذخرائه لهذا القصد . فيجب والحالة هذه
 ان يبيح ذلك فينا روح الامل ونهب من رقدتنا . فقد طاعت الايام لنا

دياتنا قاوموا الصليب اجيالاً عديدة وسينياً طوالاً . مع انه . قد عظمت
 قوته وكبرت شوكرته حتى اصبح والملوك تعيش تحت لوائه . والسلاطين
 ترفل بنعمائه . وبدل ان يضر ذلك بامتنا وضوايحها لم تزل قوتها تزداد
 يوماً عن يوم والشعب يرتفع ويعظم . فقد خضعت الاجيال الماضية
 لاعدائنا . لكن الجيل الحاضر والاجيال الآتية يجب بان تطيع لحكمنا
 وتنفيذ مقاصدنا لنا جماعة بني اسرائيل نعم لا بدع انها
 لنا فقد ملك شعبنا بقوته اعظم الملوك ونال بصبره وثباته خير
 كل مملوك ألا وهو المال . العجل السمين الذي قدمه هارون قرباناً
 لله واصبح اله الارض في عصرنا هذا . فكيف لا نؤمنل منه ارجاع
 السلطة لنا ونفاهل بطلته اناطة القدرة والحكم بنا دون غيرنا وهو بنفسه
 القدرة والقوة الجزء الأمل وهو مفرج الكرب مذل الصواب
 وهو هو المحور الذي يدور عليه الكون كافة هو ملك الاستقبال هو حسن
 المال هذه المرة العاشرة التي بها يجتمع رؤساء الاسباط حول لحد
 صيدنا كاليب سيمون بن يهودا في خلال الف سنة ثارت بها على امتهم
 للاضطهادات الدائمة المشومة للمداولة فيما يجب اتخاذه من الوسائل
 لتلافي تلك المصائب والانتقام من سببها لنا وجرها على رؤوسنا . نعم
 بان الهية في تلك المرات العشر المذكورة قررت وجوب المقاومة والثبات
 وجاهرت بالعداوة لاعدائنا واقامت عليهم الحرب على ساق وقدم ولكن
 لم تكن لهم القوة التي لنا الآن ولا ذلك النفوذ الذي تمصنا عليه بما
 ملكناه من الاموال العظيمة وذخرائه لهذا القصد . فيجب والحالة هذه
 ان يجبي ذلك فينا روح الامل ونهب من رقدنا . فقد طاعت الايام لنا

وخضعت لاحكامنا وبذا بلا شك تحصل على الغرض المقصود والغاية
القصوى وتكتطف ثمرات ما اظهره شعبنا المقدس من الصبر الجميل والشجاعة
العظيمة في تلك الايام المشومة ايام كان اعداؤنا المسيحيون لم يخلعوا
بعد عنهم ثوب الحمية والتوحش اما الآن وقد دخلوا في دورهم الجديد
دور التمدن الانساني فالواجب بان تتخذ قمتهم هذا درعاً متيناً وحصناً
حصيناً تنقي وراءه سهام العدو ونдрأ عنا تواتر ضرباته وتندبر في هلاكه
واسقاطه الى دركة لا يكون له منها قيام . ونجناز بقدم السرعة والثبات

تلك النقطة التي تحول بيننا وبين قصدنا السامي وغايتنا المقدسة

فليتنقل كل منكم معي بالفكر ايها الاحياء ولتعم النظر في حالة
اوروبا الحاضرة وتفتحص بين المنتقد البصير ما نهجه اخواننا اليهود من
الخطط واتخذوه من الطرق التي فتحت لهم ينابيع المكاسب وامطرت
عليهم سمائب الارباح من ابتداء جيلنا الحاضر فانسالت بينهم كالانهار
فقطفت لهم الارض ومحت ما كان مدوناً في صفحات التاريخ من دواهي القل
والموان ومهدت لهم السيل وسهلت الطرق الموصلة لتنفيذ ما ربههم وتتميم
غاياتهم . فقد اصبح اليهود عموماً وآل روتشيلد خصوصاً ارباب المال
 واصحاب الحل والعقد في باريس ولوندره وبطرسبورج وفيينا وبرلين
ورومه وفي جميع الممالك والبلاد فعليه المعتمد واليه في عظام الامور
المرجع . وقد اصبح من المستحيل ان تشرع اعظم دولة واغنى حكومة
في مشروع مهم او امر مالي ان لم يجد لهم بنو اسرائيل المساعدة ويمدوهم
بلايين والمليارات . فاي ملك او اي امير يسعى لتكثير جيشه او تقوية
عسكره حفظاً على حياته وخوفاً على مركزه الحرج من السقوط والزلة الا

وكاهله مثقل باعباء الديون لنا وعليه فاننا ارباب المال ومالكو الخزائن وقد ياتي يوم نسترن الخطوط الحديدية والمعادن والفابريقات وعموماً كل شيء ذي مقدار قبالة ما تقدمه الى المالك من المبالغ العظيمة والقناطير المقنطرة وعندما تعجز الدولة عن تسديد فوائد ديوننا الفاحشة نسترن ايضاً ضرائب الشعب ومكوسه لنقوم بالبحر وسد المتأخر ويبقى علينا نقطة مهمة وامر عظيم وهي الفلاحة معدن الغنى واصل الثروة. فان امتلاك قسم عظيم من عقارات الارض وارااضي البسيطة تجعل لنا اشرف الاعظم والسلطة الكبرى على كل ذوي الانقلاب الشريفة والمقامات السامية ويتبع ذلك ان نحمل ذوي العقارات الاخرى انواع الضرائب واعظم المكوس بحجة ان ذلك وفقاً بجماعة العمال واعانة لفقراء المزارعين لبسهل علينا شراهما ويهون الحصول عليها. وعندما تصير الينا جميع العقارات ويتناط بنا وحدنا امر الفلاحة ينضم الينا واسط الناس والمقلاء والعمال الذين لا مال عندهم ولا وسيلة لهم لا اكتساب قوتهم الضروري سوى استغال اليدين فنستنتج من هولاء القوايد الجمدة ونستعملهم لاغراضنا وتنفيذ ما ربتنا. فقد قال الحكماء الفكريه العبوديه

ان الشعب الاسرائيلي قد طُبع على الطمع والكبر وشبَّ على حب العظيمة والجلاد. ولقد وهب الله لشعبه الخاص رقط الحيه ومكر الثعلب وخضه بالذكاء والحكمه. ورمى في قلبه حب الوآم والتجمع. وميزه بالغيرة على ابناهمجنسه. فلن يسقط شعب وهبه الله هذه الصفات. قد بلبنا بسبي بابل وذقنا به مرَّ العذاب. اما الان فقد اصبحنا وحدنا القادرين على كل شيء. هُدمت. هياكلنا وحرقت مذابحنا. ولكن شدنا منها

كثيراً واقمنا بدلها الوفاً مولفه . مضى علينا في العبودية ثمانية عشر
جيلاً . وقد خرجنا من وهدة الذل واعتلينا على كافة الشعوب . ورب
قائل يقول بان البعض من آل اسرائيل يعتمد بالله ويعتق الديانة
المسيحية . . . لا باس . . . فقد خفي على ذلك القائل بان كل من
هؤلاء الجاحدين سيكون لنا عوناً وساعداً متيناً يخطو اماننا اول خطوة
ويهد لنا سبيل الوصول الى افق السعادة العظمى وطبقات المجد التي تعد
الدقائق اعواماً بانتظارنا . فمن دخل في ديانة اخرى غير دين ابائنا فانه
ينظر دائماً الى الوراء وينسحب تلك للديانة التي الجأته للضرورة الى
نبذها ولو في الظاهر فان قلبه يبقى الى ما شاء الله اميناً لايه ونفسه
تصرح بالاخلاص لديانته المقدسة . وليكن مؤكداً لديكم انه لا يمضي بنا
جيل على الاكثر الا ونرى ليس فقط ان آل اسرائيل يتبنون الديانات
الاخرى وراء ظهورهم ويطأونها بارجلهم بل ان آل محمد وآل المسيح
يتمنون عند ذلك اعتناق ديانتنا ويطلبون الاهتداء الى النور الحقيقي
ولكن خابت آمالهم فان اسرائيل يعدم حينذاك عنه بعيداً ويطردم
بذل واحتقار

لا عدو لنا الله ولا قوة لدينا اشد من الكنيسة المسيحية فلا
نهتم بغيرها ولا نخشى باس غير قوتها فقد اصبحت ولما النفوذ الاكبر في
المسكونة كافة وراحت تظلمها الشعوب وتحرمها الوزراء والملوك . فلتدفع
بالصبر وتسلح بالشجاعة والثبات ونسعى جهداً وراء تخفيف نفوذها
واسقاط شوكتها ولكن الواسطة النافذة والطريقة الموافقة لتحقيق آمالنا
هي ان نحمل انفسنا فوق ما تظن وتداخل مع رؤساء الملة والدين

الذين يعلمون الناس العقائد والاسرار لتعلم افكار الطبيعيين منهم والارائفة
 والمتشقين وتقيم بعد ذلك على الكنيسة حرباً عواناً ونبلها بالاضطهادات
 القوية والمجادلات الدينية المقدسة. ولنعلم قبل الدخول بها بانها بحر عجاج
 متلاطم بالامواج ونستمد للقوض في عباب هذا البحر والأغرقنا في لجمعه عن غفلة
 منا ورجعنا بالوبال والخسران. فانها منقسمة لعدة اقسام ويذهب إليها
 مذاهب شتى وكل له اعتقادات وعقود. فليبدأ اولاً بكسر شوكة روائسها
 وضباع نفوذ كبارها فنحط بقدرهم وتدخل الشكوك والفساد في معتقداتهم
 ونوجه سهام الاحتقار والهزؤ على سيرتهم واطلاعنا على الاسرار يرينا
 وجه التتديد ويفرق لنا ما بين الرأي الفاسد والسديد فناخذ الحية من
 راسها وتوصل الى اخماد انقاسها. واعلموا ان عدو الكنيسة وخصمها
 القوي هو النور الطبيعي وهذا نتيجة الادب والتعليم واصلهما كثرة المدارس
 ونشر العلوم والمعارف الطبيعية وغرس المبادي في عقول الصغار. فما الذي
 يعيقنا عن السعي وراء ذلك وما الذي يحول بيننا وبين تحقيق هذا
 الامل. فليقتض كل منكم على المدارس العالية انقضاء البواشق ويختطف
 وظائف المعلمين ويعلو مراتب الاساتذة الكبار ويث في قلوب التلامذة
 مباديتا الحرية وليكن مبداءكم في الاول المساواة بين المذاهب والوحدة
 في الاديان وهكذا يسري تعليم هذا الفرع المهم بالسقوط والانخفاض
 ولا يلبث ان يتلاشى بالكيفية في المدارس فنندها نشن الغارة على
 الكنيسة وتوصل الى الفناء ديانتها ونسحق كل عقائدها ومنسوخاتها فكل
 حرب وكل ثورة دينية تقرب لنا الطريق وتوصلنا بغير اوان لغايتنا القصوى
 وقصدنا السامي.

عليكم بمنصآت الحكم ووظائف الحكومة فمن تحصل عليها وقرنها
بالقطة توصل الى ينبوع السلطة واصل القدرة ولا اعني بتلك الوظائف
الا المراكز المهمة والمراتب العالية التي بها وجدها يتعلق الشرف والجاه
ومنها تسري بنايغ الفنى والنفوذ اما الوظائف الثانوية والمراكز الدنيئة التي تقتضي
التعب والكد فاطرحوه عنكم بعيداً واتركوها لمن حُكم عليهم بالشقاء ونكد العيش .
ولم لا تطمح انظارنا لآعلى درجة من العظمة والجاه وقد اعطينا جميع
القوى الادبية والمادية . وكيف لا نصمم وزراء ومشيرين للدول ونحن
صناديقها ومفاتيح خزائنها . من المواجه الضرورية ان نشغل جانباً عظيماً
من قوانا العقلية بالعلوم العالية كالفلسفة والطبيعات والسياسة وما شاكلها
من العلوم والفنون وعلى الخصوص علمي الشرع والطب فان الاول
يوصلنا لمعرفة اسرار الاعداء ووجه ضررهم والتسائي غلك به حياتهم
وبماتهم . ولا تهملوا امر القضاء فاذا اعتلنتم منصّة الاحكام وكان لكم
من العلوم المذكورة القسم الاعظم والسهم الاكبر تطيع لكم المراتب
العالية وتخضع لديكم المقامات السامية وتلقى اليكم مقاليد الاحكام
فيسهل عليكم حينذاك ابطال تلك القوانين التي سنها " الجويم " الخطاة
الغير المومنين ضد شعب الله المتمسك بشريعة ابراهيم المقدسة . وعندما
يخطو احدكم خطوة الى الامام ويسير على قدم النجاح عليه بالآ يفتر
بنجاحه ويضض له جفن عن التيقظ والانتباه . وان سار آخر في طريق ضيقة
فليقتف رقيقه اثره ليقيمه اذا ما زلت به القدم ويعينه على استئصال الاشواك
ودره المصائب وتهدد الطرق من العثرات . وان وقع احدكم بين ايديهم
الحكام فانهضوا جميعاً لانتشاله بأيّ طريقة كانت هذا اذا كان ذلك

الواقع قد نهج في خطته منح الاخلاص لاسرائيل واتبع في سيره
 قوانين ديانتنا ومبادئها المقدسة . وان قامت الجمعيات وانتصرت الاحزاب
 لاصلاح حال جماعة العمال فلندخل بها ايدينا وليكن لنا الاسم الاكبر
 فيها ففايتنا الوحيدة استمالة الشعوب اليها . نعم ان ذلك لا يهينا وصلاح
 احوالنا لا يرضينا لكن ذلك يجعل لنا عليهم السلطة ونفوذ الكلمة فان
 عمه الشعب وجهله يضطرانه طبعاً للتسليم للقوة ويظهر منه جم الفوائد
 عند مسيس الحاجة . فان الخرف بقدر ما يكون فارغاً يرن صوته اذا
 ضرب وترج له مفارق الطرق . فيكون اذاً لدينا غنيمة باردة وآلة خاضعة
 طائعة نديرها يوم الحاجة كيف نشاء ونستخدمها لاستمالة الشعب واستعباده .
 وهناك مسألة اخرى يجب الالتباه اليها وهي ان يخلط ابناء اسرائيل
 بالمسلمين والمسيحيين ويتخذوا من بناتهم زوجات ولا تحسبوا ان اختلاط
 انسابنا بانسابهم زيغ او ضلال عن خطتنا الشريفة او ان ادخال جزء
 من الدم الغير الطاهر في ذريتنا يضرها او يفسدها فان غايتنا مقدسة
 وشعبنا مصطفى من الله وان الزواج يكون لربط العلاقات وتحسين
 الصلات بين ابنائنا المستعدين وبين عائلات الديانات الاخرى فان جدنا
 عند ذلك بالمال وسممنا بالعزير ننافس عنه السلطة ونحصل مقابلة
 ذلك على النفوذ فنمسي وهم طوع ايدينا نتصرف بصالحهم وامورهم تصرفاً
 مطلقاً ونديرهم عند الحاجة كيف نشاء . وعليه فلا يجوز لشباننا ان
 يتخذوا معشوقات من بنات شعبنا الطاهر بل يحسن بان يستعيفوا عنهم
 بحداري المسلمين والنعاري وان احتاج الامر لعقد الزواج فيقتصر على
 عقد بسيط مدني وتكون الغاية من تلك الزيجة اكثار النسل وزيادة

كما ان المال هو القوة لاولى في هذا العالم واليه مرجع السلطة كذلك المطبوعات هي القوة الثانية التي يعتمد عليها في امم الامور واكثر المشروعات نم ان الجرائد لا تأثير ولا نفوذ لها بغير المال ولا قيام لها الا به ولكنها تكون له ساعداً متيناً وسنداً قوياً فيهد المال لنا الطرق ويسهل لنا الوصول لتحقيق اماننا والجرايد تنشر مبادئنا الحق في العالم وتبشها في قلوب جهلة الشعوب واصاغره وعليه يجعل بنا ان نصبح سادة المطبوعات وارباب الجرائد في كل صقع ومملكة كما انا نسود على الاسم بالمال وتقرن اعمالنا هذه بحسن التدبير والاحسان على الفقير وجماعة العمال واصحاب الحرف والمهن ليرجع اليها الراي العام ونستولى على عقله وصوالجه وعلى هذه الخطوة نسير وفي هذه الطريق نخطو خطوة بعد خطوة وتدرج في سلم التقدم والنجاح وتندرج بالصبر والثبات فنقهر الاعداء اللثام ونكسر شوكتهم ونجذب انوفهم ونشر ديننا في العالم باسره ونرد الناس من الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى النور . ولا يبعد ان يقوم ضدنا احزاب يرشقوننا بسهام الانتقاد والتديد ويلون من اتبعنا بالحرمان لكن طاعة الجهلاء العمياء وميل عوام الناس اليها لا سيما الذين امطرنا عليهم سمائب انعامنا وغرسنا في قلوبهم اصول محبتنا كل ذلك يهد لنا سبيل الانتصار والغلبة وعندها تنهض جرايدنا على ساق وقدم فتشدد التكبر على تلك المبادئ التي ينشرونها فتقيم على الاعداء حرباً عواناً يصل عجاجها الى عنان السماء فنبلي فريقهم بالتفريق وجموعهم بالشتات . فلتكن هذه المبادئ نصب اعينكم ولترسم على صفحات قلوبكم وليخض في

عباب مجرماً كل فرد منكم ويحتجني من قاعه القوائد الجملة فيه الغنى والسلطة وفيه الفرح والسعادة والقدرة . فقد صبرنا على الذل صبر الكرام وثبتنا امام المصائب ثبات الابطال وكابدنا العذاب سنيّاً طويلاً واجيالا عديدة فكفينا ما احاق بنا وما انتقض على رؤوسنا من صواعق البلاء والشقاء فقد اتى الزمان الذى به نجتني ثمره اعمالنا وآن اوان سعادتنا ومجدنا . ولا يقرب عن بالكم ما قلته لكم وما اعيدته عليكم بان كل بليّة او مصيبة تحمل بالعالين الاسلامي والعيسوي وكل هيجان وثورة تحصل فيهما سياسية كانت ام دينية فانهما يهدان لنا السبيل ويوصلاننا على قدم السرعة والثبات الى قصبنا السامي وغايتنا الوحيدة المقدسة وهي ان تصبح الارض ملكنا وعروش ملوكها في قبضة يدنا . وهذا ما اوعدنا به ابونا ابراهيم . . .

صدى

نفثة الخناس

لو تصفح القاريء هذه الخطبة المطوّلة لظنّ لاول وهلة انها غير عارية عن القلو والمبالغة ولكن يكفيه لتحقيق جميع ذلك امعان بعض النظر في حالتهم الحاضرة فانه يرى ان هذه الخطبة متبعة بالتدقيق من عموم افراد الامة اليهودية وان هذه الاصول التي غرسها الخطيب في عقول ابنائها قد تفرّعت واينعت وبدأت الامة باجتاء ثمارها . فاليهود وان لم يملكوا الارض كلها بعد في الظاهر فمن الامور المحققة انهم قد استولوا على القسم الاعظم فيها وهم يتمتعون بالسلطة المطلقة والنفوذ السياسي والاداري في كل بلدة حلوها ومملكة دخلوها . شنّ اليهود

غارتهم على رجال الحكومة فاختصوم وكانوا واسطة بينهم وبين رئيس
« الكاهال » الحاكم السري الذي يدبر شؤون آل اسرائيل فوضع للهيئة
الحاكمة خطة لا تعدأها وحداً لا تتجاوزه وهما تضحية الميز لنفع اسرائيل
فلم يسعها الا الامثال والرضوخ . وما يزيد المجلس السري نفوذاً واهميةً
هو انه مؤلف من اعضاء امناء على صوالحه محافظين على مبادئه فهم
كرجل واحد يسعون لغاية واحدة وقصد واحد

وقد اوصله هذا لان يكون المتصرف المطلق في شؤون فرنسا
الداخلية والخارجية . فهو الذي يوعز الى مجلس النواب بفرض التخصيصات
الحرية الباهظة وضرب المكوس الفادحة مع اخفاء ما يداخل البلاد
من الارتباك المالي . وهو يأمر بتوزيع الإيرادات وتحويل السلفات المختلفة
الانواع ويحتم على الحكومة الاشتراك في جميعات اليهود المالية او اتخاذها
تحت حمايتها . وبالأجمال فان دأب هذا المجلس وغرضه الوحيد ألا يترك
وسيلة لا تتزاف ثروة البلاد واغتياال الاموال الفرنسيه . وقد توصل اليهود
بالنفوذ والقوة الى اعتلاء المناصب والاستيلاء على اعمّ المراتب واعدادهم في
القسم الاداري خمسون مفتشاً ما عدا الوكلاء والمستشارين وروساء الاقلام
وصغار الكتبة فهؤلاء يضيق عن حصرهم الذرع وقد حتم على سوامم
من الموظفين خدمة مصالح اليهود والألّا فالتنازل لليهود عن المنصب والمرتّب
بالقسوة او باللين . اما القسم القضائي فن خمس سنوات لم يُنصب فيه غير
اليهود ومن لا ذبهم . فلا تخلو منهم محكمة ولا يرتاح من شرهم مجلس
وعلى الخصوص مجلس الاستئناف الاعلى ومحكمة السين الكبرى فان اليهود
قد تجمعوا فيها زرافات وفرادى واحتلوا منصّة الحكم والقضاء والنيابة

وهم مستقلون بالاحكام يقضون في الناس ويظلمون في عباد الله . وان وقع فرد منهم بين ايدي الاحكام وسبق الى محل القضاء فان كان مجرمًا او بريثًا لا يسع ذلك القاضي او النائب اليهودي الا تبرئة ساحته اذ يستحيل عليه ان لا يصنى لنداء التلمود والذمة اليهودية اللذين يناديان عليه بالرفق باخ اخطأ ولكن " ضد احد الجويم " وساقه حسن حفظه الى اخيه الصادق الامين . ولو لم يحكم عليّ المقام باختصار المقال لذكرت قرائي الكرام باثام وجرائم قرية العهد اتاها افراد اليهود وبعد ان ظهر امرهم وقبض عليهم متلبسين بالجناية خرجوا برئي الساحة طاهري الذيل . فويل لهؤلاء القضاة الذين لا يبالون بوقوفهم هذا الموقف الحرج امام الانسانية والشرعية ولا يهابون صوت الحق الذي ينادي عليهم بفضاعة اعمالهم وظلم احكامهم " يا ويلكم يوم تمشرون " ولكن لا عجب ولا غرو فقد جُبلوا على الشر وفطروا عليه . والذي يساعد رجال القضاء بالاكثر على انقاذ مجرمي اليهود هم رجال البوليس . فرآسة البوليس ملقاة لرجل يهودي المائي الاصل يستراصله تحت اسير مستعار فاصبح به منصب المحافظة على الامن العام ملجأ للمجرمين وحمى للاشقياء والاصوص من اليهود الذين يعشون بالامن العام ويمشون في الارض فساداً بدون عقاب ولا قصاص . ولما لم يرَ هذا الجاني لقيج اعماله رادعاً طئي وتمرد وساعدته الهيئة الحاكمة " اليهودية " [١] على

(١) ان الحزب القابض على ازمة الاحكام في فرنسا هذه الايام هو الحزب «الابوريتيستي» وهو حزب مؤلف من اليهود وانصار اليهود وغايتهم اعلاء شان الامة اليهودية فيحصل اذا ان نسي الحكومة الحالية حكومة يهودية . «نجيب»

فظائمه اذا رأت امانته واخلاصه في خدمتها واقدامه على عظام الامور فزاد
 بغيًا وشرًا . واذا اقدم بعض ارباب الجرائد الذين لم يتطاولهم ذمتهم على
 اخفاء اعماله الفظيعة واذا دعوا غير مباليين بعواقب اعمالهم اصبح يقتلهم على
 رؤوس الاشهاد وانالهم جزاء امانتهم للامة والبلاد . وقد تجرأ ايضا على
 معارضته بعض ارباب المناصب العالية فشددوا عليه التكبر وانكروا اعماله
 البقيعة ولما كان مركزهم لا يمكنه من اغتيالهم بالقوة والعن جعل عليهم
 العيون والارصاد ونصب لهم الحبال والشراك حتى فتك بهم غدرا
 واخفى منهم الاثر . ولقد اصبحت وظيفة هذا المرجل تقتصر على انتشال
 الاوراق السياسية واختلاص المستندات التي تعود على الامة اليهودية بالنفع
 والفوائد ولا يعدم الوسطة لذلك ما دام البوليس طوع يديه والجريمة
 اقرب اليه من حبل الوريد . انشأت الحكومة مدرستنا الكلية سيف
 باريس فلم يلبث اليهود حتى تقاطروا اليها من كل فج عميق وهم يتكاثرون
 فيها من يوم الى يوم وجل غلبتهم من ذلك تحصيل العلوم العالية ليستولوا
 بها على منابر التعليم اقتداء . باشارة خطيبهم المشهور ولكن مراكز التعليم
 في المدرسة العليا اكثرها بايدي اليهود وهم لم يقتصروا فيها على فن او
 علم من الفنون والعلوم بل انهم جمعوها فيهم ووعوا اهمها فاختصوا بها في
 مدرسة اللغات الشرقية ومدارس قوانين المملكة والمكاتب الصناعية
 والتجارية والرياضية . ويا ليتهم اكتفوا بفن التدريس بل انهم تحرشوا
 وترأسوا على المؤتمرات المالية المناط بها النظر في الاشغال العمومية
 والفنون الكبرى وحاصل الامر ان روح اليهودي ترف على كل الاماكن
 وهي كالروح الخبيثة لا يخالو منها مكان . بلغ عجز ميزانية الحكومة السنوي

اربع مليارات ضُربت بقدرها الضرائب حتى بلغ ما يدفعه الفلاح في فرنسا من ٢٣ الى ٤٠ في المائة من وارداته وهذه تُتَرَف من دمه ظلماً وعدواناً لثغلتها مخالب اليهود او توزع على الذين القوا اليهم مقابلد الاعمال فاخلصوا الخدمة وادّوها بصدق وامانة . اما الذين ائززال الاحكام فلنهم بانضمام بعضهم الى بعض واستخدام الاموال قد وضعوا ايديهم على الفروع المهمة من الاعمال وقبضوا على اعنة التجارة فاحتكروا الصادر والوارد وحصروا الفائدة بانفسهم حتى اصبح التاجر الفرنسي غنياً كان او فقيراً يدفع لهم الجزية تأمينا على امواله والا كُبت بها ايدي سبا وحلّ به الافلاس والحراب . واعظم هؤلاء المضارين واشهرهم روتشيلد الذي سارت بذكره الركبان وذاع صيت غناه في كل مكان فمن عام السبعين اخذت ثروته بالازدياد وامواله بالتكاثر حتى امسى اغنى رجل في العالم لا تقل ثروته عن الخمس مليارات من الفرنكات . وقد اصبح لروتشيلد هذا من النفوذ وعلو المقدار ما يضاهي به الملوك حتى انه لا يعدّ الآن ملكاً لاسرائيل فقط بل انه الحاكم الوحيد في فرنسا ايضاً فالامر امره في كل الاحوال والحكم حكاه في ام الامور واعظمها ونفوذه عظيم بقدر ما ان سلطته مخفية مستورة حتى تمكن في خلال العشر سنوات الاخيرة من اخضاع الجمهورية الفرنسية مع عظم شأنها والضغط عليها بالمشروعات المدمرة وهي مع هذا لم تحرك ساكناً لتخلص من وطأته الثقيلة وتضمنى ان تبقى على حالها حتى يتم ارتباك البلاد فيحلّ بها البوار ويقضي الله امراً كان مفعولاً . ومأ رئيس الجمهورية لدى روتشيلد الا وزيره الاكبر والمسؤول امامه بالمصالح اليهودية يتلقى

اوامره ويهتم بتنفيذها . وهكذا فانه لم يبق لفرنسا من حريتها واستقلالها
 الا اثرًا بعد عين . ثم ان كافة البوتات المالية والمحلات التجارية والصناعية
 مع ذوي الاملاك ورجال الثروة يخضعون جميعهم طوعاً او قهراً لحكم
 هذا المالي العظيم والآن ساء ما لهم وبلبوا بشرايعهم . ومالية الحكومة
 هي التي تبوء بالاكثرت تحت اعباء حملته الثقيل فانه يستحيل عليها الشروع
 في عقد قرض او تحويل دين او اتيان اي عمل عظيم بدون الاتفاق
 مع روتشيلد وهذا من البديهي انه لا يقبل بها الا اذا انحصرت به
 الفائدة ورجع اليه معظم الارباح . فالحكومة تعقد القروض والسلفات
 لسد ما يحدث كل عام في ميزانيتها من النقص الناتج عن الاختلاس
 والسرقة ويكشف الامر عن تحويل ملايين جديدة من مالية الحكومة
 وثروة الشعب الى خزائن اليهود فتُفعل عليها الماوية وتُخفى عنها لم تكن
 ومن المعلوم ان المضاربة وتجارة القراطين المالية هما مشروعات
 مجهولة العاقبة راكبيها كراكب البحر لا يعلم الى اي الشاطئين تقذفه
 الارباح فلهسارة والربح يتوقفان على الصدق والظروف . اما عند اليهود
 فالامر بخلاف ذلك والربح مقرر لديهم في حالي الهبوط والارتفاع فانهما
 يتحدثان على علم من روتشيلد لانه يتلقى من الوزارة انباء التقلبات السياسية
 والمالية التي يترتب عليها سقوط الاسعار وعلوها قبل حدوثها فيتدبر الامر
 قبل الحصول . وجميع هذه الاعمال التي زجت بالبلاد في هذه الارتباك
 لم تكف لسد اطماع اليهود بل انهم استولوا ايضا على القسم الاعظم
 من قراطين الحكومة واصبحت مديونة لهم بأكثر اموالها وهم يتهددوننا
 على الدوام بسحب اموالهم الطائلة وابلاء المالية بالافلاس ولذلك نرى

الحكومة الفرنسية لا مناص لها من الخضوع لارادة اسرائيل والصبر على احكامه خوفاً من ان ترى قراطيسها ألحقت يوماً بالقراطيس التركية .
وبينا روتشيلد يسعى بمساعدة الحزب «الابورتينستي» المنتصر لليهود او بالحري الهيئة الحاكمة لتفخيم الثروة الفرنسية سيئ في سبيل مطامع اليهود كان صهره ايفروس يشتغل من جهته باحتكار الحبوب وحصرها ضمن دائرة امتلاكه فينجح بذلك نجاحاً عظيماً واحتكر الداخل والخارج وحوط على الصادر منها والوارد حتى ملأ بها المغازن ليس في باريس فقط بل في اسواق العالم اجمع وهو ينظم لما السير ويحدد لها الاسعار والقيود بزيادة الوارد وتقيصه . وان هبطت الاسعار او صعدت فالامر ينكشف عن المكاسب الجمة والارباح الطائلة لايفروس وزمرته . وهذا ما يفعله اليهود الآخرون بالبضائع الأخرى في كافة الاسواق الفرنسية حتى اصبح التاجر غنياً كان او فقيراً لا مناص له من اداء الجزية ما دام محتاجاً الى القوت والكساء والسكنى . ومن نظر الى السياسة الخارجية نظر المنتقد يرى بان كل مشروع شرعت به الحكومة في عهد العشر سنوات الاخيرة لتكبد هي مصائبه ويتمتع اليهود بفوائده . واهم هذه المشروعات واعظمها احتلال بريتي تونس والتونكين فانه حصل في المرتين رغماً عن ارادة الشعب الفرنسي وضد صوالح البلاد العمومية . ولا يحتاج هذا الامر الى الاثبات فان الاولى وهي تونس فضلاً عن انها كلفت فرنسا دماء عشرة الاف من ابطالها ومائة مليون من اموالها فانها كانت سبباً للنزاع بين فرنسا وايطاليا فانتقلت هذه لنفسها بانضمامها الى المانيا عدوة فرنسا الالدة ونجم عن ذلك من الاضرار ما لا ينكره احد . اما

حملة التونكين التي ذهبت بقيود المعاهدات الدولية فقد ضمت لها حكومتنا
اربعين الفاً من الرجال مع مليار ونصف من الفرنكات وليس هذا فقط
بل ان عاقبتها انكشفت عن ضياع حقوقنا في الشرق وتنج عن ذلك
احتلال الانكليز للبلاد المصرية ثم زيادة مبلغ عظيم من المال على الميزانية
السوية لتتفق هذه الزيادة فيما استلزمه هذا الاحتلال من النفقات
الباهظة . وهذان الاحتلالان زادا فرنسا فقراً على فقرها والزماها بتبذير
ما بقي لها من المال في سبيل تعزيز قوتها . وفقد المال لديها سيضعف قوتها
امام التحالف الثلاثي الذي لا يفتقر لحظة عن التهديد والوعيد . فما الذي
ربحته فرنسا مقابل ما اضاعته من المال والرجال وما الذي لقيته بعد
ما لاقته من الصعوبات وضعت من الصالح في اكثر من نقطة من
الشرق والغرب . لا شيء . ولم فعلت هذا اذا . ان الذي اضطرها الى
ذلك هو الحزب الابورتيستي القابض على ازمة الاحكام ولا تلومه على ذلك
لانه فعل الواجب عليه نحو المسخر والمدبر فهو منتدب لحماية اليهود والذب عن
صالحهم . ففي الحملة الاولى اطلق يهود تونس من ربقة العبودية التي
كابدوا من ثقل وطأتها ما ذكرهم ايام العبودية في مصر . فهم الآن يتمتعون بحماية
فرنسا ولا نالبت ان نراهم قد دخلوا في التبعية الفرنسية فالحقوا بيهود الجزائر
الذين وهب اليهم غمبتا وكرميو جميع املاكنا الافريقية . اما احتلال
التونكين فانه كان لاعطاء " باقية سيتوفور " ومن يلوذ به من اليهود
عشرين الف هكتار من الاراضي المحتوية على معادن لم تكتشف بعد . وسوف
يغخذ اليهود ذلك حجة لتأليف جمعيات جديدة وثقليل كاهل الحكومة
والشعب بالديون فيتم ما بدأوا به من الاستيلاء التام على " الهوي "

الفرنساوي او بالحري على ابناء الانسانية سيء في كافة جهات المسكونة .
والغريب ان بعض الجرائد الحرة تظهر بين الشعب مظهر الغيرة عليه
والانتصار له تمويهاً للحقيقة وخشية من ان يطلع على خيانتها ومواطنتها
الساسة الماكرين على نهب امواله واضعاف قواه فتتصدى لانتقاد المشروعات
والظعن احياناً باعمال السياسيين المذكورين وعمال الحكومة المسخرين .
ومن اطلع على حقيقة الامر تعجب من اغترار الامة بالترهات وتقلب
السذاجة عليها حتى اصبح ينطلي عليها كل الحال وسائل نفسه بهل ان
الفرنسيين الذين اشتهروا بالحمية والشرف استولى عليهم الجنون حتى
نبذوا الحق الساطع واتبعوا الضلال والباطل فرضبوا بغاية يرتجف لها
قلب الزمان . انا لله وانا اليه راجعون

ولم يستهوب اليهود او يقتصبوا ارض التونسي وتونس فقط بل انه قبلما
يسمح الوزير " فلورين " لانكلترا باحتلال جزائر هيبريد الجديدة كانت
فرنسا قد وهبتها لرجل يهودي كان قد اهتم بتأليف جمعية لافتتاح تلك
البلاد المعنوي . وتحت حجة الاستعمار ومساعدة الهيئة الحاكمة تمكن هذا
الخدعة من تعليل مئات من الفرنسيين يبرق الاماني ووعدهم بمواعيد
عرقوية فاستالم الى المهاجرة معه الى تلك البلاد المشومة حيث ذهب
بعضهم ضحية الوباء ومن سلم من تلك الآفة اتنابه مغالب المجاعة والفقر .
وكذلك معادن النيكل التي اكتشفت قريباً في كلودينا الجديدة فقد
وهبتها الحكومة الى اثنين من اعظم اليهود وهماروتشيلد وهيجنسون واکراماً لها
قد عقدت النية على ابدال النقود النحاسية بنقود نكلية . وهذه ملايين
اخرى من المال الفرنسي سيدخل الى خزائن اليهود مقابلة قسم من

المعدن. المنتصب من حقوق الوطنيين فانطبق على هذا قول المثل السائر
" يبعني اليوم ما سلبني بالأمس " والحاصل ان البلاد جميعها لتألم
وتضطرب. فقد أصبحت التجارة على شفا جرف هار والصناعة أصيبت بالكساد
وخوار القوى وثلاثمائة ألف عامل باتوا بغير عمل تطوى أحشائهم
السغب ويضطرم الفقر المدقع لاقتراف الذنوب وارتكاب القبائح. وأصبح
المال نادراً قليل الوجود لان العدو قد سلب منه القسم الأعظم وعوضاً
من ان يستعمل ذلك في سبيل إحياء ميت التجارة والصناعة الذين هما
ينبوع الثروة وأصل السعادة والعمران فانهم يستخدمونها لسحب ما بقي
منه في أيدينا

فلا شك اذاً بان اليهود هم مخلصو الثروة الفرنسية وجرثومة بلاء
الشعب الفرنسي ومع هذا فتراهم الحكام المستقلين في فرنسا كلها وقد
ظنوا واصابوا في ظنهم انهم تقدموا بتقديم السرعة نحو غايتهم الوحيدة
التي تطمح. انظارهم الى نواها. وما تلك لا امتلاك المسكونة برمتها فاهم
بفرنسا سنداً متيناً وعوناً عظيماً وهي يدهم آلة قوية يستخدمونها لتحقيق
امانيهم وقد جربوا هذه الآلة مرتين في تونس والتونكين فاصابت نجاحاً
يضمن لهم مثله في حملات اخرى حيث يخرجون الارض بالدم الفرنسي
بقي علينا النظر بهل ان المستقبل سينخض لليهود كما اطاع لهم الماضي
فيساعدهم على ائتلاف جسم فرنسا المختبط. لا لعمرى فان الطير الفرنسي
الذي صبر على الذل وخضع لاحكام الزمن فجرده. الاعداء من ريشه
الواحدة بعد الاخرى قد احس بالآلم وبدأ صبره بالفراغ وقد قربت ساعة
خروجه عن حدود الاعتدال اذ لا تعود له طاقة على احتمال وطأة الذل

فينهض نهضة الاسد وييلي العداة بالويل والثبور . فهناك ينتبه اليهودي من غفلته ويعلم انه قاصر مع دهائه عن اذيته وانه اذل واحقر من ان يربط جناحه ويسد منسره



رَبَّةُ الْبَغَاءِ

بحث علماء الجمال والمغرمون بنقل جمال الصور البشرية في حسن الرجل الغربي والشرق والعربي والتركي والفرنسوي والروسي والانكليزي وكل الامم الاخرى وتفتنوا في وصفه ونقل صورته تسييحاً لحالقه وتمجيذاً لمولاه . . . ولكن هل خطر يبال اولئك الباحثين ان يستمدوا من جمال اليهودي صفة ومن خلقته حسناً ليحلوا بهما الطروس ويستميلوا اليها الانظار . لا وربك وكيف يكون اليهودي ذا حسن ورقة وهو من المغضوب عليهم . وكيف يُستظر منه جمال وهو وان لم يكن فيه سوى سواد القلب وقبح السريرة . والحقد على كل عباد الله لكفاه ذلك قبحاً . وظهرت اثار تلك الرذائل على وجهه فتفسد ما اوجده به الخالق الحكيم . نعم ان النسل اليهودي اختلط ببقية الشعوب فاثرت فيه المدنية ولاحت عليه لوائح النعم ولكن الرجل منه حفظ هيئة شيطانية وصورة مضطربة مقطبة وذلك نتيجة تلك الآلام الطويلة التي قسمت ظهر هذا النسل جيلاً بعد جيل وعاقبة محافظته على افكاره الوهمية واشتغاله بالمطامع المتولية على عقله ولا سيما الذل والاستعباد اللذين لا يزال يقاسيها الى يومنا هذا عند اغلب الشعوب . اما الامراة فيهم فانها على خلاف ذلك

فهي حسنة الخلقة فائقة الجمال في القالب - فكانها اضافت الى جمالها
 جمال الجنس الآخر المبعود عن صورة الرجل اليهودي . ولكن جمال وجه
 الامراة اليهودية جرّد نفسها عن الجمال الادبي والصفات الكمالية فاننا
 لم نسمع قط في الازمنة الاولى ولا التي تليها بان القضيّة والعفة على
 حسب ما نعرفهما نحن كانتا ملكة في نفس اليهودية . فكان من الطبعي اذا
 ان نراها الآن مجردة عن الصفات الكمالية محرومة من الشعائر الجميلة
 حيث انها لم تنوارثها عن جداتها كما ورثت جمال الصورة وكلّ يعلم
 ان الامراة اليهودية تهزأ بما نسميه الشرف والعفاف وتنفق بالرخاء
 ما يعرف عند اهل الشرف بالعرض والتاموس وهي مع كل هذا عديمة
 لاجساس بأردة الطبع والمزاج . وقد يجذع كل من ظن انها تعرف الغرام
 كما يعرفه اهل اذ يراها ميالة الى الشهوات متفاداة اليها بجمارة الدم
 وحدة المزاج فان اصل ذلك هو الميل الى الشهوات الجسمانية وحب
 الفسق والرذيلة ولا سيما الغاية وحب التزاهي . فهي قاصرة عن ادراك
 معنى الحب والهوى اللطيف ولا تضيق الوقت سعياً وراء ذلك التصوّر
 الكمال الذي به يميز الانسان عن الحيوان ومع انها لا تعرف الهوى والحب
 كما هو في عرف اهل الغرام فانها لديها القدرة اذا اقتضى الحال عند
 وجود الغاية السياسية او المالية على التزني بزني الشاق وتقليد حق
 التقليد حتى يظن بانها اميال وضعية وصفات نفسية . ولكن هيئات هيئات
 فانها بعيدة بعد الارض عن قبة السماء عن تلك الخصوصية السامية التي
 تصير العاهرة بعض الاحيان شريفة كمالية فان جفائها كنتاساهلها . وصدها
 كوصلها وهذا تجود به على قدر الفائدة وتبيع منه على قدر الثمن .

فإنها تسلم نفسها بغير ميل كما أنها تأتي المنكر بغير نفور . بل إن هذا الفعل يظهر لها عارياً عن الاهمية ولا تهتم منه الا بالواسطة ولا تحفل الا بالجائزة المادية او المعنوية . ولهذا ترى بان في كل الاماكن التي بها الامراة تبذل نفسها لشهوة الرجل وتبيعه عرضها وتاموسها بالرخيص فلليهودية الدور الاكبر والسواد الاعظم . فبيوت الفساد والبغي وحانات الفسق والفيجور في اوربا ولا سيما في مصر والجزائر مملأى باليهوديات وهن مرغوبات اكثر من غيرهن لجمالهن وطيب وصلهن .

ومن اغرب الامور ما يجري في قبيلة يهودية تسمى قبيلة « ولد نايل » في جنوبي الجزائر لم تزل الى الآن في حالة البداوة والتوحش . فلها عوائد غريبة من جعلتها ان الابنة اذا بلغت سن البلوغ يخطبها رجل من ابيها فترحل بامر والديها الى البلد القريبة من حيفا في طلب صداق تدفعه لخطيبها . وهناك تبذل نفسها للعاهرة وتبيع عرضها باجنس الاثمان وهي مع ذلك تعيش بالتقتير لتزيد في مقدار المقتصد وبعد ان تمكث زمناً وترى نفسها تحصلت على المبلغ الكافي من المال تهتم بالرجوع الى ربعا فيحتفل بقدموها كل الاحتفال وتزوجه بخطيبها الذي انتظر رجوعها بامانة وصدق . . . فما يرى القراء في هذه الامانة التي لم يغيرها طول الامد . . . اليس مؤثرة عظيمة . . . قهقهه .

نعم ان رجال هذه القبيلة قد تجاوزوا الحد في احتقار النساء ومخسهن قدرهن حتى عرضوهن للابتذال واوقفوهن للفجور ولكن يمكننا ان نستنتج من هذا وحود هذه المبادي غريزة طبيعية في كل اليهود اذ نرى حالة هذه القبيلة البدوية اليهودية التي لم تزل محافظة على فطرتها الاصلية ولم يداخل عوائدها

واخلاؤها الفساد . ويزيدنا تأكيداً علمنا بوحدة اصلهم وانحصار نسلهم فيهم
وان حاسة الشرف والصيانة التي هي غريزية في الامراة الشريفة لا تنتظر
قط من اليهودية ومن ظهر له وجودها في الفريديات من البلاد المتمدنة
فلا يفرّنه ذلك حيث انه امر ظاهري اضطراري وتقليد مصنع ملفق
والحقيقة ان ما تعتبره الكمالات من النساء فضيلة وعفافاً لا تنظر اليه
اليهودية الا بعين الوم والمزؤ

وان السبب لبقاء الامراة اليهودية في جلالها الاول . قترها صبيحة
الوجه . باهرة الجمال . حوراء العين . حادة الحظ . فذلك لان اليهود عاشوا
في ظل الامم الاخرى وتعيشوا من كدها وتعياها شأن الطفيلين الارضين .
فلم يتكدوا مشاق الزراعة وعناء العمل او جميع الاعمال المتعبة التي من
شانها ان تذهب بهاء الوجه وزونق الجسم مع انها تخشنه وتقويه تحفظات
اليهودية حسنها الاول وبقيت اعضاء جسمها متناسبة على وضعها الاصلي .
وانني بالاختصار رغمًا عن تذكاري ريبيكا وعثليا ويهوديت المشهورة
اعمالهن في تاريخ الامة اليهودية فلا يمكنني اثبات ان اليهوديات قد حزن
الصفات الكحالية . بل ان ما اراه وابته هو ان الامراة اليهودية محالة
ماكرة مرائية منافقة مقيدة بغاياتها

قد يتضح من هذا الاجمال . وهذا الوصف ان اليهوديات هن أكثر النساء
فسقا وعمارة وهذا ايضا من جملة احتكارات اليهود . ولكن لا اظن
بان ناسنا يحسدنهن عليه ويتمنينه حاشا

جبن اليهود

طالما كان المتقدمون والمستحدثون من العبرانيين اقوياء في الفساد والزوغ . ذوي جراءة واقدام على زرع الشقاق اينما كانوا والبلاء والتكد انى حلوا . ولكنهم لم يكونوا قط شعباً محارباً مقداماً على مهاجمة المخاطر ومصادمة العساكر . وقد اثبتنا بانه حتى في ايام سعادة اليهود وعلو شأنهم التي يتقلون تزيخها بانفسهم البنا كان يستحيل على رؤسائهم وانيائهم اقناعهم بانهم في قوة كافية لصد العدو وزد هجماته كي يحملوهم على رفع راية الامة والانتصار لذرى الشعب والوطن ما لم يثبتوا لهم بالمعجزات العظيمة والينيات المحسوسة ان الله معهم وسياخذ بيدهم في الذب عن حى الامة والدين . ولهذا فقد كانوا في خلال الثمانية عشر جيلاً التي مضت من خروجهم من مصر الى شتات شملهم بين ام البسيطة فريسة للامم وغنيمة للشعوب وطالما رحمهم الله في اثناء هذه الايام ايضاً اذ طال عليهم العقاب فوهب رؤسائهم الشجاعة والمهمم الثبات والاقدام فقاموا يستنهضون امة اسرائيل من غفلتها وسقوطها ويثبون فيها روح الحمية والانتصار ويسعون في لم شعثها واسقاط نير العبودية عن كاهلها فكانوا كمن ينفخ في رماد وان لم تسطع على اعينهم معجزات الاله لا شيء يضطرهم الى النهوض ولا حجة تململهم على رفع السلاح في وجه من يستعبد رقابهم ويستخدم

نساهم واولادهم . واذ يظهر لنا بان اليهود في الزمن القديم ايلم ما كانوا
 شعباً قوياً بالوأم والعدد . مشتداً بمهارة رؤسائه وحكمة مديره لم توجد
 في قلبه الا الجساسة التي يولدها التعصب والجرأة التي تكون لقاطع الزنجا
 كيف يخطر ببالنا ان هذه الامة الخبيثة التي كان الذل شلتها والدناءة
 بساطاً لها في خلال ثمانية عشر جيلاً قد أُعطيت تلك الشيعة ووُهبَت
 تلك الشهامة اللتين نقصتا اجدادها ايام سعادتهم وعظم شأنهم .
 ولا يجدر بنا على كل حال ان ننكر على اليهود قوتهم الموصوفة على الثبات
 والتحمل اذ قاسوا ضروب الاحوال وكابدوا اعظم المشقات ولم يحدث ذلك
 تغييراً في اخلاقهم او قطعاً لآمالهم . فشجاعتهم شجاعة رجل احنى ظهره الذل
 وانتاجه البلايا والمصائب فاعتاد وصبر على ما لا حيلة لاجتنابه ولا بد من استقاء
 كاسه . اما الشيعة الحقيقية واعني بها مصادمة الخطر جهاراً وملافة الاحوال
 مباشرة بغير الاستعانة على ذلك الا بقوة الساعدين والقلب فتلك بعيدة عنه
 بعد الارض عن قبة الفلك . فبدل ان يسير اليهودي اتجاهاً نحو غايته ويجهز بقصده
 فانه يعتني بسترها عن اعين الناظرين . يحمي عن الموانع ويصادمها بسلاح
 المكر والخداع ولا يهاجمها قط من الامام . ثم ان منكر اليهودي والتزامه النفس
 الدائم يوافق ويمرض عليهما التلمود حتى اصبحا ملكتين تعلتا عليه ان
 عمل بالاجماع او بالانفراد فيخدع ويزوغ في اقل ملاقاته مع « الجوى »
 الغير يهودي . ولا حاجة للقول بان هذا شأن الجبان الذي يعلم من نفسه
 ضعف الحلقة والهجز عن المقاومة جهاراً فيعمد الى الحيلة سلاح الضعفاء .
 وقد رأى اليهود ان هذا يجهلهم صفاراً اخطأ القدر بين جموع الامم
 فيقلل ذلك في نفوذهم وينقص في اعتبارهم فعمدوا الآن الى التظاهر

بالحماسة والشجاعة . ليس لان الحماسة تحرك منهم القلوب والحمية ترتاح
لها النفوس فن الماهرة باستنباط الحيل ونسج الحبال والحيات احب
لديهم منها . بل لانهم يزون من الضروي اخفاء هذا الانحطاط الطبيعي
والجبانة الفطرية اللذين سببا لهم الاحقار والذل . ويا ليتهم اختاروا من
الشجاعة ضرب المراث وانتازف دم الارض فيظهروا امامنا بصفة العمل
بل انهم مارسوا لعب السيف وظهروا في رداء من الحماسة اكثر جلبة
واعظم تظاهراً ولكن لسوء حظهم فان الجبن والخوف الغريزيين يتغلبان
على ممثل دور الشجاعة فيرمى بالازدراء ويرجع لذله المعتاد بعد ان اجهد
النفس في ستر عورته واغلاء ذلته فيذكرنا في الحال مثل الحمار المرتدي بجلد
الاسد . فهو ثابت الجاش قوي الجنان في قاعة السلاح لا في ميدان الفصال
ومقام الكر والفر

لم ينأى بعد عن خاطر القراء مبارزة دريمون مع ميرالتي بها رأى
اليهودي نفسه في موقف الخطر فاندش وتحير وكاد ينفذ به القضاء لو
لم يعمد الى طريقة الغدر فقبض على سيف خصمه بيده اليمنى وارسل
اليه باليسرى ضربة خرقت صدره ورمته الى الحضيض واذ رفع الجريح
امر به الى المحاكم " انتصرت " لليهودي وبدل ان تجازي الجاني على
محاولة القتل فانها وجهت اللوم الى دريمون اذ اتهمته بانه اكثر الاقتراب
من خصمه حتى اضطره الى استخدام يده الشمال . ولكن هذا العمل تكرر
بنفسه في مبارزة " منقيل " مع " ناكه " مع انه لم يحصل الالتحام
في القتال هذه المرة فتلك عادة في اليهود . والغدر سلاحهم الخاص فكيف
يتأق لم الانتصار بغيره . فالحاضرون لهذه المبارزة الثانية احتدموا غيظاً

وعقب "ضربة اليهودي" صراخ ولهجة ينما ان ضابطاً شجاعاً من مشاهدي الواقعة تقلب عليه الغضب من هذا العمل القطيع وارسل لوجه ناكه لطمتين من يد جبار كاد يعي بهما منه البصر. اما "ناكه" فانه اظهر العجب من هذا وانكر في الاول "من البديهي" انه استخدم يده الشمال في القتال ولكنه اضطر ان يرضخ للحقيقة اذ ظهر بانه ادعى انامله بسيف خصه اذ قبض عليه بيده اليمنى ، ثم دار شهود الطرفين حول الجريح يعتون بآمره وتركوا اليهودي القدار يُضعف ويهان . ومن الغريب بانه لم يجعل من عمله القطيع امام المحكمة اذ سلم اليها ولم ينكس راسه حياء منها بل انه قام في الجلسة معترضاً واحتدم غيظاً وغضباً فشدّد النكير على شهوده اذ انهم اساءوا معاملته وبعدوا عنه بعد "الضربة" كعدمهم عن مصاب بالوباء وكاد لولا القليل يطلب "لشرفه تعويضاً" . ثم انه بكى بدموع حارة واستمدّ من المحكمة ان ترفق بحاله ولا ترميه بالعار والفضيحة كأن يراة ساحته ثقيله من اثم محاولة القتل . فبعداً لكم من يهود . وسمحاً لكم من سفهاء ماكرين ! ولكن الهيئة لم تحفل بتمثيله وفجوره ومع انها استعملت الرحمة والنساهل حكمت على محمول القتل بالسجن مدة شهرين . ولكن محكمة الاستئناف في جرينوبل خففت الحكم لحسن حظه الى ستة ايام وغرامة ٢٠٠ فرنك "اقول لحسن حظه ولا اعلم ان كان ناكه يفضل سجن سنة على دفع ٢٠٠ فرنك" واني لا عجب كيف انه بعد هذه الامثلة وعلمنا اليقين بتشابه افراد اليهود في الاعمال يخنار مواطنينا مبارزة اليهود ويتنازل الفرنسي الى حد ان يساويه في القتال . وكيف تقترّ بعد الاختبار بالظواهرات الحماسية التي

يحاولون بها اقناعنا ان اليهودي بهذه الايام غير ما كان عليه من
الجبن والضعف الطبيعي فهو احقر من ان يدرك من الحماسة اسمها ومن
الشجاعة رسمها

ومما يضحك ويعجب ذاك البراز الذي كان مزماً على الحصول بين النائب
"لاجير" واليهودي ميشال هرش المسبب عن رسالة مزورة صادرة من
الاخير . فانهما اذا ازمعا على تبادل طلقات النار ابرز هرش شهادة طيبة
ثبت بها قصر بصره وضعف نظره وعدم جواز قتاله في هذه الحالة .
فضحك لاجير من هذه الحيلة واطلق الغدرة في الهواء شاهداً على
سروره منها . وقد قيدت الجرائد هذا الاكتشاف الجديد من [شجاعة]
اليهود وقابلت [العين اليمين باليد الشمال] . فمن كان مناضحاً تنضبه
سفاهة اليهودي او ساذجاً فيطالب منسه لشرفه تعويضاً يلزمه قبول كافة
شروطه . اما اذا وصلت قحة اليهودي الى ان يطلب القتال فيجب ان يُجبر
على انتداب من يكون بدله من [المنتصرين] في القتال ويقوم مقامه
في حمل السيف كما يفعل ذلك في اعمال وزارة او نيابة او ادارة الى
ما شاكل ذلك وان اضطر الامر في بعض الظروف لمنازلة اليهودي
فليكن البراز بالطلقات النارية حيث لا تحصل الملامسة ولا يكون
المقاتل مجاذفاً باكثر من (نظرة عين اليمين) اي تصديق بلا فائدة .
ومن المعلوم بانه كما يساوي المقاتلان في مقام النزال يجب ان يتساويا
ايضاً في المرتبة وشرف النفس والا غدر احد الطرفين وكان ذلك حطة
لقدرة بدل ان يكون اعلاء . فان كنا نعلم خيانة اليهود وغدرهم وعظم
مكرهم فكيف نساويهم في قتال ونأمن من غدرهم في نزال . لكل شعب

سلاح يميزه عن غيره ويفضل استعماله لفصل ما يسمونه ردّ الشرف .
فاللمان يتقاتلون بالسيف المحدث . والاسبانيول مع اهل المكسيك
بالخنجر . والينك يتنازلون بالفردى المسدس والمفرد . والانكليز (بالبوكس)
وقد اخذوه عن عولثد للعبيد اذ اشتغلوا مدة بمعاملتهم ويعبر . ثم ان
الفرنسيس يقتلون بالسيف المقوم ولكل من هذه الانواع المختلفة للقتال
قواعد خصوصية محدودة ولكنها تلتقي عند نقطة واحدة وتخضع لشرط
عام وهما الاستقامة في القتال والمساواة في الشرف والسلاح . هذا مع ان
سلاح اليهود القدر والحياة والمكر فكيف تنفق وهذه مع تلك على طرفي تقيض . ومما
هو حري بالانتباه انه لم يُسمع قط بان يهوديين تساويان في قتال
وتفاصلا في ميدان . وهذا يثبت لنا بانه وان سمح لهم التلود بمحاولة قتل
(الجوى) واباح لهم انتهاب ماله وانتهاك حماه فانه يُمنع عليهم منما
مشددًا ان يضروا (بحياة اسرائيلي) . فلندع اذا لليهود سلاحهم
المخصص بهم . وطالما ان البراز لم يُمنع للان قانونياً فعلينا بسيفنا الفصال
سلاحنا الجميل الشريف لتسوية الخصام بين الفرنسيين وما عداهم من
الاوروبيين ولا ندسه بلامسة اليهود فذلك حطة في قدره وتنزيل من
مقامه . ومن المعلوم بان يهود فرنسا يبلغ عددهم ثلاثمائة الف نسمة وهم
يدخلون الخدمة العسكرية كغيرهم من رعايا الفرنسيين . فمن تأمل في
عدم اهلية اليهودي لهذه الخدمة الشريفة علماً منه بمجائته وخيائه وضعفه
الطبيعي قلق وسأل نفسه في كيف تكون سيرة هذه الطغمة اليهودية
وحالها اذا شبت نيران الحرب وما تكون نتيجة تداخلهم في الجيش الفرنسي
اذا التقت الرجال بالرجال ووقعت النصال على النصال . وبالحقيقة

ان هذه نقطة جدية بالانتباه فلتفحصها فحساً مدققاً . ان اليهودي لا يميل قط الى الخدمة العسكرية ولا يدخل اليها الا مضطراً لا مختاراً وذلك اولاً لان اليهودي نذل جبان لا توجد فيه الاحساسات الحماسية كمايناً . وثانياً لان لا واسطة فيها للفتى والثروة ولا شرف الخدمة وتأدية الفرض للوطن العزيز اللذين يكتفي بهما العسكري ويكونا غايته ودليله في ايام خدمته يزدرى بهما اليهودي ويراهما كشيء لا معنى له . ولو قطعنا النظر عن حياة اليهودي ودناءة اصله فما الذي يجب اليه الخدمة العسكرية ولما يجاذف بنفسه ويخطر بحياته . هل فدية لوطنه ام افتداء للجوي ؟ فهو لا يعرف الاول ويحتقر الثاني . ويعتقد ان هذا هو المكلف لتضحية حياته ارضاء لليهودي وفداء له وهذا هو عين ما حصل في حملتي تونس والتونكيين فقد حصلنا باغراء اليهود ولجورد نفع اليهود . فقد ضُحِبَت نفوس رجالنا الزكية وأُهرقت دماؤهم فداءً لليهود تلك البلاد من ربة الاسر والاستعباد مع ان لا احد من مجانسيهم اشترك بالحملة غير المتهمدين بتوريد الذخائر . وربّ قائل يقول بان اليهود يذخرون للمدافعة عن الوطن والمهاربة عن داخلية فرنسا ان تهددها الضر . فوالله ان يحارب اليهود في الداخل باكثر مما حاربوا في الخارج . فكيف يوقف اليهودي حياته للذب عن بلاد يزعم انها ملكه ولكنها ليست بوطنه . فهذا يتاني الخطة التي اخضعها لنفسه والوظيفة التي تقتصر على استخدام هذه البلاد في سبيل تمديد سلطته واتساع دائرة امتلاكه . نعم انه يتنى بانتظار ذلك ان تحصل على خير نتيجة ولكن غيرته عليها هي غير المالك على ملكه وتقتصر على خوفه من فقدان ذلك الامتلاك ورغبته بدوام سعادته وتمتعه فيه ولا تتجاوزها الى تضحية

الحياة في سبيله . وقد خفضت في الجزائر مدة الخدمة العسكرية الى سنة واحدة تحت حجة تسهيل وسائل الاستعمار وبالحقيقة لم تحصل الا ارضاء لليهود الذين يشغلون السواد الاعظم من هذه البلاد . وفيها كما في فرنسا لا تقدم اغنياء اليهود الوسطة للتخلص من الخدمة العسكرية ولا يدخلها منهم الا الفقراء والعمال غير ان من لم يمكنه التخلص منها من سكان فرنسا هم نذر قليل ضائع بين صفوف الجيش مع ان الحالة ليست كهذه في افريقية حيث يهود العرب كثيرون وعددهم عظيم بالنسبة الى ممثليهم في فرنسا . فيكابد ضباطنا منهم اشد العناء والشقاء . فهم مثال القذارة والوخامة . جنباء انزال . لا يجسر احدهم على حمل السلاح ويخاف الاقتراب اليه . واذا اضطرم القانون العسكري الى ذلك في ساحة التمرين فان اطلقوا عياراً نارياً وقعوا على وجوههم كالاموات وخرؤوا الى الاذقان سجداً ترتعد فرائصهم رعباً وهلعاً . اما في الحركات العسكرية فانهم يقفون في اوائل الطريق ولا يخلو وجودهم في الجيش من الخطر عليه . فاذا افترضنا بان عدد يهود فرنسا والجزائر معاً يبلغ خمسمائة الف مع ان هذا اقل جداً من الحقيقة . فاذا اضطرا الامر لحشد عمومي للجيش يدخل من هذا العدد بين عساكرنا ٢٥ الف نفر . فاختلاط هذا العدد بالعساكر الفرنسية يكون في الاول ضيقاً وثقلاً على الضباط لما يعلمونه من سوء حالتهم اما اذا تحركت الجيوش فالدهاية اعظم لانهم يقفون عن السير بعد سير الخطوات حتى يصبحوا بعد قليل في موخر الجيش وينفردوا في القفار ويصبروا الى ما هو اشر من ذلك اي جواسيساً ينقلون الى العدو آثار الجيش ومواقعه الحربية . ولو افترضنا اخيراً ان الرؤساء تمكنوا من ايصالهم الى ساحة القتال وايقافهم تجاه

البدو فلا شك ان طلقات النار ودوي المدافع تملأ قلوبهم رعباً وفزعاً
 فيلجأون للفرار والمرب وتوقع هزيمتهم الاضطراب في الجيوش ويخشى
 عليها من الخذل والانكسار . وان نظرنا منهم جيشاً منفرداً والقينا اليهم
 مثلاً قيادة مراكز الجزائر وغيرها ينتهز الغرب الذين لم يزالوا الى الآن
 تتايهم ابادى اليهود فرصة غيابنا فيتجهزون عليهم ويمزقونهم شذراً مذبذباً .
 نعم ان هذا يعد من قبيل الاخذ بالثار ولكن يخشى ان يتأتى من
 ذلك ثورة كما حصل في سنة سبعين تعود بالخسائر على الاستثمارات
 الفرنسية . فبم يجب استئذانهم اذا ثبت الحزب اذا ما دمننا بخشى
 اخطارهم على الجيش ان وجدوا فيه ؟ أرى ان احسن واسطة هي اعفاء
 اليهود من الخدمة العسكرية حتى تشديد منعها عليهم ، وان قامت الحزب
 وحى وطنيتها تقاتل لاجلهم الى ان يشاء الله وندهم في استطراد
 اعمالهم المالية فتشتي خطرهم ونأمن من غوائل شرهم . والجيش عندنا وقده لم
 يزل بعيداً عن مطاعم اليهود ومراكزه العالية مرتاحة من شروهم ولا
 يوجد فيه الاضباط فلان اكثرهم في قسم المدفعية وقسم الاستحكامات
 وهم متخرجون في المدارس الرياضية الهندسية التي دخلوها بامل
 الوصول الى الطبقات الملكية . ولكن لما لم تكفل مساعدتهم بالنجاح بعد
 خروجهم اضطروا للانتظام في سلك العسكرية . وهم الان يسلبون
 النفس بتعليق السيوف وارتداء اللباس العسكري . وهذا غرور باطل
 لا يرتضى به اليهودي اذا بارحه عنفوان الشبوية فيعدل عما رضي به
 مضطراً لا مختاراً الى السعي وراء الفنى والثروة المنقرض حبهما في الفترة
 اليهودية . فتراه ترك سلك العسكرية الشريف في سن الثلاثين ليكون

مديراً او مهندساً لاحدى الجمعيات المالية والصناعية المختصة باليهود ولا
يبقى في خدمة الجيش منهم الا نذر قليل ،
وفي اثناء اقامة ضباط اليهود مدة في الجيش بعهدين نوعاً عن مجانسيتهم يضطرون
مع الضباط الآخرين للرضوخ للمعيشة الضنكة والخضوع للقانون العمومي .
فجاورتهم الطويلة المتداومة لامثالهم في السلك واحتكاك افكارهم الاضطراري
مع الضباط الفرنسيين الذين سارت باستقامتهم الامثال وافنخر بمجرية افكارهم
التاريخ كل ذلك يغير بلا شك في اوهامهم وبطلان اعتقادهم وينخفض
من درجة تقليداتهم العقلية التي يلتزمها اليهودي في علاقته مع (الجويم) .
فيجري عليهم وقتياً تاثير الهيئة التي يعيشون في ظهرانيتها ويماثلون الفرنسيين
في الاخلاق مدة وجودهم في الجيش . ولكن اذا اعتزل احداهم العسكرية
الى مجانسة اليهود ومعاملتهم تتوارى تلك الصفة عن العيان وتحل
صفة اليهودي محلها

وعلى كل حال فان وجود نذر قليل من الضباط الاسرائيليين
في الجيش لا ياتي بضرر يذكر عليه ولكن قد يختلف الامر
اذا طمحت انظار اليهود الى الاستيلاء على المراكز العالية في الجيش
كما قبضوا على ازمة الاحكام الادارية والقضائية واصبحوا ارباب الثروة
العمومية فانه اذا دخل اليهودي في هذا السلك لا يلبث ان
يعتلي المراكز المهمة في الهيئة العسكرية اذ يكون مدفوعاً بايدي
ارباب القوة والنفوذ . واذا يتكاثر عدده يسرى سمه في جسم العسكري
ويزرع فيه الفساد والارتباك اللذين القاهما اينما حل وحلت شروره .
فالجيش مركز الحماية الوطنية . والجيش آخر ملجأ للشرف الفرنسيين . فليكن

في أمن من تخرش اليهودي لثلا تسرى اليه العدوى وفي بعد من دناءه
اصله ورداءة قصده لثلا يكون ذلك اعظم سريانا فيه من كافة السموم
المعروفة . فما اتصف به العسكري من شرف الفكر وحرية الضمير يمنعه
عن اساءة الظن بنظيره وان كان يهوديا وادراك حيله والتحرز من حباله فتسله
سلامة نيته الى ايدي العدو بغير مقاومته او دفاع

وفي قضية " كافاريل واندالوا " عبرة للجيش وخبرة يدرك منها ما يحيق
بالعسكري من الخطر عند اقل علاقاته مع اليهودي . وهذه القضية لا نرى فيها
فقط تأثير العدوى اليهودية في الجيش بل تعدي القوة القضائية المنتصرة لليهود
وفظاعة اعمالها

اتصف اثنان من قواد الجيش العظام بالشرف وحازا قصب
السبق في الشجاعة والمهارة العسكرية فخرجا بعد اتمام الخدمة ولا
يشوب وجه تاريخهما شائبة . فالتقت اليهما مقاليد المناصب العالية جزاء
لما على سابق الاخلاص وصدق الخدمة . اما احدهما فان الشيطان قد
وسوس له ونفث في صدره وغره حب المال والغنى فاستعمل علوم منصبه
للتجارة وباع بدياه القاب الشرف التي حازها بشجاعته وغنمها بقوائمه سيفه .
اما الآخر فذنبه ضعف الراي والانقياد لوساوس اولي الفساد فوقع
على غير علم منه في حبال الذين لم ينتبه الى مكروهم وغدرهم واذا اصبح
قبيصة لهم صوبوا نحوه اسنة العدا ورشقوه بسهام المطامع فلم يبقوا عليه
ولم يذروا

فما كان نصيب هذين القائدين ؟ ان الاول الذي هو الحالي الحقيقي قد
بلغه العزم على القبض عليه فوسّع له طريق الفرار ومع انه قد حكم عليه

غايياً بالسجن ستة اشهر فقد قالت السلطة القضائية بعدم وجوب تجريده
 من نشان الشرف . اما الثاني فانه ذهب ضخية الضمائم السافلة مع انها لا تعلق
 بشخصه فقد ألقى القبض عليه وسبق الى السجن . فلبطخوا شرفه باله ر
 وقدموه فدية لبعض اللصوص السرقة وجعلوه هدفاً لصواعق غيظهم وسهام
 حسدكم وقبل استماع اقواله والحكم عليه جردوه من القاب الشرف
 وعلاماتها . وبعد ذلك كله ساقوه امام محكمة بين قواد وثلاث فاحشات
 وبعد ان سقي المنكود الحظ فريسة الاشقياء والاقوياء اكوفوس النذل
 والموان رثت الهيثة لحاله وارادت معاملته بالرحمة ولكنها اضطرت للحكم
 عليه اذ انه لم يعترف علانية بالجريمة التي اتهموه بالاشتراك فيها . والذي
 جر كل هذه المصائب على راس هذا العسكري القديم والشيخ الشجاع
 الذي استمار بياض ناصيته من بياض اعماله العسكرية وفتوحاته العظيمة
 غيظ زمرة المنتصرين . وقد املوا اذ فتكوا به ثم شرف الجنرال بولانجه القائد
 المشهور وهذا لا ذنب له الا رفضه الاشتراك بالجناية والمساعدة على الاختلاس
 والحياة . ولكن خابت والله امالهم ولم تتجح اعمالهم . فلم يزد بولانجه الا
 قوة وشرفه الا نخرأ فان الراى العام جنق واغتاز اذ راى المارقين اللئام
 مقدمين على تدنيس هامة الشيخ التي يكللها بياض الاعمال بايديهم
 الملطخة بالاوزار فقام يشدد التكبر عليهم . واذ رأّت طغمة المنتصرين هذا
 قامت وقعدت وارغت وازبدت وعقد اعضاؤها النية على الفتك ببولانجه
 على اى حال فسلطوا عليه الكلاب وارسلوا في طلبه جماعة الاشقياء
 ووضعوا عليه العيون والارصاد واغروا اللصوص على سرقة اوراقه واكتشاف
 اسراره لعلهم يفترون من خفائاه على ما يصوبون سهامه اليه . فسرخوا عدة

رسائل واخذوا يشددون عليه التكبر ويقذفون اليه الشتائم والاهانات
املاً بانثارة غضبه واخراجه عن حدود الصبر والاعتدال فيتفوه بما يعيدونه
بلاء على راسه حتى عاثوا اخيراً على حيحة - مائلة فانهزوها فرصة لنزع وسام
القيادة من كتفيه وتجريده من علامات الشرف كما فعلوا لاجله بالقائد
كافاريل

ولا يظن القارى بان غايتنا هنا امتداح الجنرال بولانجه وتعدد
مآثره فان اعتباره وقدره حقيقيين كانا او ظاهريين يقيان بين الشك
واليقين او على الاقل موضوعاً للنظر طالما لم يشبهما بالاعمال ولكن اذا نظرنا
نظراً مجملًا الى امياله واعماله السياسية والحربية فلا نرى فيه الا قائداً
كان ماضيه العسكري لا يقبل الانتقاد ويستحق في الغالب المدح . فلا
نمجب وحالة هذه ان رأينا الحق والغضب اخبأ حدهما من محبي
الوطن العزيز وهاجيت الضغائن الكامنة في صدور الفرنسيين اذ رأوا طغمة
المتصرين واليهود تمد يدها المدنسة الى هامة هذا البطل المشهور
بالدفاع عن الوطن والذب عن حماه . وذلك لانه لم تفره منها الوعود
فينقاد لباطليهما ويرمي الجيش بالعار . فداروا حوله من كل جانب
وقاموا بينه وبين العدو كدروع متين وحصن حصين يدراً عنه اعتداء
المفتريين ويرد صدمات المهاجمين حتى بلغ عدد المتصرين له بالاختيار
خمسمائة الف رجل فخبه جميع الاحزاب واذا رأينا تجمع الاحقاد والتآمر
الضغائن على اليهود حول هذا الشجاع المقدم سطعت على انظارنا بروق
لاماني وقتلنا لا تمضي بنا مدة الا ونرى هذا الحزب المؤلف من خيار
الرجال قد قام تجاه العدو واخذ بالنار من الحزب اليهودي . ولكن

حسبنا ذلك وفاتنا ان اليهودى كالقدر لا حول منه ولا مناص . فلم
تكد تظهر علام النجاح في اول خطوات الحزب البولاني في ومظاهر نفوذ
القائد المشهور حتى خاف اليهود على نفوذهم من السقوط وصوالهم
من الذخايب ورأوا ضرورة تداخلهم في هذا الجمهور الحر فتحرس ثلاثة
او اربعة منهم وجأوا يتعنون لهم في ديار الاحرار منزلا . ونحشى تعدد
هذه المنازل الممديه فتعلق باطراف الحزب البولاني وسري السم الى
جسمه فلا يلبث ان يصيح عنوان الفساد والفسائس كما هو شأن اليهود اينما
حلوا ففسعوا في الارض فساداً . وعلى كل فان الصدق والظروف قد خدمت
هذا القائد الهام ولا يبعد ان يكون ظلمه سعيداً لو ادرك حق الادراك اهمية
مركزه وابي الانقياد لاباطيل سياسة اليهود فيستميل اليه احرار الفرنسيين
ويخذب منهم حزباً قوياً يديره في اعلاء شأن الوطن للبرية وتشيد عروش
مبعده وآى ذكر جميل يترك له في صفحات التاريخ لو اوقف نفسه لتحرير
الامة واعلاء شأنها . فهل يرضى بهتاي يا بيري ؟ هذا ما نؤمله من
صميم القواد ونحن من المخطو على الشفاء . وكيفما كان الحال فان
بولانيه بغيامه في حق النهضة الفرنسيه وتبنيه المشاعر الوطنيه قد استحق
من وطنه ثناء حميلاً لا يستحقه فيما اذا مرض نفسه لحميات التونكيين
او ذهب لتطويق قبائل تخير (١) وهمية في تونس ارضاء لجمعية " فيري"
وروشيلد وشركاهم اعداؤنا واعداءه اليوم ولكن نحشى ان ينقلبوا اصحابه في

(١) قبائل خمير هي على حدود تونس والفاصلة بينها وبين الجزائر وهي التي الفت
فرنسا فيها الدسائس والفتن فتنتج عن ذلك ثورة اتخذتها ذريعة لاختلال بوية تونس
الى اليوم «نجيب»

المغذ غاليهودي يرهب العسكري ويوقره لانه يعلم انه شجاع فرنسا الحقيقي يوم الزحام ولكنه يخدعه ويراوغه ويرميه بالجائل في كل الامور . فعليه بان تكون مصائبه المتعددة مدرسة تجارب وتربية فيحذر الوقوع في مخالفه فتحسن عقباننا ونفوز بفرضنا المقصود

نقي اليهود

نعم لقد باءت فرنسا تحت وقر جور اليهود وأنت تحت نير استعباد الاسرائيليين والمتصرين لم لكن الدهر باهله قلب ولكل شيء نهاية . فقد طال استعباد اليهود لنا ووصل الى درجة قصوى يمكننا بعدها ان نتنبأ مع دريمون بقرب سقوط نفوذ اليهود وانكسار شوكتهم العظيمة . نانه اذا ملّ الشعب من احتمال وطأتهم وشدة جورهم وانحنى تحت اعباء الفقر والفاقة . واذا اصبح الجيش في ضيق من ضروب الاهانات والمذلة التي يكابدها في الداخل والخارج تميز الشعب والجيش حنقا وثارا غيظا وغضباً فمزقا حجاباً على عينيها ونظرا ذات اليمين وذات الشمال ليريا من كان السبب في الضيق والشدة والفقر والمذلة . واذا تأكدا بان ما اصل ذلك الا اليهودى وقفا وقفة الحائر المندهشن متعجبين في كيف امكنهما ان يتحملا هذه المدة الطويلة نير عصابة من اليهود قضت مدة ثمانية عشر جيلا تجمع بين بصقات العالم وضربات نعاله . وبعد ساعات الغضب الاولى التي يتمكنان في خلالها من استخلاص

استغلالهما المفقود وحريرتهما وراحتهما المسلوبتين فبدل ان يشأ الفارة على
ثروة روتشيلد وزمرته ونفوذ العصاة اليهودية وقوتها اقتصرا من ذلك
على الشروع في استرداد عمومي اجباري لكافة اموال الاسرائيليين المنتزفة من
دماء الاهالي والحكومة فيتمحصل كل منهما على نصيبه من النفع والفائدة .
اما المشروع فلي غاية من البساطة وهو كما ياتي

اذ تشهر فرنسا على اعدائها الحرب وتعلن بالحصار . تصدر الاوامر
وتبعث الرسل الى الجهات في منع اي يهودي كان من مجاوزة الحدود .
وبعد ان تتخذ الحكومة هذه الاحتياطات تشرع في ما ياتي

يفتح مشروع الاسترداد بان تمحى كل اسماء اليهود من سجل الديون
العمومية الذي يحن اليه روتشيلد ومعظم شانه لديه . والحاصل يكون
اول مبلغ من اصل الاسترداد العام . يعين في كل بلاد الجمهورية
مندوبون لاجراء تفتيش عام قانوني في البنوك والبيوتات المالية وسجلاتها
فيجملون اسم الحكومة خلفاً لاسم اليهودي فيها فترثه في الديون والسلفات .
يصدر امر مطلق بججز ما يملكه يهود فرنسا ويهود الجزائر على السواء
من العقارات والاثاث ويبيع بالمزايدة بانحس الاثمان وبعد اتمام الاسترداد
القانوني يعطى اليهود ثمانية ايام حرة لمبارحة الحدود الفرنسية حيث
يقام في النقط مامورون لتفتيش مهماتهم واشخاصهم بتقيب واعتناء . اذ
انه يمتنع بان يحمل الواحد منهم من النقود مبلغاً يتجاوز الالف فرنك
لكن مهماتهم تنقل مجاناً . وكل من لم يرحل منهم بعد الاجل المحدد يرسل
الى التونكين حيث تعطى له الاراضي الواسعة والفيافي الممتدة ليشتمع
بالذة الاستعمار في رمال تلك البلاد التي اضطرنا قوامها الى امتلاكها وبخول

من ينفي الى تلك البلاد الحق باستغلال من يريده من اليهود
والمتصرين لم بمجرد طلب رسمي ولكن على شرط ان يخضع كل آت
للشروط نفسها واخيراً تلقى ادارة اعمال هذا الاستعمار اليهودي التونسي
على عاتق «المسيو» جول فرتي وان تكون هذه المهمة بمرتب او مكافأة فلتكن
اجبارية دائمة ويناط ربان باريس بشخصه المصروحي

وكل يعلم ان مجدوع ثروة اليهود في فرنسا لا ثقل عن ثلاثين
ملياراً من الفرنكات . فاذا حسبنا ان اليهود بمكرهم المعتاد ومهارتهم في
ضروب الاحتيال والاختلاس يخفون عن اعيننا ثلث هذا المبلغ فهل
يتامل القارئ فيما تكون نتيجة دخول عشرين ملياراً فجأة على الخزينة الفرنسية
قالت فرنسا تصبح في الحال اغنى دول العالم واوسعها ثروة . واذ
تكن تخلصت من اليهود وما يجدثونه في داخليتها من الارتباكات واشتقاق
الاحزاب تحمل فيها السعادة بعد ان بارختها ويشتع اهلها بطيب العيش
بعد ان ذاقوا من مرارة شر اليهود وبلائهم ما احرمهم منه . فلا غش
بعدها في الانتخابات ولا باقية لحزب المتصرين . لا امتيازات في الحكومة
والاحكام لا ولا خلل فيها . لا اثر لدولة الظلم والاعتصاب . لا ولا
عين لحروب بعيدة لا معنى لها . ففي ذلك حلول دولة العدل وطلوع
بدر السعادة . واي عمل لا تشرع به حكومتنا اذ ذاك لتشارك رعاياها بالفنمية
وتخولهم نصيبهم بالثمن . فاولها رفع كثير من الضرائب الفادحة عن عائق
الاهالي وتسهيل اسباب الارباح والرفاه للجماعة المال فتتحسن احوال
الزراعة وخالة العسكري والجيش . وبشر البلاد واهلها بعد ذلك بالوصول
الى درجة من السعادة لم يعرفها بعد . وان نظرنا الى الخارج نرى بان

طرده اليهود وابعادهم يعود بفائدة اخرى اديية لا تقل اهمية لدينا عن
الفائدة الاولى للمادية . فكلنا يعلم بان اكثر اليهود جاؤنا من المانيا ولا
يلبثون ان يرجعوا اليها اليوم اذا ابعدناهم وقطعنا دابرهم . ونعلم ايضا ان
دائهم التستر وراء راية الحرية والاستسكاع بعري الجمهورية ولهذا نراهم
متزلفين لحزب المحافظين ليستعينوا بميادي هذا الحزب العممة على حماية
تلك القوة التي نالوها في بثهم الافكار الحرة فلا بد اذا رجعوا الى
المانيا ان يرجعوا الى مبادئهم الحرة التي تخولم النفوذ والقوة ولا يمضي
ايام قلائل حتى يثيروا بهذه البلاد الملكية ثورة ترفعها بالارتباك وخوار
القوى كما اوقعت فرنسا من قبلها فلا تعود محلا للرعب . وهكذا ينتقم لنا اليهود
من واقعة سدان بغير ان نجرد سيفاً او نطلق مدفعاً (١) ومهما تكون واسطة
انفرنسوي للخلاص من اسر اليهود وشروطهم فلا يفتك بعدوه كما هو جار
في البلاد الاخرى لاتصافه بالحلم وعلو الهمة . ولكن يحتمل بانه اذا
ياخذ الغضب والحدة منه حدهما في بادئ بدء ينسي حلمه المشهور
وزرى اسرائيل وقد اضاف الى ماضيه مجموعاً جديداً من الاهانة وضربات
الذمال اشتراه بظلمه واعتدائه الماضيين فيكون ذلك له مدرسة وتغيره عبرة .
فلعل اليهود يعتبرون

(١) اعظم موقعة حصلت في حرب السبعين وعليها توقف انتصار المانيا على
فرنسا .

اليهود في مصر

إن حضرة المؤلف قد ابدع واجاد في ذكر اعمال اليهود في مصر ولكنه التزم في مجته ذكر الاشخاص الذين ينتصرون لهم ويحولونهم ذلك النفوذ من وطنيين واجانب والذين سرت اليهم المدوى تجاروا اليهود بالاعمال حتى فاقوم . وقد سرد اعمالهم بالتفصيل مع ذكر الازمنة والامكنة والاشخاص . واني مع تأكيد حقيقة ما يقول اثرت عدم ذكر ذاك الفصل لان ذكره ينافي با اقصده بتعريب هذا الكتاب الجليل . وذلك اولا لان حضرة المؤلف تصدى للطن في اشخاص معروفين وهذا لا اميل اليه لاسيما وان اولئك الاشخاص هم من غير اليهود وان يكونوا من انصارهم . ثانيا لان ما اوعزه اليهم من الاعمال يتعلق بالحكومة الهلية ويمس بشرفها . فرأيت العدول عن ذكره اولى وابدله بذكر ما اشاهده بنفسي من اعمال اليهود رأي العين وما يتأكده القاري . لدى بعض البحث والتأمل . فارجوم حضرة المؤلف عفواً ومن قرائي الكرام عذراً . واقول

نبشأ التاريخ بان مصر قد رزئت في الايام الخالية بسبب اليهود بعشر ضربات عظيمة اوقعت بها الحن وانزلت بها المصائب والمبر . ولكن وجودهم فيها كان اشد تلك الضربات واعظم تلك المصائب . وهذه البلاد ما زالت منكودة الحظ منذ نزلوا فيها وانزلوا شرورهم . فتراهم ناعمين دليها

تكن صدورهم احقاداً وقلوبهم حزازات كان اليهود لم ينسوا بعد الى الان ما قاساه
اباؤهم العبرانيون من الذل والاهانة ايام كانوا عبيداً للمصريين . فان ما وهبه الله
لوادي النيل من حسن التربة والخصب الطبيعي واعتدال الهواء وما خص به
سكانه من رقة الجانب ولين العريكة وسلامة الاخلاق كان السبب الذي لاجله
اصيب المصريون بجوار اليهود المشوم . لان تلك المحسنات التي وهبت لمصر
واهلها رغبت هذا الشعب الطفيلي بحلول هذه البلاد الفناء وجيت اليه
استثمار خيراتها . وقد تقال بلين المصريين على نوال بغيته وبلوغ قصده
فانها اجداده حاملين اليها المصائب والعبر وما زالوا يتكاثرون ويعظم
سوادهم كلما توالى الايام . ولما فارق العبرانيون هذه البلاد انقياداً لصوت
نبيهم موسى حاملين غنى المصريين وذخائر خزائهم بعد ان جلبوا على
راسهم المصائب وابلوهم بالحداد بموت ابيكارهم لم تبقى مصر مرتاحة من
جوارهم الا زمناً وجيزاً فقد رجعوا وارجعوا اليها نوايب جوارهم . ومن ذاك
الحين اصبحت ميداناً واسعاً لاعمال اليهود فهم يسلبون وينهبون باي الطرق
الاجتياالية ويعيثون في الارض فساداً والمصريون لاهون عنهم وساهون
فكانوا عن تكدير صفاء العيش بعيدين ومن الخطر امين .

فهذا الفلاح المصرى ينقلب يارب الشقاء والعناء سعياً وراء احياء
نفسه . والحكومة تسعى في تخفيف الانتقال عن عائقه تصليحاً لحاله
وتسهيل له الوسائط رغبة في اسعاده وهو لا يزداد الا تعساً ودائه الانكسار
بينما اليهود يتمتعون بالسيادة المطلقة والتصرف الحر

ومن المعلوم لدى القاصي والداني ان اليهود في مصر كما في جميع
الجهات ارباب المال وخزائن ثروة البلاد . فكيف تحصلوا على تلك

الاموال وما الذي يملكهم من ضبطها واحتكارها ؟ رأى القراء في
 " نفثة الخناس " بان اليهود يعتبرون المال القوة الاولى في هذا العالم
 واصل السلطة والنفوذ ولا قوة غيرها تضمن لهم ما تطمح انظارهم اليه .
 وقد اصابوا فيما يظنون فجردوا انفسهم عن كل احساس شريف من شأنه
 ان يرمي في قلبهم عزة النفس مثلاً او الرأفة بالفقير وتجردوا لسحب
 الاموال بأي الطرق الاحتمالية كل على حسب ما يمكنه مركزه الديني
 - والله المركزية - فساروا جميعاً من كبير وصغير وغني وفقير ورجل وامرأة
 في ثنيات تلك الطريق . ولما لم يجد احدهم من نفسه لإعماله رادعاً ومن
 الاهالي والحكومة مانعاً مشوا الجوراء بيدهم سلاحان المكروالدهاء
 ودرع الحرية الشخصية يضربون بالاول وبفتكون ويدراون بالثاني ويمحون
 حتى وصل كل منهم المحجة واعلام النصر تحفلق على راسه وحسام الغدر
 يقطر دماً في يده فكم ترك به مجندلاً وقيلاً وكم سفك به دماً وهتك
 حرمة حتى ملأ الجوانب بالعويل وابلى بالمصائب كل سفيل واصيل .
 ورب قائل بانك تكبر وتهمل وتعالى وتهول ولم تر منك توضيحاً ولا على
 كلامك بياناً . فهلاً اننى سارضيه بما يرغب واطلمه على ما يتطلع
 لا يخفى ان اليهود تركوا الزراعة والفلاحة والبناء والخدمة وكل عمل
 يحتاج الى تعب وعناء واشتغلوا جميعاً بالاعمال المالية وهم في تلك الطريق
 انصرفوا فرقاً متفرقة على حسب ما ينهه . فمنهم الصيارف والصياغ .
 " والبكيريه " . والمهلات التجارية . ثم الجمعيات المالية العظيمة . فكان كل منهم
 ضربة على مصر متفاوت في الضرر تفاوت تلك الدرجات

الضربة الصغرى

الصراف

اول ما يبدأ به الصراف تبديل النقود فان ابدل الذهب بفضة استقطع القرش او بالعكس اخذ التوش ايضاً . او الذهب بالذهب كالانكليزي بالفرنساوي مثلاً اخذ عليها رجماً . وقد توصل بدهائه الى سحب الذهب عن الجنيه بحيث لا يمكن تمييزه حتى صارت اغلب النقود الذهبية المتداولة ناقصة مسحوبة . وهذا يعرفه اليسوم الكبير والصغير . ثم اذا اتاه احد من بواحد من تلك الدنانير المسحوبة عرفه . وان نقص قمعة اخذه بنقص عشرين قرشاً او اكثر . اما هو فيدفعه كغيره من الجنيهات الى الجملاء وان رجع اليه انكر انه منه . يدور هؤلاء الصيارف على مستخدمي الحكومة والدوائر فيدخون عليهم ببقي الذهب الزائر او الصديق المنعم . فان راوا من احد من انعطافاً والى قهلا لم اتقياداً علموا انه صرف وتصرف بالرتب واصبح في منتصف الشهر من المفلسين . فعرضوا عليه بضاعتهم الرائجة وهي الاصفر الرنان فيميل الموظف لحسنها ويلتهي بطلعتها عن النظر في عاقبتها . وتشغله لذة الحصول عليها عن حساب الهاوية التي توصله اليها في تساوي عنده اذ ذاك اخذ المائة بمائتين والجنيه بثلاثة لانه مشتاق الى طلعها مضطراً الى صلتها . لكن اذ يأتي اوان الدفع يستعظم الامر ويقع في حيص بيص ولكن يطمئن خاطره من حيث لا يرى من المرابي مطالبة ولا طلباً . او تساهلاً وامتناعاً عن القبض . ويغرب عليه السم الكامن طي السم . فان غاية ما يتمناه اليهودي بقاء ذلك الذين اشهر واعواماً

لتراكم المبالغ وتجميع القرض فهو في ثقة من الحصول عليه لسند في يده يرجع اليه . وهكذا يصبح الجنيه عشرة جنيهات والعشرة مائة . فيكشر اليهودي عند ذلك عن اتياب كأنها السهام الحادة ويدفع المديون بها دفعاً مستمراً . وان الفى منه تأخيراً قاضاه وحجز على عقاره واثاله او على مرتبه الشهري . وهذا يضطر المديون المسكين لتعقد القرض بعد القرض ولا يزال هكذا تتنابه سهام الغدر ويكلمه سلاح العدوان حتى يقع بغير حراك وقد انتزفت دماؤه وخارت قواه . فحدث ولا حرج عن العواقب الممكنة نزولها على راس المتكرد الحظ من ضياع الوظيفة او الاثاث والمعار او الافلاس وخراب الديار . واظن بأنه لم يرغب بعد عن خاطر القراء ذلك المنشور الذي أصدرته الحكومة السنية بعدم الحجز على ماهيات المستخدمين اذ رأت تعدد اعمال اليهود المغايرة وطمعهم في سلب المستخدمين وانتهاك حقوقهم . هذه بعض مكائيد الصراف وجائله لا يزال يوقع بها الغنام ويصيد بها القنائص حتى تعظم ثروته وتوفر لديه الوسائل فلا يقنع بالدرهمات القليلة بل تطمع انظاره الى ما وراء ذلك من الاعمال المالية العظيمة واحتكار الارياح الجسيمة فيصبح « بنكيراً »

الضربة الكبرى

« البنكير »

اذا اصبح الصراف ذا ثروة واسعة تمكنه من توسيع دائرة اعماله

يترك تبديل النقود ولا يقتصر على تسليف المبالغ الواهية للمستخدمين
 بل يجرّد لشراء السندات العظيمة والقضايا المالية الجسيمة ممن اضطروهم
 الحال الى بيع تلك السندات لضيق ذات اليد او لسد طلب معجل
 او تلك القضايا لهجزم عن تادية المصاريف اللازمة واضطراهم الى النقود
 فيشتري اليهودي منهم تلك السندات بنصف ثمنها والقضايا بربع ما تساوي
 وهو على كل حال في ثقة من الحصول عليها ولديه من الوسائط
 ما يضمن له استيفاء كامل قيمتها . . . وهناك طريقة اخرى للنصب
 والسلب ابدعوا فيها بالاحتيال واجادوا في ضروب الخداع والاختلاس
 وهي انهم اشتروا اسهم الجمعيات المالية كالسويس وبناما والبنك العقاري
 في باريس ومصر وغيرها وفتحوا لها باب الاشتراك بهذه الطريقة .
 السهم الذي يساوي مثلاً مائتين فرنك جعلوه بثلاثمائة يدفع المشترك ثمنها
 بالنقسيط عشرين فرنكاً عن كل شهر . ثم اتدبوا لتوزيع الاشتراكات
 نمامرة من اليهود ايضاً فانبثوا في المدن والقرى يزينون للناس الحصول على هذه
 الاسهم مغليينهم بالاماني الوهية من الحصول على المبالغ الجسيمة اذا سمحت
 نمر - « اليانصيب » وساعدهم حسن الحظ . هذا مع ان المبالغ المفروض
 تهيد فضلاً عن انه يفوز في الآخر بالسهم ويتمتع بفوائده . وما شاكل
 ذلك من بروق الاماني . ثم انهم يعرضون على الطالب صورة الشروط
 واذا يراها مطابقة لما يسمعه من الحمال تسطع على صفيه بروق الاماني
 الحلب ول يدفع المفروض عن الشهر الاول بعد التوقيع على الشروط .
 فان داوم المشترك الدفع الى النهاية دفعوا اليه السهم ماسوقاً عليه وقد
 رجحوا من ذلك بقدر ثمنه . اي اولا المائة فرنك المضافة الى السهم

ثانياً فوايد الثلاثية فرنك التي دفعها المشترك مبدء الخمسة عشر شهراً
ثالثاً فوايد السهم مدة وجوده في ايديهم . اما اذا رجحت نمرة ذلك
السهم فتكون الغنيمة لا تمضى . من مائة الف فرنك مثلاً واكثر او
اقل . وقد يظن البعض من بسطاء القول انه اذا رجحت نمرة سهم احد
المشاركين فاز بالربح وحصل على المبلغ الذي ترجحه تلك النمرة فهو له
هم في ضلال مبين فان من ظن هذا آمن بوجود المستحقات فائناً
لم نسمع الى اليوم بان احدهم رجحت نمرته الا رجل من اصدقائي وقد نقل
لي قصته بالغرف الواحد كما يأتي .

اقراني احد اليهود على الاشتراك باحد اسهم سكة حديد تركيا فدفعت كافة
التقاضي . وفزت اخيراً بالسهم وكنت انتظر اوقات سحبت النمر الراجعة من وقت
الى آخر مع ان املي كان ضعيفاً بالربح فاطلع عليه في احدى الجرائد
الاجنبية . فبينما كنت اراجع النمر الراجعة يوماً على حسب عادتي استلقت
انظارى عدد الاحاد والعشرات من احدى النمر فقرات العدد بالتدقيق
واذا قابله الى عدد نمرة سهبي وجدت الارقام واحدة فطرت من
فرحي وهرويت الى بنك س . في الاسكندرية لا فوز بالغنيمة الغير المنتظرة
وهي مبلغ مائة الف فرنك ربحته نمرتي فشلت بحضرة المذير واربعه
جريدة النمر ونمرة السهم وطلبت اليه ان يسلمني المبلغ الذي اصابني
فما كان من الخائن الا ان تغير لونه واضطربت حواسه ثم تنفس الصعداء
ونظر اليّ نظرة مكششف وانا معلق بين شفتيه انتظر منه الحكم لي او
القضاء عليّ . اخيراً ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لي يا للعجب
كيف باعوك السهم بعد ان اشتراه غيرك فهذا خطأ يجب ان لا يحصل

مرة اخرى فيكون السبب في تصديق سيد نظيرك فنطلب منك عذراً
 عن هذا الخطأ . فلا ضربة حسام ولا الموت الزوأم كان اشد ضربة
 علي . من هذا الكلام فكان كصاعقة انقضت علي فلم تبق ولم تذر .
 فشعرت ان الدم صعد الى راسي واضطربت جميع حواسي فكنت كمن
 اصيب بجمل او جنون . وكادت تحملني ثورة الدم على الفتك بهذا اللعين
 لكنه تدارك الامر بقرع الحرس تخف اليه الموظفون والجند فمالكت
 نفسي اذ ذاك وقلت للغيث ان ما تقول غير معقول وما تاتي به غير
 مقبول فخلّ عنك المحاولة والمراوغة وادفع الي نصيبي بلا تاخير لئلا
 يحصل ما لا ترغب . فاجابني ان كلامي هذا لصحيح فلا كذب ولا مین
 وانني ساطلمك في الحلال على ما نتأكد منه حقيقة الخبر وجلية الاثر .
 ثم قام الى مخدع آخر واتاني منه بسجل غليظ واخذ يقلب في اوراقه
 الى ان وقف عند واحدة منها فقال لي تعال وانظر فدنوت منه ونظرت
 الى حيث وضع اصبعه فرايت غمرة السهم المعلومة مني وبجائتها تاريخ
 البيع الذي يتقدم شرائي بثلاثة شهور ثم رأيت في آخر السطر اسم
 المشتري فاذا به رجل يهودي اعرفه بصفة رجل خالي الاعمال يليق
 بان يطلق عليه اسم نصاب . فلم يعد عندي شك بان الرجل قد كذب
 ومان وان ما فعله تزوير وبهتان ولكن رايت من نفسي العجز عن مقاومة حيل
 اليهود فرضعت لقضاء الله ولكي قلت للرجل . بما ان الامر كذلك
 وقد بستم السهم لغيري فردوا الي القيمة المدفوعة بدون تاخير فقال لي
 حقاً ما تطلب والصواب ما تقول فانت مخير بين ان تقبض الثمن او
 تاخذ سهماً آخر فقلت لا حاجة لي بسهمكم وكفاني الله شرکم فدفع

لي الثمن باسمًا وشيعني الى الباب محترماً وأنا اتعجب من مكره واتمود
من شره

هذا ما يفعله اصحاب البنوك فيما اذا دفع المشترك النقاسيط الى
النهاية ويرجحت غمرته فان انباء الربح تأتيهم فوراً بعد السحب فيغيرون ويدلون
ويحورون ويوزرون ولا يدعون لغيرهم سبيلاً للربح . أما اذا تاخر المشترك عن دفع
النقاسيط بعد ستة اشهر مثلاً لعذر او سبب انذره البنك ببيع السهم
بالثمن الحالي للحصول على باقي قيمة السهم ان لم يدفع النقاسيط . وان
تاخر بعد هذا ايضاً عن الدفع اتاه اعلان عن بيع السهم مع قائمة الحساب
بطلبه البنك فيها بدفع بقية ثمن السهم المفروض على المشترك اذ انه من
البدوي ان نقاسيط ستة اشهر تقابل ما اضيف على السهم قيمة الفوائد
فتصل وقاحة صاحب البنك الى هذا الحد مع انه هو المشتري وهو
البائع والمتصرف . وكى لا يظن القارى ان كلامي يداخله القلق والمبالغة
فتلك حادثة وقعت بها بنفسى مع احد هؤلاء الملاعين اذكرها تذكيراً
لكلامي وثقكة للقراء

دخل علي ذات يوم يهودي حسن الزى يتابط بمحفظة لم اعلم انها
لشبر . فاحسن الادب وبعد السلام اخرج لي من جيبه ورقة زيارة علمت
منها انه مندوب بنك اجيون وسوارس في الاسكندرية فسألته عن سبب
زيارته لي فبسط محفظته وبرز لي منها اوراقاً مزوقة مزينة عليها صورة
الشروط الآتفة الذكر وبعد ان قرأتها اخذ يتملقني ويبين لي فوائد
الاشتراك ويعطيني بالامال وبعبارة اخرى . عزيز لي الشرح . حتى ملا قلبي
املاً وقلت بارك الله فيها من صدقه ، فخيرتى بين الاشتراك باحد اسم

بنك باريس او غيره فاخترت بنك باريس وثن سهمه خمسمائة فرنك
 " ثمن البنك " ودفعت في الحال المقدم ٢٠ فرنكاً مع التوقيع على
 الشروط فكانت نمرة السهم ٦٢٦٨٧٦ . فثابت على دفع العشرين فرنكاً
 ثمانية شهور وبعدها عرض لي ما اضطرني لمبارحة مصر زمناً فرايت الاوفق
 اذ ذاك استرداد المبلغ الذي دفعته حيث انه يتعسر عليّ مداومة الدفع
 وانا في الخارج فكتبت الى البنك اطلب استرداد المائة والستين فرنك
 المدفوعة مع قيمة الفائدة عن ثمانية شهور كما هو مذكور في شروط الاشتراك
 " اضغاث احلام " . وفي ثاني الايام اتاني الجواب عن كتابي فرايت
 فيه هذه الكلمات " وصلنا كتابك وعملنا باشارتك فبعنا السهم بثلاثمائة
 فرنك ثمنه الحالي يضاف عليها ١٦٠ فرنك وصلتنا منك بالتقسيت
 يبقى عليك اربعون فرنكاً نرجوك ان تدفعها في الحال لمندوب البنك في
 مصر " فظننت نفسي في منام او تلك اضغاث احلام ولكن لم ألبث حتى
 اتيت من غفلي وتبنت لي الحقيقة بلباسها الواضح فطلمت على راسي
 وصفعت نفسي وصحت يا لضبعة المال وخيبة الامال ثم قلت هذا ما كان
 يحذرني منه ابني فلا حول ولا قوة الا بالله . فوحقك ايها القاري الكريم
 لم يزل بي اليهودي حتى اخذ مني الاربعين الباقية واتبعها بالماضية فسرقت
 مني عشر ليرات وانا اشاهده وانظر اليه

فكيف لا يصعب اليهود اغتيا. ما دامت هذه اعمالهم وكيف لا يختكرون
 الاموال والاحتيال دا بهم والخذاع سلاحهم . فالويل ثم الويل لمن وقع في
 حبايل اليهود واصطيد بفخهم فتعل به العبر ويصعب عبء لمن اعتبر
 ولعل القاري يظن بان اصحاب البنوك من اليهود اشتغلوا بهذه الاعمال

عن الدين بالربا فقد اخطأ بظنه وحاد عن الحقيقة بفكره فان الربا مورد هم
العظيم ووسيلتهم الكبرى . لا غنى لهم عنه ولا حول منه . فانهم بينما
هم مشغولون بالنصب واستنباط ضروب الاحتيال تثبث سمارتهم في القرى
وبلاذ الارياف في ايام معلومة من السنة حاملين الاموال يسلفونها الى فلاح
اضحكه القحط او ضيق ذات اليد فياخذها لسداد ضريبة او وفاة دين
المائة بمائتين والالف بالفين وهو غافل عن عاقبة ذلك فرح بقضاء حاجته
حتى اذا ستمحق الدين وعجز المنكود الحظ عن السداد يقع في البلاء
العظيم فيستخلص اليهودى ارضه مقابل المال او يقيه الى السنة التالية
او التي بعدها فيصبح الربى عشرة اضعاف الاصل فتدور عليه الدوائر
وعنى بالحراب . واذ ينتهي المحتالون من نصب شباكهم في الضواحي
يشنون الغارة على ثروة الامراء والاعيان ولا يرجعون الا بالقنائم والمكاسب
والذى يفعله هؤلاء انهم يلجون بيوت الذوات والاكابر والاخلاص مدخلهم
والمذلة وسيلتهم . فمن خدع بحلاوة كلامهم ذاق مرارة شرهم . ومن اغتر
بدسمهم مات بسهمهم فقد علق بالفخ واصبح فريسة لاسرائيل . لانه اذ
يدفعه المرابي بالمطالبة يضطر لوفاء الدين وفايدته التي هي ضعفه فيقرع
لذلك باباً آخر وهكذا يبقى المنكود الحظ مدفوعاً تطرده الكلاب حتى
يصل الفخ ويطبق عليه فتعجز املاكه ويتنف ريشه . وقد بلغت قعة
هؤلاء المرايين الى حد انهم يسلفون اولاد الذوات والاكابر اموالا لاجل
غير محدود وحده وفاة ابائهم واستيلائهم على الميراث فكم من جاهل
منغمس في الملاهي والملذات يزجره والده ويمنع عنه المال تاديباً له وابعادا
لنفسه عن الفساد فيضطره لحظ فاته او دلال غانية ان يقرع ابواب أحد

اليهود فيرمي هذا الشبكة قائلاً بارك فيها " يا جيوفاه " فتعلق بذلك
المتهافت على الوقوع فيها فياخذ المال مقابل وريقة مسودة لا قيمة
لها لديه ويظن الجاهل انه قد فاز بفضيلة باردة اذ يرى الدين لا يطلب
منه الا بعد خمس من السنين او عشرة وان يكن المبلغ بعشرة اضعافه
فيقول في نفسه : تتمتع الان " يا بك " وتتمتع وغازل الغرلان وتعامل معهن
بنت الحان

خذ فرصة اللذات قبل فواتها واذا دعتك الى اللذات فواتها

فمن يضمن لك ان تعيش عشر سنوات وان عشت فما الذي يضرك
ان وفيت هذا الكريم الاتقي جنيته وبقي لديك عشرة او الخمسة آلاف
وعندك عشرون. فانه تمتعك بماله اذ تمتعك منه والدك وجعلك في رفاه
ونعمة اذ حجب عليك ابوك هذا مع انه سيمبر عليك عشر سنوات " يا سلام
والله انه راجل طيب " عشر سنوات ا هكذا تكون الكرام والا فلا .
ولا ينتبه الجاهل من غفلة ويستفيق من سكرته الا بعد ان ينقل الاب
المشفق الى دار البقاء وهو مرتاح البال على المال الذي جمعه والكنز
الذي ذخره حباً براحة ولده العاق غير عالم بما قدره الله فكان . فيرجع
الغافل الى نفسه ويرى ان ما ورثه من والده لا يكاد يكفي لفداء دين
ذلك المنعم . . . بعد ان كان لا يذكر بجانبه فيندم ولا ينفعه الندم
ويستغيث ولا من مغيث . ويستمد الاعانة . ومن يعين ؟ فهو الرامي بنفسه
الى التهلكة وهو الباحث عن حشفه بظلفه . ثم يلتفت الوراء عله يجد باباً
لمفرار فيرى اليهودي مكشراً عن انيابه مظهرًا نواجذه ويعلم ان التهلكة

ورائه وامامه ولا مناص من الوقوع فيها فيأْس من الحياة . ومن هذا القليل ما جرى أخيراً بالبك ر . نجل المرحوم ش . باشا . فانه كان قد استدان في حياة والده المرحوم بعض مئات من الجنيهات من ب . اليهودي ولما توفي كان نصيب البك المذكور من الارث ٢٠٠ فدان من احسن اراضي مديرية الشرقية فقام عند ذلك المرابي اللعين ب . وابرز سندات بمبلغ ٨٠٠٠ جنيه لم يأخذ منها البك المذكور الا بعض مئات كما ذكرنا وحدث نفسه باستخلاص الارض المذكورة مقابل ذلك المبلغ وكاذ يفتج في مشروعه هذا لو لم ينهض ع . بك شقيق المدين ، ويطلب الارض بمحقوق الشفعة لان الارض ملك العائلة ولا يسمح بانتقالها الى يد اجنبية اما الثمانية الاف جنيه فانه سيدفعها عند الحكم له بالشفعة ولم تزل القضية معلقة في محكمة مصر المختلطة . فاعتبروا يا اولي الالباب

ولارباب البنوك طريقة اخرى لاحتكار الاموال وهي المضاربة وتجارة القراطيس المالية . فعند حدوث اي تغيير او انقلاب سياسي او اداري يترتب عليه ارتفاع الاسعار او هبوطها تنقل اليهم انبائهما على اجنحة البرق اتية من نحو روتشيلد مفتاحها ومحط رحالها تفسير اعمالهم وهم بعواقبها عالمون . فان هبطت او ارتفعت فهم وحدهم الراجيون

الضربة اللطيفة

الامراء

بينما يشتغل اليهودي بسلب الرجال مهتماً بالتزاف ثروة الكبراء واسقاطهم

الى الحضيض تقوم الامراة بدورها ايضاً فتلج بيوت الاميرات وتدخل
 خلف السجوف على رباب الحجال حاملة من الحلي ونفيس المنسوجات ما يجاب
 سيداتنا رباب الدلال فيمان الى اقتناء هذه المزيئات . وتسول لمن النفس
 التبرج بتلك المحسنات . لا سيما اذ يرين تساهل الدلالة المحتالة الى حدان
 لا تطلب عن ذلك ثمتاً معجلاً لتلك النفائس ولا يكلفهن ذلك الا التوقيع
 على ورقة يضاء . فتغفرن رغبة الاملاك ويشغلن حب الزينة عن النظر
 بما يعقب تلك الخلاوة من مرارة القدر فتعلق بالفخ وتصاب بالحسران
 لان المحتالة تخرج فرحة مثيلة راقعة راية النصر البيضاء . . . فتدفعها
 الى زوجها يلاها كتابة ويصفها ارقاماً . ثم يطالب بالمال فيطلب عن
 الواحد مائة او عن المائة الفا [١] قاما ان يصعب وفاء ذلك الدين
 على السيدة او ذويها او ان يضطر المديون لدفع الدين حفظاً لناموسه
 ومحافظة على اسمه فان كان الثاني فاز زوج اليهودية بالمال وكانت الكرة
 مباركة وان كان الاول كان المصاب عظيم والداية ادهى فان نفس

(١) ولم اغال قط في قولي ان اليهود يحملون العشرة مائة والمائة الفا فاني
 اطعت بنفسي على قائمتين من هذا النوع كل منهما بقيمة خمسة الاف جنيه
 وذلك ثمن بعض منسوجات وحلي لا تتجاوز قيمتها المائتي جنيه . وما هو ارفع
 من هذا انني رايت قائمة يبلغ ثلاثة الاف جنيه قيمة ملابس داخلية من اقمصة
 وغيرها موزدة في مدة ثقل عن السنة وانني اعرف حق المعرفة ذاك اليهودي
 ك . وامراته المشهورين الآن بهذه الاعمال . فقد اتيا هذه البلاد من مدة وجيزة
 في حالة من الفقر غريبة . واني لا اعلم كيف تحصلت مدام ك . على المبلغ
 الاول . . . حتى بدأت بالعمل ولكن الذي اعلمه واتحققه انهما يلكان الان
 للبالغ الجسمية وعلى الخصوص ذاك القصر المشيد في جهة « درب البرابره »
 الذي تحصلا عليه من احدى الاميرات بالطريقة التي ذكرناها .

اليهودي توسوس له العجز على العقار واستخلاص القبط والدار ومع ذلك فإنه يتساهل مع المديون الى حد انه يقلب السند بالربا الى السنة التالية فيعظم المبلغ او ان يحدث قرضاً آخر بالربا لوفاء الدين فيكون كالاستعير من الرمضاء بالنار من السقوط على الشفا ومن الافلاس على الوشك

تلك بعض اعمال اليهود ذكرتها عبوةً للنفلين وتذكرةً لاولي الابواب ولولا خوف الاطالة لخصت اكثر من هذا في هذا البحر العجاج واتيتم القاري منه بالفوائد الجملة . ولكن اكتفي من اعمال اليهود هنا على الامامع اليها ومن تعداد ما أثرهم على التليح عليها

ورب قائل بكيف يكون لليهود تلك القوة ومن الذي يرجعون اليه عند الشدة فيشد ازهم ويدراً عنهم فاقول . ان اليهود استمالوا اليهم حزباً من اعظم الرجال واصحاب الكلمة النافذة فجعلوه من صبغة الحزب الاوروبوتينستي في فرنسا والقابض على ازمة الاحكام فيها واصبحوا يستخدمونه في قضاء اغراضهم الذاتية ويستعبرون ما له من النفوذ لاتمام المشروعات المهمة . وحدث ولا حرج عما يفعلونه من الخيانات وفطيع الاعمال ولذلك يستوي عندهم سلب الاهالي ونهب الحكومة فهم من العواقب امنون . واقوى من يساعدهم على تلك الاعمال ويخولم ذلك النفوذ هم وكلاء فرنسا في مصرفان السواد الاعظم من اليهود قد اكتسبوا التبعة الفرنسية واستمالوا اليهم القناصل المتعاقبة بواسطة يهود فرنسا الاقوياء فسفروهم بالاعمال ونسبوا اليهم كلما يقترفونه من الذنوب . فلا عجب ان رأينا فرنسا وقد ثلم اسمها وضيعت نفوذها الاول ما دام كاهليها مثقل باعمال اسرائيل . فلو سلم احد اليهود او من لاذ بهم لايدي الحكام لعبته بقيود اي

لحقوق العمومية او الخصوصية تمداخلة وكيل الجمهورية تضع حدا لتلك
لدعوى وتجعل الجاني في امن من العقاب . اما اذا جنى احد " الجوىم "
ضد " ابناء شعب الله المصطفى . . . " فيصب البلاء النازل على راس ذلك
الذى حمله نكد الطالع على العبث بمحقوق اليهودي . فاليهود وحدهم ان
قالوا فعلوا وان طربوا فازدا في حالي الحق والباطل . وهذا الامر قد
اوقع النفور في قلب من عرف هذا من عقلاء المصريين وذوي الفيرة الوطنية منهم
فراوا انفسهم قبالة دولتين انكلتا بمحكمها وتحكمها وفرنسا بانتصارها
 لليهود مخيرين بين سلطتين كل منهما تنوي العبث بصالحهم وتطمع انظارها
الى الاستيلاء عليهم غير ان الواحدة مستولية ظاهرة والاخرى خفية خادعة
عنتالة . فلم يترددوا في اختيار اخف الضررين واهون الشرين فالتقوا بانفسهم
بين ايدي الانكليز مستجيرين من شر اعمال اسرائيل يتغنون من محالبه
خلاصاً . نعم انهم يندبون استقلالهم المفقود ويكون حريتهم المسلوقة
ولكنهم اذ وجدوا في حماية الانكليز رعاية ورفقا ولو في الظاهر وفي
اليهود سهاماً حادّة ومخالباً للنفائس مستعدة ارتدوا الى الوراء مذعورين
ورجعوا الى الانكليز خاضعين ولسان حالهم يقول . . يا ويلنا ان ابتعد
الانكليز عنا وارتحل الجراد الاحمر عن منازلنا فان ذلك يوقعنا
بايدي الفرنسيين آلة اليهود القوية وسندهم المكين فينتزف هولاء
دمائنا في حمايتهم وينتهبون اموالنا في ظلهم والحق ما يقولون والصواب
ما يفتكرون

فينا المصري في تردد واقبال يفرعن الانكليز لتعرضهم واستئثارهم بالسلطة
ويخشى ان تمرقه انياب اليهود القادرين واليهود في سلب ونهب تستنى للانكليز

القرص فيدخلون الاصبع بعد الاصبع وتأخذ شوكتهم بالازدياد ونفوذهم بالتمكن. ويرى اليهود ان الدولة المحتلة لتصرف في مصر "ملكهم الدائم القديم" تصرف الفاتح المالك ثقله رجالها مناصبها العالية وتعترف من خزائنها بغير حساب فيشق ذلك عليهم لزعيمهم ان دفع اليهود عن الخزائن المصرية والحل محلهم يعد عبثاً في صوالحهم واعتصاماً لحقوقهم. فكأنهم من اليهود يسرقون واي القوتين يا ترى تفوز باربعها المقصود وغايتها القصوى؟ اترك الحكم بهذه القضية للمستقبل فانه يلد العجب العجيب. وقبل ان انتقل من بحثي هذا الى غيره ارجو عفواً من القاريء ان وقفت وقفة النادب على سعادة هذه البلاد الطيبة والآسف للحالة التي اوصلتها اليها سياسة فرنسا التي بدل ان توقف مالها من النفوذ في سبيل انتشالها من وهدة البقاة ونحكم الانكليز وتسلطهم استعماته في اعلاء شأن اليهود ومساعدتهم على اعمالهم القبيحة. وباليست فرنسا اعتبرت بثقة المصريين بها واعتمادهم عليها في خلع نير الظالمين فتجعل نفسها اهلاً لتلك الثمنة ومحللاً لتلك الاعتماد فتجتو ما طالما تدعيه من الرغبة في اصلاح حال المصري والغيرة على صوالحه فانفج امر للبلاد اسهل الامور لديها وهو تخليص البلاد من هولاء الطفيليين الذين سعوا بارض مصر بالفساد واقموها بالارتباك فتامن الغدر والاستبداد وترجع اليها سعادتها المفقودة واستقلالها المسلوب

ارض الميعاد

لا ينبغي ان بلاد سوريا وفلسطين هي الارض التي وُهِبَت لشعب
الله المصطفى شعب ابراهيم وموسى فكانت سكنه قبل ان يخرج منها
ويرحل الى مصر عنها ووُعد بها عند خروجه من ارض مصر حتى دخل
بعد التيه اليها . فيها قامت عروش ملوكه وفيها مضت ايام عزه ومجده .
فيها منشأ انبيائه ورثات عظامهم ومقام ابائه واجداده . فيها ملك داود
وعزه ومهبط اسرار حكمة سليمان ومجده . فكم اخضع اليهود فيها من
ملك وكُم اذلوا من شعب . وكان يخولم الله النصر على كل ام البسيطة
الى ان اغضبوا الله ونبدوا جميله فزجرهم وادبهم وقال لهم . يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين . لعلمهم عن
غيهم يرتدعون وعن ضلالهم يرتجعون . فنجرت عن كبرج جماحهم المهجرات
وقصرت دون اقناعهم اليناث فزادوا في ضلالهم واعظموا في عصيانهم
حتى اصابهم عقاب الله العادل وثقمة الله الصارمة . فقهرتهم الشعوب
وتنازعت ملكهم الامر . وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بنفس
من الله .

ولما تفرقوا وتاهوا في المسكونة واختلطوا باممها وشعوبها تركوا اكثر

نوابسهم وجل معتقداتهم فحناف رؤساؤهم من أنقاض شعب الله المقدس ولم يخذوا واسطة لمصر نسلهم وابقائهم على دينهم ومعتقدهم سوى تمثيل الحرم وتعليامهم يبروق الاماني . فزعموا ان عروش محمد . ا . راثيل لم تدك وسطوته لم تسقط الا واراد الله اختبار ابنائه وتمريتهم بالدلة والمسكنة ولكن ان بقوا محافظين على الدين القويم دين موسى وابراهيم مع انه اطلق لم العنان وسهل لهم وسائل النجاح يعدم الله باملاك الارض كما امتلكوها قبلا والرجوع الى الارض المقدسة ارض اجدادهم ومسقط راس اباؤهم وستكون اورشليم عرش ملكه وبابل مصدر سلطته . فاضافوا الى كلام الله وكذبوا . فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم . فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله .

وقد استولت هذه الاوهام على عقول اليهود الاقدمين والحديثين وتمكنت من قلوبهم وثاقا فكانت لهم ثقيتا في الاجتهاد وثقوة على احتمال المذلة والاحتقار . وترام يعدون الدقائق بانتظار تلك الساعة السعيدة التي تعود فيها اليهم اورشليم والارض المقدسة . مدفن اباؤهم وريمهم مجدهم

وبالحقيقة ان تلك الاراضي والاطلال التي اخنت عليها الايام ولبت بها ايدي الافتقار قد حفظت جناها او رجعت بكرة لا تلبث ان تأتي بجليل النتاج . ففيها من الانهار المندفقة والعيون المنبثقة والسواقي الجارية ما لم يوهب لارض غيرها . ويومل اليهود ان يرجعوا اليها عظماء بسلطتهم سعداء بثروتهم . ولو اتفقوا عليها بعض اموالهم وصرفوا فيها بعض العمل والنماء لاصبحت جنة عدن كما كانت قبل . واقامت

تلك الانقراض وشيدت تلك الرمة بقية ما غرب عن اطلالها من التمدن
 القديم ولا يلبث ان يرجع اليها مجددا الاول وعزها الرفيع وتسمي
 ملكاً مزهراً اليهودا وعرشاً زاهياً لاسرائيل . ففيها اورشليم وبابل وفيها
 صور وصيدا وتدمر وبعبلبك والشام دفائن عروش الملوك ومصادر عظمى
 الشرق . وعلى ذلك لا يلام اليهود ان طمعت انظارهم الى امتلاكها
 واقامة عرش ملكهم فيها ولكن الزيل لنا ان تحققت امالهم ونجحت
 مساعيهم . ولا يخفى ايضاً ان اليهود لا يعتبرون جهازاً بهذه الغاية بل
 انهم ينكرونها عند الزوم ولكن كفى باعمالهم شهيدا عليها واقوى دليل
 اليها . ففضلاً عن ان ديانتهم تشير لتلك البلاد كالى وطن مقدس محفوظ
 لهم عليه حقوق مقدسة وارض ممتازة عن غيرها من الاراضي التي سيمتلكونها
 فان اعمالهم التي جعلوها مقدمة لامتلاك تلك البلاد تثبت ان تلك
 الاوهام اسبغت حقائناً غريزية في عقول كبار اليهود وصغارهم وتوارثها
 الخلف عن السلف حتى ان كثيرين من اليهود الميسورين اذا اشعروا
 بقرب اجلهم رحلوا الى الارض الموعودة كي لا يُجرموا من امتلاك شبر
 فيها وتضم عظامهم الى رثا اجدادهم وروساء اسباط شعبهم . ومن اعظم
 الشواهد والدلائل على رسوخ هذه الاملاني في عقول اليهود تلك العبارة التي
 يرددونها في كل اجتماع يهودي في العالم اجمع وهي " العام الاتي في
 اورشليم " ونقال هذه العبارة عند الوداع والافتراق وعلى الخصوص في
 الاعياد والمواسم

وهذه الجملة المعناة التي ردها اليهود الاجيال العديدة قد يظن بانها
 صبحت من العبارات العادية التي لا يحفل بمعناها . ولكن نخشى ان يكون

ذلك الاعتقاد وذلك الامل على وشبك التحقيق اليوم اذا تأمنا في
اعمالهم في هذه البلاد والوسائل التي تختلف كل الاختلاف عما سواها
في كل جهات العالم وذلك الاجتهاد والعمل اللذين لم نعرفهما في طبيعة
اليهودي منذ نشأ حتى الآن ومن المعلوم بان اليهود سيث في فرنسا اعظم
اليهود قوة واشدهم نفوذاً وهم والحق يقال المتصرفون في فرنسا والحاكمون
بالارواح والاشباح ، ولما كانت الحكومة يدهم آلة صماء يديرونها كيف
يشاهون وان فرنسا هذه في اول الدول ذوات الصوت الاقوى والكلمة
النافذة في سوريا وفلسطين ولما فيها اثار وحقوق لم يروا وظيفة لها اتفق من
استعمال نفوذها في تلك البلاد لتحقيق ايمانهم وابرار قصدهم من حيز الفكر
الى حيز القوة.

واول شيء فعلوه ادخال معظم يهود تلك البلاد تحت العلم الفرنسي
وشد ازرهم بحماية الجمهورية ، ثم ان اغنياء اليهود عقدوا الخناصر والقوا في
ظل فرنسا جمعية سموها بالاتحاد الاسرائيلي ووقفوا لها الاموال الطائلة
والايرادات العظيمة حتى اصبحت ثروتها تضاهي ثروة اجدى الدول ، وما القصد
من انشاء تلك الجمعية العظيمة وما هي اعمالها ؟

لا شك ان كلاً من القراء ادرك غايتها وفهم بعد ما قدمناه مكنون
نواياها الا وهي تسهيل ومنازل الاستعمار لجماعة اسرائيل في البلاد المقدسة
حتى تهرع اليها الوفود منهم فيعملون بارضها ويشيدون فيها المدن والقصور
حتى يكثر العنصر اليهودي فيها وتصبح اذا زف زمن السعادة لائتمة لان
تكون عرشاً لاسرائيل وسخايرة ملكه ، فبذلت هذه الجمعية الاموال الطائلة
اشراف الاراضي والعقارات في كل جهات الاراضي المقدسة وخصصت المبالغ

الجسيمة لكل يهودي طلب المهاجرة اليها ويكفي ذلك الطالب ان يظهر
لما رغبته في الرحيل لارض ابائه فتغمره بالانعام وتعين له مبلغاً من المال
للسفر وداراً هناك يسكنها وارضاً يعمل فيها على شرط ان لا يارحها بعد
الذخول اليها

وقد نجح مشروع الاعتماد الاسرائيلي هذا نجاحاً يئاً فتساقفت فقراء
اليهود في طلب الاستعمار الى ارض فلسطين وعلى الخصوص العرب منهم
من شمالي افريقيا حتى تكاثروا فيها وعظم عددهم . ولكن ظهر لجمعية
الاتحاد بعد قليل بانه لا يتظر من رعاغ اليهود وعربهم المتوحشين
عمران تلك البلاد وقمدها وعلى الخصوص لما اتصف به اليهود من
الكسل وكراهة العمل الامر الذي لاجله يستحيل عليهم القيام باحتياجاتهم
الضرورية في غير البلاد الغنية الماهولة حيث انهم جميعاً يشتغلون بالرعي
والاختلاس . فوجب على جمعية الاتحاد اذاً ان تضيف الى اونئك
المهاجرين بعض اليهود المتعلمين الذين تهذبت اخلاقهم بالاحتكاك مع
الامم الاوربية فكانت الصعوبة اذ ذاك شديدة حيث ان الامراض طرهم
الى تخصيص المبالغ التي لانتحصر لاقناع بعض يهود اوروبا على سكنى تلك
البلاد الفقيرة ثم لحصرهم في تلك الارض كي ياتي منهم نسلا يألفها
ويخصص في المستقبل لتشييد مملكة اسرائيل العتيدة ولما علمت جمعية الاتحاد
الاسرائيلي بانه لا يقوم لليهود قائمة ما لم يكونوا في حالة يمكنهم فيها القيام
باودهم وسد جميع احتياجاتهم بغير احتياجههم الى الغير فقد استجلبت
جماعة من المزارعين والبنائين واصحاب الصنائع المختلفة ووضعتهم في نقط
ارض فلسطين التي اشتريتها فسادوا فيها قصوراً على الطرق الاوربية وعمارات

مصنعة الجوانب وهذه دعت اليها اليهود القليلي الثروة من اورشليم ولم تلبث
رض الميعاد ان ضاقت بالوافدين والابنية فاضافوا اليها غيرها ثم غيرها
بهي سائرة بالعمران من يوم الى يوم . واعظم العمارات التي انشأها اليهود
في فلسطين عمارة " ميكوه - اسرائيل " بالقرب من مدينة يافا فهي
كثرها سكانا واعظمها شأنا . ثم عمارة " ريشون " واعضاؤها بعضهم
من يهود فرنسا واغلبهم من يهود ألمانيا وموقعها بين القدس ويافا . ومع
ان اليهود الساكنين فيها هم روسيون فانها ترجع بالادارة الى عمارة
ميكوه اسرائيل اما المدير العام للعمارتين فهو المسيو هيرش وتحت
سلطته في ميكوه اسرائيل . وقد كفى كون هيرش هذا فرنسويا لادخال
جميع هؤلاء الغرباء من المانيين وروسين وبولونيين تحت ظل العلم الفرنسي
وهم لا يعرفون من اللغة الفرنسية غير اسمها (١) ولما تكاثرت
عدد مهاجري اليهود في فلسطين وتعاظم امرهم ادرك الجنب السلطاني
غايته وعلم عظم الخطر الذي يهدد تلك البلاد ان اهمل امرهم
فاراد تلافي الامر قبل تفاقم الداء ورأى الاوفق وضع حد لتكاثر العنصر
اليهودي في البلاد المقدسة فاصدر امره الشاهاني سنة ١٨٨٣
يمنع كل يهودي من امتلاك عقار او بناء بيت في فلسطين . ولكن قد

(١) لا يمضي زمن الا ونرى يهود الدنيا قد أدخلوا سيف الحماية الفرنسية
ولا يمكن اعدى الدول ان تحرك ساكنة لتعمل الارض من دنس هذه الامة
الخطيئة حتى تقوم فرنسا اليهودية منتصرة مهددة بجيش الجيوش وتجهيز المساكن
للذب عن اليهود .

أهمل العمل بهذه الاوامر بالشر لنداخل وكيل فرنسا وحكومتها كلما هتم
 حكام تلك البلاد بتنفيذ ارادة . مولايم . وكيف يسمح روتشيلد بمنع
 امتداد السلطة اليهودية ونمو العنصر اليهودي في البلاد المقدسة مرقد
 موسى وابراهيم وفرنسا ذات السلطة والنفوذ ؟ انه لا يقبل بذلك
 وفي فرنسا نأثخ نار . اقول هذا وانا على يقين ان الفرنسيين لا يضمنون
 باموالهم ورجالهم ولا يتوقفون عن محاربة اسم الدنيا اذا علموا ان بذلك
 ارتحال اليهود عن بلادهم والراحة من شرورهم . ولكن لسوء حظهم لا نرى القليل
 من يهودهم يرحلون عنها بل يهرع اليهود من كل الامم الاخرى
 ويتسبون اليها . والسبب ان يهود فرنسا يرون انفسهم فيها متمتعين
 برغد العيش راتعين بظل الحكومة الوارف متمتعين بخيرات البلاد
 وانعامها آمنين من كل خطر وسوء عاقبة . فكيف يدخل اليهود الى
 بلاد هذه حالتها ويرضون بمدها بالخروج منها . فلقد حتم على فرنسا بجوارهم
 وقضي عليها بلامستهم . فيا لمصيتها من شرورهم وسوء عقابها وذل
 مصيرها من غدرهم لا سيما وهم فيها الحاكمون المتصرفون الناقمون
 المنتقمون المفسدون

وقد انشأت جمعية الاتحاد الاسرائيلي في عمارة ميكوه المذكورة
 مخازن وحوانيث ومدارس لتجمل بين المستعمرين الاتفاق ويشب من
 ابنائهم نسل واحد بخطوة الخطوة الاولى في رفع رمم اسرائيل . وهي تستخدم
 في جميع اعمالها الشاقة المتعبة عربان تلك الجهات بقليل الاجرة فعملوا
 بنشاطهم المشهور حتى غادروها بهجة لمن رآها وقد ابتدأت ايام راحتها
 بالبزوغ وشمس سعادتها بالشروق . ولكن لو بلغ تحسنها وتقدمها الدرجة

القصوى فهل تأتي بعض فوائد ما استغرقته من الاكلاف وما لم يزل
يصرف فيها من الاموال ؟ ان الربح والخسارة لدى جمعية الاتحاد
الاسرائيلي سيان لانها لم تقصد بهلها تجارة او ربحاً وانما ذلك عمل
سياسي باشرته يترتب عليه مجدها ومستقبل سعادتها فهي لن تؤخر
رجلا بعد ان قدمتها ولوانفقت في سبيل ذلك نصف ثروتها . فكل
يهودي الماني او روسي او عربي او اسباني اتاها طالباً ارسلته الى ريشون
او غيرها من العمارات المتعلقة بميكوه اسرائيل وهناك يعطى له الحقل
والارض ويبنى له المنزل ان لم يوجد محل خال وكلما يلزمه من البذار
والحيول والبقر والآلات الزراعيه يقدم له من غير طالب ولا يطلب
منه غير مباشرة العمل وكل ما ذكر هو ملكه على شرط ان تعمربه
الارض ويستغلها وان تضر عليه عمل ما لجهله الزراعة فلديه
اساتذة ماهرون يعلم زراعة الحقول والكروم والرياض انتدبتهم الجمعية
لهذا القصد

يظهر للقاريء من كل هذا بان جمعية الاتحاد لم تترك واسطة
في حيز الامكان الا واستعملتها لتسهل على اليهود العمل وتجب
اليهم الاشتغال فلم يبق عليهم اذاً الا مقاساة بعض العناء بانتظار
تلك السعادة الموعودة . ولكن ما كانت نتيجة اجتهادها هذه
وما لاقت جزاء اعمالها بعد بذل الجهد والمال ؟ . من البديهي انه لو
تدبنا افراد اي امة من امم الشرق والغرب لتأسيس العمارات وتشيد
للدن وقدمنا لهم بعض ما قدمته جمعية الاتحاد من التسهيلات
بالمساعدات لراينا المهاجرين قد هرعوا اليها فرادى وانفجاً واسجعت

تلك البلاد في قليل الايام جنة فيحاء وروضة غناء لا يصدق من رآها بانها كانت في الزمن الماضي ارضاً مقفرة وجبالاً موعرة وبعد قليل من السنين يصبح المستعمرون فيها في حالة الرخاء والرغد ان لم نقل في درجة الغنى والثروة . ولكن كل يعلم ان العمل على الاطلاق ولا سيما الفلاحة هما مع اميال اليهود الطبيعية واستعدادهم الشخصي على طرفي تقيض فهل يرجى منهم بعد ذلك نجاحاً ويتنظر لعملهم فلاحاً ؟ ان هذا النزر القليل الذي فارق بلاده رغبة في زيارة الارض المقدسة وسكنى بلاد اجداده وذلك لحاجة في النفس ووعم ربي وثب عليه قد ندم الآن على مفارقتها البلاد المتمدنة التي كان يعيش فيها بالرغد ويتعم بمخدراتها بغير عناء ولا تعب . واصبح يسائل نفسه في كيف رضي بابدال النعيم بالجحيم والروضة بالفقر والراحة بالتعب والغنى بالفقر . ووصله جنبه وسوء سريره الى الظن بان جمعية الاتحاد قد دعت الى شرك نصبت له او فتح رامت ايقاعه فيه فساقه تقفله واغتراره بالامال الى وخامة العاقبة وسوء المال .

وما خلا عمارة ميكوه - اسرائيل التي تستعمل العربان في اشغالها المتعبة المشقة كما ذكرنا فان جميع العمارات التي انشأتها جمعية الاتحاد الاسرائيلي قد سارت اعمالها بالتأخر واصبح لها منظر كئيب ومشهد كثيف محزن عار عن الرونق والبهجة حتى امسيت ترى كل مهاجري اليهود كاسفي البال ولوائح الياس وقطع الرجاء تلوح عليهم . ومن مكتته وسائله من الرجوع من حيث اتى ترك الملك الموهوب ونقار المبدول هرباً من مشاق العمل وسعياً وراء الاختلاس والربا

فبعداً لكم من يهود وحقاً لبيكم من جنباء انبئال (١)
وتوجد عمارة اخرى بالقرب من حيفا وجبل الكرمل موقعها في
الجبال العالية على سهل ططوره في وسط ارض كنعان ارض الميعاد
الحقيقية . وتدعى هذه العمارة عمارة " زيكبر ويقيوب " . يهملها يهود
اوربيون وهم ياتجمعون بعض النجاح فيها نظراً لوفرة الآلات وغزارة
المادة لديهم

وقد حدث في سنة ١٨٨٢ ان ثلاثين نفرأ من يهود الفلاخ زين
ثم ربانهم المهاجرة وسكنى ارض الميعاد فاذعنوا لرايه واشتروا ارض
السامرة بجميع ما يتلكونه من المال ونزلوا فيها بعائلاتهم . ولما كان
الجبن طبعهم والنكل غريزتهم وكانوا بعيدين كغيرهم من اليهود البعد الشاسع
عن العمل زينت لم الاوهام ان ارض الميعاد تنبت الزرع لنفسها ويحصد
المحصول ملائكتها بكرامات آل اسرائيل ولهذا لم تلبث الارض حتى
حصدت حبوب مسعاهم وانتجت خيبة امالم واصبحوا على اخر رمق من
الضيق وارتابك الاحوال رغماً عن خصب الارض وحسن تربتها ولم
يبق لهم بعد قليل الا الارض النضرة والعيون المنفجرة ولكنها خالية
الزرع بكر لم تمس . فارادوا بيعها ولما لم يجدوا لها طالبا وقعوا في حيص بيص

(١) ان مدير الممارات العام يصف حالة اليهود السيئة بغير محاباة ويأسف لما هم
عليه من البكل والجبن وكراهة العمل ، الامر الذي لاجله تركوا الاراضي
هدفاً لاضرار التغيرات الجوية . وهو يصرح مضطراً بان النتيجة الحاصلة لا توجب
داعي اهتمامه وبهيده عن تحقيق امالي الاتحاد الاسرائيلي

ومنيروا بعظيم لارتباك وكان ذلك عقب صدور الامر الشاهاني القاضي بمنع اليهود من الاستعمار في الاراضي المقدسة فأعلن يهود السامرة بخروج تلك الاطيان من زمامهم ودعوا لمبارحة تلك البلاد في اسرع ما يمكن . فعمد هؤلاء الى الاستجداد بروتشيلد والاتحاد الاسرائيلي ولم يبلغ مسامعها الخبر حتى ارسلوا المدد المالي الى السامرة مع يهودي الزاسي الاصل فرنسوي التبعية يدعى " مسير " وفي صبيحة احد ايام سنة ١٨٨٣ ظهرت الراية الفرنسية على اعالي اكمام السامرة تلعب بها الارياح . وكفى وجود يهودي واحد الزاسي لادخال سكان تلك العمارة في الحماية الفرنسية وكان ذلك حجة بايدي الحزب المنتصر والتائبين عنه في الخارج للتوسط لاجلهم بجانب الباب العالي . وقد قبل الباب العالي توسط روتشيلد وفرنسا والحاكما وامن يهود السامرة على انفسهم وعلى اموالهم . وقد يتعجب القارئ في كيف يهتم حكام الفرنسيين بزمرة من رعايا يهود الاجانب عارين عن المدينة لا يعرفون من الفرنسية كلمة " بونجور " ولكن لا عجب فان قصد الاتحاد الاسرائيلي لم يكن فقط مساعدة افراد من اليهود جعل غايتهم الآن الرجوع من حيث اتوا تخلصاً من عناء الزراعة والمعيشة الضنكة بل غايتها القصوى هي منع هؤلاء اليهود وغيرهم من مبارحة فلسطين فيكونون جزءاً من امانتهم الى تطمح انظارهم اليها ويعقدون الخناصر على ابرازها الى حيز الوجود . وقد نظم اليهودي مسير مندوب جمعية الاتحاد تلك العمارة على نمط عمارة ميكوه - اسرائيل فاستجلب اليها ملابس العمل الرسمية والالات الصناعية والماكنات الزراعية واتاها برجل من اساتذة الزراعة المزهزين

ليكون دليلها ومرشدها . وهكذا سار بالصبر والثبات وعمل بنشاط
وهمة حتى تحسنت حالة المارة واصبحت الزراعة فيها بحالة مرضية . نعم
ان اليهود لا يمكنهم استغلال الارض كما يستغلها غيرهم ولكنهم يعيشون
الآن فيها بالرخاء والسعة وكفى بها من نتيجة حصلوا عليها بعد قطع
الرجاء

ولا نعلم ان كان هؤلاء الفلاحيون يحفظون جميل روتشيلد ويعترفون
بفضله ولكن الذي نعلمه وثبته هو عدم خضوع هذه الزمرة او بالحري
كراهتها للرجل الذي بفضله امنوا الطرد والنفي وبظله حسنت حالهم وبقيت
لهم ارضهم . والذي يضطك هو ان حقدهم هذا على المدير ليس الا
لانه يجبرهم على العمل في ارضهم ويرغب في نجاحهم وتقدمهم . ولولا
خوفهم من الدولة العلية وخشيتهم من تخلي روتشيلد عنهم لما تركوا لمسير
هذا بقاء بينهم

ولم يغرب عن بال احد من القراء حادثة ذاك اليهودي الالماني
الذي اتي من قبل الاتحاد الاسرائيلي بالراكب مشحونة بالرجال والاموال
الى نواحي جبل الطور بدعوى ان تلك الارض هي ملك اليهود القدم
وهي ارض موسى التي تلقى فيها الشريعة الالهية فوجب ان يمتلكوها .
وكادت آمالهم تتحقق وتعمر بهم تلك البلاد لولا انتباه الدولة العلية
لهذا الامر فدعت الحكومة المصرية الى اخراجهم من تلك البلاد فرجعوا
بالخيبة والحذلان . فمنها يظهر للقاري عظم قحة اليهود وتظاهروا بغايتهم
الوحيدة حيث لا يرون داعياً لاختفائها اليوم مع ما هم فيه من القوة

المالية والنفوذ السياسي ولكن هل يبلغون تلك الغاية ويظفرون بذلك
القصد ؟ . . .

فاللآلى من الزمان جالى مثلات بلدن كدل عجيبه



استلقات

ربما ظن من طالع هذا الكتاب ان كتابه النزم الغلو والمبالغة في سرده
اعمال اليهود ووصفه اخلاقهم وعاداتهم . فمنعاً لهذا الظن ونشيطاً لجميع ما ذكر
فيه اثرت سرذ حكاية كانت بلاذ المغرب ميداناً لما قصها سلي في تونس اذ
كنت نزيلاً فيها فاضل اثنى به واعتمد في حقيقتها عليه : هذا فضلاً عن ان
بسردها فكثيراً لسواد قراء هذا الكتاب وتفككة لطالبيه : والحق يقال انها قد اوعت
اهم ما حواه من جليل القوائد وكانت غرأة لاختص صفات اليهود ومثلاً
لسماتهم . وقد تصرفت فيها تصرفاً كلياً حتى غادرناها رواية لطيفة المبني ادبية
المعنى سميتها رواية « اليهودي المنتقم » لان بها اظهاراً لفظاً اغمال اليهود
ورداءة قصدت ودلالة على تقمهم على عباد الله وحقدهم فلعلها تقع موقع الاستحسان
لدى اولى الفضل وتكون غيرة لأولى النهى والعقل . وبالله الاعتصام في المبداء
والختم



تأليف الفقير نجيب الحاج

الفصل الاول

دخول وابفاح

حدثني صاحبي قال . بجي بانه في السنة الثمسين والمائتين بعد الالف
الهجرة كان في مدينة صوصه من اعمال تونس رجل من كبار تجارها اسمه
الفضل بن بجي قد عرف بالاستقامة والكمال وحسن السيرة والحصل
ومن احسن ما اتصف به انه كان يزاد لطفاً واتضاعاً كلما زاد ثروة
واعتلاء حتى تملقت به القلوب ولعبت بارابه الالسن . وكان له اصدقاء
كثيرون اخصهم شاب من العائلات النكرية اسمه علي بن صالح المغربي

(١٣)

ربي وشب في التعم ولكنه افراط في الكرم حتى عُدَّ مبذراً وثقناً
في الجود حتى أصبح مسرفاً وآل به الامر لخسران معظم امواله وضياع
اكثر املاكه - ولكن ما فيه من حسن الخصال والصفات كان يلجم عنه
السنة السفهاء المعتدين فحفظ اسمه وضاء شرفه وناموسه وكثيراً ما كان
يحتاج الى المال فيستمد بصديقه الحميم الفضل بن يحيى المذكور فيحسن
ملاقاته ولا يرضن عليه بما لا مع انه لا يطلب عليه فائدة ولا يذكره بوفاء
فبينما كان الفضل بن يحيى جالسا ذات يوم في بيته دخل عليه صديقه علي
وكان قد غاب عنه زمناً فراى علام الكدر تلوح على وجهه ودلائل
الحزن والكآبة بادية على محياه فساء ذلك واشتاق للاطلاع على سره
ومعرفة خفايا امره فبعد ان ارتاح صديقه هنيهة قال له

- اهلاً بك بعد طول الغيبة ومرحباً بعد زمن الفراق فاخبرني اين
كنت ومن اين انت آت وعلى الخصوص ما الذي يجزئك ويكدر
خاطرك فاني اراك كاسف البال بادي اللبال فلعل في الامكان تعزيزتك
وتسليتك فانا احب الناس اليك واعز الاصدقاء لديك

- ان ما يكدرني لامر ذو بال لا يخففه عني الوالد او الحال ولا ارى
فائدة من كشف حاجتي اليك الا السبب في تصديق خاطرك وتكدير صفاء
راحتك بينما انت عن ذلك غنى وعن معرفتها مستغني

- ان كلامك هذا يزيديني شوقاً وتلهماً للاطلاع على مكنونات سر
فاحلفك بما بيننا من وثيق المودة ان تبوح اليّ بسرّك وتخبرني بمحاجتك
فاني مستعد لتضحية النفس والنفيس في سبيل راحتك وتخفيف عنائك وان

لم اقدر على ذلك فاقسم جزئك واقاسمك همك ونعمك فلقد قيل
ولا بد من شكوى الى ذي مروءة بواسيك او بسليك او بتوجع

- ما جئت اليك الا لاعلمك بسري واطلب منك العون والمساعدة على
امري فقد تعودت الاستقاء من وبلك اذا ما تلهب غليلي والاحتماء
بظلك اذا ما اصابني الضرر . ولكنني اجمعت عن طلبي هذا اولاً لاني مديون
اليك بمبالغ جسيمة اعجز عن وفائها اليوم او غدا . وثانياً لاني اعلم بان
اموالك اليوم تحملها السفن في البحار ويستحيل عليك الان قضاء حاجتي
وافراج كربتي

- اراك عالماً بحالي ومطلعاً على حقيقة امري فان جميع اموالي متفرقة
والقسم الاعظم منها حملها يوسف وكيلى الامين الى اسبانيا ليوسق بها السفن
بضائعاً ولكن ان كان المال حاجتك فلا يتعذر على اقتراض ما تطلبه او
التعهد بوفاء دينك لمن تستدين منه نقل لي اذا ما الذي يلزمك من المال
وما الامر الذي احوجك اليه

بارك الله يا صديقي في مروءتك وجزاك خيراً على صنيعك فثلك تكون
الاصدقاء وبك نقتدي الخلان فهلك يا عزيزي حقيقة امري واصل
غمي وكدرى : انى ما زلت سائراً بسيرتي المعهودة اضيع اموالي وانفق
ثروتي بالبذخ والاسراف حتى تكأرت على الديون واصبحت من ضيق
البد في شجون فرحلت ابتغي لي في حاضرة تونس من القضيحة ملجأ
ومن شاة الاعداء مهرباً . ولما وصاتها سمعت الناس يلهجون بذكر اميرة
من العائلة المستولية تدعى فاتة وهي كاسمها فاتة . قد نبغت بالعلم والادب
واتصفت بالعبق والشهامة والكمال والصيانة فضلا عما تفردت به من

الجمال الباهر والحسن الزاهر . وقد مات ابوها وخلفها وحيدة مع ثروة لا تحصر وغنى لا يتدرق طر عليها الطلاب افرادا وافواجاً وقصدها الخطاب وحداناً وازواجاً من اعيان واعبياء فكانت تردهم خابن تارة بالنف وثارة باللين دون ان تدع لاحد باباً للسكدر او وجهاً للنقم . والغريب انها عرضت نفسها للثلاث من كل امة وجنس لتختار منهم زوجاً متفرداً بالصفات مجمللاً بالحسنات فجاءها فرنسوي فرفضه لحفته وطيشه - وإيطالي فردته لنزقه وحمقه - واسباني فاحذرته لعجزه وجهله - وانكليزي فارجمته بخفي حنين لسمته وثقل حركته - والماني فغيبت مسماه لغلاظته وفظاظته حتى ظن الناس انها تكره الزواج وتؤثر العزلة والانفراد ولكن اخطأوا في ظنهم فان هذه السيدة مقيدة بارادة ايها المترفي الذي وضع لما حدا لا يتجاوز . وذلك انه استخضر قبل موته ثلثة اوان احدها من الذهب والثانية من الفضة والثالثة من رصاص ووضع في احدها رسم ابنته وفي كل منها ايات من اشعر واوصاها بان لا تختار لما زوجاً الا من يقع اختياره على الانية التي فيها صورتها . فامتثلت الاميرة مضطرة لامر والدها فمن احبت منظره واستحسنته فغيره ادخلته الى محل الاواني فيجيب سعيه ويعود حزناً كاسف البال اما اذا لم يعجبها فانها كانت ترده من غير ان تطلع على سر الانية . ولما بلغني خبرها تشوقت لرواها وحدثني نفسي بالحصول عليها فعرضت عليها حسبي ونسبي فالفيت منها عين الرضي وحسن الالتفات ولكنني استصغرت نفسي لديها ورايت نفسي قاصراً عن مضاهاة اصحاب النفوذ والسطوة وغنى والثروة الذين ينقاطرون الى خدمتها ولكنني لم اقطع الامل من الفوز بها حيث انني

رايت منها اعتناءً بأمري ومراعاةً لجانبى فرجعت الى هذه البلدة حزينا
وانت محل املى ومحط رحالى فمالى لاخراج هذه الغمة سواك ولقضاء
هذه المهمة الاك وحاجتى الآن بثلاثة الاف دينار من الاصفر الوهاج
ان ظفرت بعدها بالدرة اليتيمة ارجعت اليك كدفه اموالك وان حال
دون ذلك سوى طالعى رجعت بالحبة ورددت لك هذا المبلغ وابقيت
وفاء الباقي الى فرصة اخرى

- فاجابه الفضل قائلا وهل تؤمل بالفوز مع علمك بان هذه السيدة
لا ترضى من البشر زوجاً

- سارع هذا الباب طارفاً مستعظيماً فان رايت فيه ملجأ وماوى حصلت
على غاية المنى وان حبط مسعاى رضيت من الغنيمة بالايب وارجعت
الك اليك ولا اعود بعد الان لما تعودته من التبذير والاسراف

- اذهب اذاً الى التجار والتمولين واطلب منهم استلاف ما شئت من
الاموال وانا اتعهد لهم بدفع المبلغ فى حينه ان تاخرت انت عنه فانا
واثق بانه لا يتاخر احدهم عن اقراضك هذا انقدر اذا علموا بضمايتى
لك فاني عندهم من اعظم الاغنياء

- لاعدمتك ايها الاخ الكريم والصديق الحميم واني ساعود اليك حالما
يتيسر لى اقتراض المال وابشرك بانى ساحظى عن قريب بربه الجمال
والكمال فان قلبى يمدثنى بنجاح مسعاى على يدك فاطلب لى التوفيق
فا اطلب لك الخير واشكرك كل الشكر قال على هذا وخرج فرحاً بقضاء
حاجته موملاً الحصول على منيته

الفصل الثاني

حقد وموامة

اسحق اليهودي

هو رجل من بلد صوصه دميم الخلقه ذميم الاخلاق سيء السريرة ومع انه واسع الثروة كثير المال فانه كثير البخل والطمع شديد الحرص والآفة لا تم له الا جمع المال وحشد الذهب. قضى ايام شبوبيته وشيئه في بث الدسائس والايقاع بعباد الله. ومع ما اتصف به من اخص الصفات فانه كان منفرداً بالدهاء فريداً بالخداع والمكر قادراً على التزيي بالازياء المخلفة يظاهر امام جيرانه المسلمين والتصارى بالوداد وحب الانسانية مع انه لا يضر الا الشر ويظهر بصغة محب الخير والمعروف مع انه لا يكن الا القدر وهكذا بقي خبثه مستوراً وفساده مكتوماً فاعتقد الناس فيه خلاف ما يكن قلبه ولا يعلمون منه الا انه مراعي لا يسلف المائة الا بمائتين ولا يعطي الدرهم الا باثنين. وهو يعجب بآله ولا يلقى المستلقون منه الا اعراضاً وابتعاداً لعله بانه لا يوجد في المدينة من يضاهيه بالتقى ويقدر على تسليف المبالغ الجسمية الا رجل واحد وهو الفضل بن مجيى صاحبنا المذكور ولهذا تراه ناقماً عليه يغلي صدره حقداً وقلبه انتقاماً وبغضاً لاسيما لان الفضل المذكور هو على غير دين التلود وانه يقرض المبالغ الجسمية لكل طالب بغير فائدة او

ربى فذلك يمنعهم من الوقوع في مغالبه والاستجارة بجوره وظلمه ، حتى
عقد النية اخيرا على الايقاع بهذا المجنون الذي يضيع امواله على الناس
بغير فائدة وحلف بابائه واجداده بأنه سيقنص منه وينشب فيه مغالب
غدره فيلبه اولاً بالافلاس والخراب ثم يأكل لحمه ويشرب دمه . وجعل
يفكر في حيلة لبلوغ القصد والفوز بالني حتى ضاقت به المذاهب واعيته
الحيل وعلم من نفسه العجز عن اتيان هذا القادر باذى نظراً لما له من
منعة الجانبين الناس وعلا المكانة في قلوب الاعيان فانضى كاسف
البال عليه دلائل اليأس وقطع الرجاء حتى ضنى جسده ونحل جسمه وغارت
عيناه واصبح في حالة من الضعف محزنة

وكان لاسحق اليهودي هذا ابنة في ريمان الصبا لا تتجاوز الثامنة
عشرة من العمر اسمها رفقا ليس لابيها سواها وهي فائقة الحجال زائدة
الدلال ذات طرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل لطيفة المعشر نرمي
بعينها السوداءين القلوب وتبلي ناظرها يلاء ايوب وهي مع صغر سنها
وغضاضة صباها كثيرة المادة في الحيل كثيرة الويل في الخداع قادرة في
الدهاء والتقلب والمراوغة . وبالاختصار هي اشبه الناس بابيها . وكان يستشيرها
هذا في المهمات ويرجع اليها في الملمات فكانت تخاطر بنفسها جأ بابيها
فتمده بالحيل وتساعده بدهانها على حل المشكلات ولما من عينها وسمير
طرفها اسلاحاً قوياً ينصرها كلما شئت الفارة فلم ترجع قط بالحيلة والخذلان واذا
رات بابيها الحزن والكآبة هذه المرة والفت منه الضعف والنحول ساء هاذلك
ونكد عيشها ولكنها كنت هذا في قلبها منتظرة ان ييوس ابوها بسره اليها . ولما
طال عليها المطال شمت نفسها الانتظار وقلقت لحالة ايها اذ راته سائراً

بالضعف والنحول فوطدت النفس على استطلاع طاع الخبز والاماع على جنية
الاثر فدخلت عليه يوماً في مئذنه الحصوي الذي يتفرغ فيه لحسان
الاموال وصف الدات والالوف فواته متفكراً مطرق الراس لم ير من
عظم افتكاره على دخولها الا اذ كلمته قائلة .

حيالك يا والدي رب موسى وابراهيم وحصتك بهارون ويهوذا
وكاليب وجيوفاه من شر ما انت مفكر . مالي اراك كاسف البال مشغل
البلال ناحل الجسم بادي الضعف فهل لك حاجة فاقضها او هم فاقاسمكه
وهل تعدى عليك احد فانتقم منه او اغضبك فاسلك دمه

حيل الفحول من الرجال كذرة	تلقاء اطواد احتيالي وخذعتي
وبسالة الابطال في بحر الوضي	باذاه قوة اصغري كقطرة
فانيد الي بي حل كن مهمّة	تلق فناة تفنكن بنسبة
هل من مهام كي اقوم بغضا	او من عدو ابتلبه بنكبة
اعلم فلو كفت ابتك الملا	بالمكر نك مقام عرش الجدة

قل لي بحق اله اسرائيل وجميع الانبياء والقديسين . ما اصل
حزنك وسبب همك وغمك فانك تعلم حبي لك ومقدرتي على
مساعدتك

- دعيني يا رفقا اقا سي الم وحدي ولا تشعب النفس في تسليتي وتعزيتي
فانت غير قادرة هذه المرة على مساعدتي وتخفيف همومي ولا فائدة
من اطلاعك على سري الا انشغال بالك واضطراب حواسك فابقي
ممتعة برغد العيش بعيدة عن نكد هذه الدنيا وذوقي لذة شويتك
وريعان صباح

- لا يهنا لي عيش يا والدي ما دمت اراك مضطرب الجاش
والحواس ولا بد من اطلاعي على حقيقة الخبر واني اعاهدك ببذل نفسي
لتخفيف همك وارجاع راحتك فالويل لمن تسبب في تنكيد عيشك ولا
عاش من كان اصلاً لعمك وهمك

- ان كان لا بد من اخبارك بسري فاسمعي يا بنتي واصني لقال
فالامر جلل والكرة مخطرة . نذكرين جيداً ما طالما رددته على سمعك
من افعال هذا الجنون العاقي الفضل بن يحيى الذي يوزع امواله بينة
ويسرة ويمجد بالذهب الوضاح بغير فائدة او ربحي وكنت اتقرب ان
تدور عليه لذلك الدوائر وتعود عليه افعاله بالخسائر وهو لا يزداد الا
غنى وثروة . وتقدرها جوداً وتبذرها وترينه محبوباً من الجميع نافذ الكلمة
عند الرفيع والوضيع . وقد سد علي ابواب الارباح وسارت اعماله المالية
بالتأخير يوماً عن يوم حتى شئت نفسي احتمال وطأة هذا اللعين
ووطدت النفس على الفك به وحلفت بهارون وموسى اني سالتهم منه .
وتريتي الآن مضطراً للعث يميني المغلظة والعود بالخفية وجبوط المسعى
اذ ارى ما هو عليه هذا الجاحد من الاقتدار والنفوذ وعظم الثروة والغنى .
وهذا يجرح قلبي ويمرغ فؤادي ويسبب لي ما انا فيه من الحزن
والضمف . فما العمل بهذا الشيطان الذي ضاقت دونه حيلي وعجز عنه
مكري . فاطرقت الفأدة براسها برهة الى الارض ثم رفعتة وقد ابتم
ثورها واحمرت غيناها فاهتزت هزة الطرب واعبت اعجاب المتصر الخاقد
فتمعجب اسحق لتلك الاشارات واستبشر بايسامها وفرح من لاجرار عينها
فطار قلبه شعاءً وانتصب واقفاً على قدميه وبغير ان يتفارق جواب ابنته

قال لها . قولي ياربنا تكلمي يا بنتي ما الذي خطر ببالك وما الذي ارشدك
اليه دهائك فقد حيرني تغير حالك وبشرني بالظفر والنصر على عدوي
ابتسامك

- نعم لقد خطر ببالي خاطر والمعني اله اسرائيل لواسطة تضمن
لك الفوز وتحوك الظفر فاسقاط هذا اللعين بين شفتي وخراب دياره بكلمة
مني ومع ان بهذا خطر على نفسي فاني ساجاذف بها ولا اضمن بها
عليك لتعلم اخلاص ابتك لك ورغبتها في راحتك . لا يخفك
يا ابت . بان الوكيل المتصرف للفضل بن يحيى والنائب المستولي على
ثروته هو يوسف النصراني عدوك الاله وهذا الشاب قد فتته جمالي
واحرق قلبه دلالي وقد طالما اراد التودد الي والاقتراب مني وكان
لا يلتقي مني الا اعراضاً ولا يلتقي الا صدأ وجفاء وذلك لعلي ان لا فائدة
من معاشرته ولا نفع من اصطفايه لانه فقير الحال قليل المال وتركه نفسه
خيانة مولاه وانتهاك حرمة . اما الآن فالذي اعلمه انه سافر بالمراكب الى بلاد
اسبانيا يحمل معظم ثروة مولاه ليشترى بها البضائع ويخزن التحف فلا يتعسر
علي ان اسافر اليه فاعلله بالمال واغريه على الفرار بالمال الى بلاد غريبة او
اوقعه في بلاء عظيم ولو اضطرني ذلك لتسليم نفسي اليه فيبلى الفضل
بالافلاس ولا يلبث ان تطالبه اصحاب الديون وتلعب به ايدي الخراب فيبقى
عليك ان تدبر في هلاكه واعدامه الحياة فتصدق بميمتك وتغزو بمرامك .
فطار اللعين فرحاً عند سماعه كلام ابنته واستبشر بقضاء وطره وبلوغ
منته فاحذته لذة الانتقام ورعشة القتال فجعل يقبل ابنته تارة وطوراً
يرفص كمن اصابه خلل او جنون وهو يتكلم بنفسه ويقول . لقد نلت

بنيتي وفزت بوطري فيالها يا فضل من ضربة عليك قاضية ومصيبة على
راسك ماضية فسارتاح من شرك اذا خربت منك الديار ويخلولي الجو
بعدك ايها الجاحد الجبار ولا تقتلنك بعدها شر قتلة واشرب دمك واطعم
لحمك للكلاب

من ملك فضل بالذي اتوقع	قد تلت ما ابني وفزت بما ربي
كاساً بها سم المية يبيع	فلا خرين دياره واذيقه
الا سويحات نزول وتقص	يا فضل لم يفضل بعمر كنه
ارمي بلحمك للكلاب وادفع	فلاقتلك شر قتلة بعدما
وافوز في قصدي عليك وارفع	واراح منك ويخلون الجولي

ثم التفت الى ابنته وقال لا عدمتك يا ربة الجمال من محالة ماكرة
وداهية داهية فقد فرجت كربتي وازلت غمتي وخلصتني من غضب
اسرائيل لو حشنت يميني فثلك تكون النساء والا فلا ولكن ان اصابك
ضر يا سيده النساء فكيف اعيش بعدك او يهنأ لي عيش بعد بعدك
نعم اني سانتقم من الله اعدائي ولكن سافقد اعز الناس لدي فها
ترجعين عن هذا الراي وتدبرين بحيلة اخرى لا فلاس هذا الملعون
اقل خطراً عليك واسهل لديك

- انه لا أمر تقصرون ادراكه الحيل وهمة تميز عنها فحول الرجال
وانها لا تخلو من الخطر علي ولكن سيعينني عليها اله اسرائيل

نال به التي غير احتيالي	فتق واعلم ان لا سبيل
خطير هائل صعب المثال	نم ان الذي ابغيه خطب
صناديد التحول من الرجال	لئن كلت عن الاقوام فيه
عليه بعزمتي وقوى اغتياي	بعون اله اسرائيل اقوى

وسارجع اليك منصور ظافرة واحفلى بالاموال وافوز بالثني . واني
قد اليت على نفسي بالآ اتزوج الا بمهر حصاته بعائي وتعبي فما انا
ذاهبة من الان لاعداد لوازم السفر فادع لي بالنجاح والتوفيق
- اذهبي مصحوبة بالسلامة محصنة برب موسى وجبرائيل واسرافيل

وعزرائيل

تأمل يا حضرة القاريه بهذا الخنو الوالدي وهذه الشفقة الابوية
الذين حملاه على فوات فلذة كبده ووحيدة نسله وتسليمها الى اعظم
المخاطر واصغرها تعرضها للهلكة والافتضاح . فاعلم غرضه منه البصر والمناه
عن النظر في فظاعة ما يفعل وكل هذا رغبة في الانتقام من رجل
لا ذنب له الا تدينه بغير دين التلمود ولا عيب فيه سوى الكرم وحسن
الحصال وعمل الخير والمعروف . فانه اذ راي واسطة للانتقام وعلم ان
في امكانه الوصول الى الفتك بهذا " الجوى " والتصرف بلحمه
ودمه اسكرته خمره الدم واخذته هزة الانتقام فلم يعد يبي على ان دون
ذلك هتك حرمة وانتهاك عرضه ولربما ضياع حياة وحيدة الناس عنده واعزم
لديه الم يرتش قلبك لدى التأمل بهذا العمل الوحشي او لم يقشعر
جسمك عند هذه القساوة الصخرية . فيا ويلك ايها اليهودي اذا حضرت
امام القاضي الديان ومثلت لدى الحضرة القدسية لتطالب بما جنته يدك !

الفصل الثالث

قضاء وقدر

خرجت رفقا وتركت اباهما وحيداً ثملاً بنمرة الانتقام فرحاً بقضاء
الوطر فجعل يفكر بالاموال التي سيربها ان خلا له الجو وبالسطوة والتفوذ
اللذين سينالهما ان بقي متفرداً في البلدة بالغنى . عليه لمعتمد في
المهمات واليه المرجع في الملمات فذكره هذا بما كان يسبب له عدوه
قبل ذلك من الاضرار وخسارة المال وما قاساه منه من الاهوال
فانتصب على قدميه يرتعد غضباً ويرتعش غيظاً وحقداً وجعل يمشي
في ارض القرعة مرحاً وهو يقول . لا لا . ان هذا لا يكفيني وهذا الفعل
لا يصدق به يميني فاني اقسمت اليمين المغلظة ان ابلية بالخراب واشرب دمه
واطعم لحمه لوحوش القاب فلا يهناً لي عيش ولا يرضي عليّ جوفاه
ان لم اندبر بهلاك هذا الملعون واري بنفسه الى الهاوية الهاربة التي لا فعر لها
ولا زاوية وانشد

لا لا فلا يكفي خراب دياره	ودثار ما قد شاد من اوطان
انكرتُ ربي ثم موسى كلمه	وجلالة التلمود والحاخان
وجعدتُ تورا النبي مكذباً	وكنسيتا المبني على الايمان
والطور والقدس الشريف ومانا	من حرمة الصلوات والقربان
وشغفتُ في عيسى المسيح مصداً	لمبشه في غابر الازمان
وأمنت اذ آمنت في انجيله	ونكرت صليته على السلبان
ورففت توراتي وعفت تلاوتي	فيها وملت لسائر الاديان

وكفرت في اسرائيل مع اسباطنا
ان لم اضرب به واترك جسمه
من بعد ما اروي بشرب دمانه
لا يهنا لي عيش بغير هلاكه
فاعني اسرائيل يا املي وبها
جيوفاه الهمني بواسطة بها
واملكه وابعثه لدار جهنم
وامت ابائي ومن ربائي
نهبا الى النربان والعقبان
جوفي وتنهش لحمه اسناني
وبدونه لا يرضي ديانتي
ذا الطول عزرائيل كن معواني
افني عدوك كافر الاحسان
في تفر نهلكه من النربان

بعد ان تصح الضربة القاضية عليه بالسقوط ياتيني صغيراً صاغراً
مستعظماً ممثلاً فيسهل علي الفتك به وايقاعه بالوبال ولكن ما الوسطة؟
الهمني يا اسرائيل وارجح الي يا عزرائيل واسرافيل وانت يا جيوفاه
يا سيدنا المهاب هب الى قلبي نعمة الحلول واهدني الى واسطة لاهلاك من
كفر بك وانكر نعمتك . . . نعم صدق القديسون الابرار لا واسطة
اوفق من التودد لهذا الكافر بالتلمود وانتظار له بالصدقة والهبة فادعوه
الي واكلفه لمناولة طعامي فادس له السم واسقيه من يدي كلس الحمام. والا انصب
له الفخ ووقعه بمكيده فارميه في البئر واخفي منه الاثر ولكن كل هذا
لا يكفي . . . فلم آكل لحمه ولم اشرب من دمه . فيجب ان . . .

طرق الباب فانتشله من بحر افتكاره ووقفه عن نسج حيله فوقف
برهة مضطرب الحواس كمنبيه من نوم ثقيل واذا بالباب يطرق ثانية
فرجع الى نفسه بالتأم وهول نحو الباب يستطلع الجبر . ولما وقعت عينه
على الزائر اصفر لونه وغمز انفه ورفع عمامته وحك قوعته ودمدم وتمتم
ثم قال. اهلا بالشهم الحمام ذو الجود والكرم كيف حالك ايها الصديق
على بن صالح الجليل وكيف حال صديقك الحميم واخوك الكريم الفضل

ابن يحيى ذو الفضل العميم . شرفني ومننت عليّ بما طالما احرمته من
فادخل عليّ الرحب والسعة والكرامة والدعة . ولما استقر بهما الجلوس
قال . هل لسيدي حاجة فاقضها او خدمة فانشرف بها

- لقد جئتك يا اسحق بامر جلل وحاجة تهمني وتسهل عليك وهي ان
تقرضني ثلاثة الاف دينار اصف عليها ما ترغبه من الفوائد والارباح
فادفع لك الجميع قبل مضي الثلاثة شهور فان قضيت حاجتي وفرجت كربتي
فاني احفظ معروفك ما عشت واشكرك ما حييت

- اهلا بك ومرحباً فاني اقدم لك ما شئت ولاي ميعاد رغبت ولكن
لي في معاملتي شرط ارتاح عليه وقانون ارجع في السلفات اليه وذلك
انني لا اسلف مالاً بغير رهن او ضمانه فهل عندك ما ترهنه او لديك
ضامن مقتدر على دفع المال ان تاخرت عن دفعه انت

- لديّ اعظم ضامن واكبر ثقة الا وهو صاحبي الودود الفضل بن
يحيى صاحب الثروة الواسعة والمال الكثير . فحك اليهودي سيفه راسه
وانكششت اعصاب وجهه ثم تغير لونه واحمرت عيناه وبمحق اسنانه وتغيرت
جميع حواسه وبعد ذلك تهلل وجهه بالفرح وبانت لوائحه الاضطراب
على وجهه مذ بانت نواجذه ابتساماً وطياً ينظر اليه ظاناً انه يقدر
الفوائد ويحسب القروش والبارات الى ان قال

- انني راضٍ بضمانه صديقك وصديقي الفضل بن يحيى وقابل
بتعهده وتراني مستعداً لاسلافك ما تطلب على ان تخبره بانني رضيت به ضامناً
وتسأله المجيء اليّ في الحال لكتابة الشروط وقضاء الامر فمواجهته
لازمة لازمة

- اشكر يا اسحق على معروفك واهتمامك برد لفنة ملهوف ولكن
هل لك ان تاتي برفقتي اليه فنتناول الطعام معاً ونقضى الامر هناك
- لا وحق اله اسرائيل . اني اعاشركم يا معشر المسلمين واعاملكم وانقدم
المال بالربا واما زجكم واما زحكم ولكني لا آكل لكم طعاماً تصنعونه بايديكم
الدنسة فكيف بي وقد أكلت جدياً مطبوخاً بلبن امه او لحم ضأن
ببروقه فاناً لا ناكل السمن ولا نذوق من اللحم الا الكاشير فغلّ عنك
هذا الكلام واسرع باحضار صاحبك والسلام

ولما خلا باسحق المكان جعل يتشى في ارض المنخدع بسرعة كذبة وهو
مطرق الراس مقطب الوجه ثم وقف بغتة وقال اما كفى انني ضحيت
ابنتي وحرمتي ومننت باعز الاشياء عندي للانتقام من هذا «الجوي» حتى
اخاطر ايضاً بالمال وابذل المبالغ الجسمية لافوز بفرضي واصدق بيمني ؟
ولكن ما الذي يضربني ان ضحيت ثلاثة آلاف دينار لارضي بذلك اله
اسرائيل وافعل ما امرني به التلمود فاسفك دم عدوه وعدو الدين
الاسرائيلي واكون بهذه الوسطة اميناً من الخطر وصرامة القانون . وانشد

اجاب اله اسرائيل صوفي	وعزرائيل خولني منائي
وفزت بباربي يا فضل فوزاً	فسوف اعيد جسمك للتراء
واونعك الاله بلخ مكري	وخدعي وابلاك بشر داء
ساشري في سبيلك كل ضره	بالي وكل ما يحوي ثرائي
واشرب من دمائك بعد ضرب	بذيق حشاك كاسات البلاه
فمالك من حنان في فرادي	ولست عليك اشفق بالرجاء
لك الويل الويل فآين تمضي	واين نفر من حكم القضاء
فما من مهرب لك من بلائي	ولو علقت قمك بالساء

فنعلم الصدفة وحذا التوفيق فلا شك بان هذا قد ساقه الي

عزرائيل ليعلماني في مأمن من وخامة العاقبة والمصير فيها ان عدوي الاكبر
قد اتى صاغراً يرجوني قضاء حاجته فامن الله جنسي وسبطي ان كنت
لا اقتص منه ومسح الله وجهي ان رحمته فما الرحمة شاني ولا الشفقة
من اخلاقي فتلك اوهام يعدونها هولاء الانذال فضيلة اما انا فالابقاء
بن يكره ديني وامتي اعظم فضيلة لدي

وبعد برهة وجيزة عاد علي الى منزل اسحق يصحبه الفضل بن يحيى
فهرش لهما اليهودي وبش في وجههما ولما استقر بهما الجلوس قال اسحق للفضل
- انني اجزل الشكر لاله اسرائيل حيث انه وفق لي خدمتك التي
طالما تمنيتها . فلو احتاج صاحبك جميع ثروتي لما بخلت بها عليه
اكراماً لحاطرك

- اشكرك على اهتمامك هذا وجل ما ارغبه سرعة دفع المال الى
صديقي لاضطراره اليه وانت تعلم بانني لولا ذلك لما اتيت اليك لاني
لا احب الربا

- وهل اخالف بهذا القمل خطة اسرائيل ابني امتي يعقوب ابن اسحق
- ويلاك وهل كان يعقوب يسلف الاموال بالربى
- لا ولكن كان يسعى وراء الفائدة . افلا نذكر يا هذا انه عند ما
اتفق مع خاله لابان على قسمة الحراف واخذ المخطوط منها احتال على تكثير
المخططة فربح بطريقته هذه ولا لوم ولا حرج . وقل لي بمحك ما فائدة
المال اذا لم يجر المال . فالحرص في الانسان فضيلة . وقد قيل ليس الاسراف
من الانصاف

- انك لتخذ هذا دليلاً على تحبيل المحرم وليس ذلك بدليل ولكن

الشیطان الخناس لا یسر علیه ایجاد آیه مشکلة فی الکتب المذلة
لیفسرها بحسب عقله السخیف وامیاله الفاسدة ولكن ما لنا ولماذا الآن
فانہ لنا مسألة القرض

فکاد اليهودي یتیز من الغیظ ویغی علیه من شدة الخنق ولكن تمالك نفسه وقال
- قد طالما عبرتني یا فضل بین القوم بجماعی واعمالی فاحتملت ذلك
بالصبر والصبر فی امتی فضيلة . وبصقت فی وجهی مرة واوسعتني شتماً
واهانة لاني علی غیر دینک فسکت والسکوت فی وقته فینا خصوصية
معمودة وقد جئت الی هذه المرة تطلب عوفي واسعافي وما زلت تهینني
وتحقرنی فهل تتظر ان افرج کربک الآن جزاء علی حسن صنيعک
معي واحسانک انتوالی علی

- اني لم ایتک منذلاً ولم اطلب منك لداعي حب او صداقة
فاسلفني المال وانت عالم بانی عدوک حتی اذا تاخر صديقي عن وفاء
دینک فی حینه ولم ادفعه انا لك فیکون لك الحق باجراء العدالة والقانون
ولما رای اسحق ان الحدة استولت علی الفضل رجع الی نفسه باللوم وعمد
الی مکره المعتاد فقال

- لا تاخذک الحدة ایها الفاضل کاسمه ولا تظن بانی قصدت بکلامي
هذا مس احساسک لا تذکارك بل اعلم انی راغب بمصافاتک میال
لموالاتک . وانني عربوناً لصداقتی ورهاناً لمودتی ساقدم لك الثلاثة الاف دينار
بلا فائدة ولا ربي ولا اکلفک انت وصديقک الا بوفائها بعد ثلاثة اشهر
بحسب الاتفاق

- اشکرك علی حسن صنيعک ولكن لا اريد ان اکلفک بما لم تعتاده

فافرض علينا ما شئت من الفائدة

- لا واله اسرائيل لا آخذ عليها ربما ولا فائدة ولا ابتغي الا مصافاتك ومودتك ولكن ان كان لا بدمن فرض الفائدة فرضت عليك شيئا آخر
- اطلب ما تريد وثق باني شاكر لفضلك

- انني وعمر الحقيقة لا ابتغي عن صداقتك بديلا فهي عندي خير فائدة واعظم ربح ولكن ما دمت مصمما على فرض الفائدة فلنشتري على سبيل المزاح شرطاً يفحك الثكلان وهو ان لم تنف المال بعد ثلاثة اشهر وفي مثل هذه الساعة اخذ من جسمك رطلا من اللحم من اي محل شئت . فاقبل بهذا الشرط الفاسد ودع الامر ينتهي بالمزاح

- اني قبلت والمروءة بشرطك فهي الشروط لاختمها واني اصفك من هذه الساعة بالرفقة والمعروف . فقال علي بن صالح لصاحبه

- قسماً بالله لا ادعك تقبل بمثل هذا الشرط الفظيع واعلم بان الفاقة عندي احسن من ايقاعك في مثل الورطة

- كن مطمئن الخاطر فاننا واثق بانه سيأتي اضعاف هذا المبلغ قبل فوات المدة الممهودة بكثير

فقال اليهودي - يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب نجني من شر اردياء السريرة الذين يظنون بي سوء وفساد الطوية فاخبرني بمحك ايها الفاضل علي بما تقض وبما تخشى وما الذي يخامر ظنك من مزاحي هذا وهب ان الصحيح ما اقول واخذت رطل اللحم من جسم هذا الشهم الفاضل اذا تاخرتما عن الدفع فما الذي ينفعني وبما استمض عن خسارة مالي ابالرطل اللحم الذي لا يساوي لحم الماعز والغنم ؟ او هل

سمعتما بان صديقكما اسحق ياكل لحم البشر حتى ظننتم مزاجي هذا قساوة
 وظلماً ؟ فان كان ذلك ما تظنون فارجوكم ان لا تسالوني بعد هذا مالا
 ولا تقبلوا مني معروفاً وردوا الطرف عما اظهرته لكم من الود والولاء
 فسأمت نفس الفضل بن يحيى من كثرة الانتظار ولم يخالج ظنه قط لسلامة
 نيته بان اليهودي قد كذب ومان ولا يقصد بشرطه الا الانتقام منه
 وانتزاف دمه فقال - قلت لك يا اسحق انى قابل بالشرط فاقض ما انت قاض
 لان الوقت قد فات فتناول اليهودي قرطاساً وقلماً وجعل يرسم الشروط وكان
 عليّ يقول لصاحبه انه خائف من ان يكون ذلك مكيدة نصبها اليهودي
 لهما لينتقم من سابق عداوته مع الفضل . وانه مستغرب من الشرط وتحدته
 نفسه بوقوع الشر والفضل يضحك من تشاومه وينسب ظنه للاوهام التي
 لا طائل تحتها ويؤكد له انه واثق بالحصول على اضعاف هذا المبلغ قبل
 مضي المدة . حتى انتهى اليهودي من تحرير الشروط فوقعوا عليها جميعاً
 ثم اخذ علي المال وذهب مع صاحبه وترك اليهودي مع مثيله الخناس
 يضرب اخماساً لاسداس

الفصل الرابع

مكرّ واغتيال

علم القراء بان للفضل بن يحيى وكيل اسمه يوسف . وكان هذا الشاب
 حميد الخصال حسن السيرة دمث الاخلاق لطيف المعشر وكان مع

ذلك ذا مروءة وشهامة شريف النفس اميناً صادقاً تآبى نفسه الخداع
والخيانة حتى صار له في قلب سيده منزلة عظيمة فسلمه جميع امواله
وحكمه في ثروته واعماله وكان يتدبئه لذكاه في المهمات ويستشير له لعله في
المهمات وهو مع ذلك لا يزداد الا صدقاً وامانة وثباتاً على العهد .
فحصل انه رأى يوماً رفقا ابنة اسحق اليهودي فخلبت لبه وسلبت عقله
فسمره لطفها وجمالها واسره ظرفها ودلالها وقد طال به الحب وازداد به
الهموى حتى اضعفه واحرمه لذيق الرقاد وعوضه عنه الارق والسهاد . فجعل
يتقرب الى الغادة بالزلفى ويسعى لديها بالتذلل فاصغت اليه بايديء بدء
وتنعت شكواه ولم تقطع له الرجاء . ولكنها صدته اخيراً وجفته اذ علمت
بانه قليل المال ضيق الذرع فزاده صدها ولها وبُعداها عشقاً وتلفها
نكلها اراد التقرب اليها رأى منها نفوراً او كذب اليها بشكوى لواجم
غرامه التي اعراضاً وتعاضياً حتى زارته الاحزان وهجبت عليه الاشجان
فضاقت في وجهه المذاهب وسلم لقضاء الله . ورأى منه مولاه هزلاً ونحولاً
وحزنًا وكآبة فساء ذلك لانه كان يحبه لامانته وصدق خدمته واستطلع
السبب فانكره عليه وقصد تسليته وتعزيتة فلم يجده ذلك نفعاً . حتى
تاكد ان بقلبه جرحاً صعب البريء وداء بعيد الشفاء فلم يرَ اوفق من
ارساله الى الخارج بمهمة يقضيها . فيلبيه العمل عن الاشتغال بهمه وتسليه
لذة التنقل عن تذكاره مصابه فتنعش روحه بهواء البحار وينشرح صدره
باختلاف المناظر فاستدعاه ذات يوم اليه وقال له

- لا يخفالك يا يوسف ان البضايح قد فرغت لدينا وتكاثرت طلباتها
لينا وقد اصبح عندنا كثير من المال وليس من الانصاف ان نبقيه مليء

الخزائن بغير فائدة ولا ربح ثم ان مراكبنا راسية في مياذ صوصه تكلفنا
التكاليف الباهظة ولا يعود علينا منها اقل فائدة فمن راى ان نسلها
لوسق البضائع وتحميل السلم غير اني احب ان استحضر في هذه الكرة
تحققاً لا تعرف في بلدتنا من التي اتجتها معامل اوروبا العجيبة واختراعاتها
الجديدة وهذه مهمة لا ارى لها غيرك ولا اعتمد فيها الا عليك نظراً لما
اعهده بك من المهمة العليا والذكاء والذوق السليم فما ترى فيما اقول .
فاجابه . لقد رايت الراي الصواب واشرت بالذي لا يعاب فمرني بالذي
تريد فتواني اقرب الى طاعتك من حبل الوريد

- اني اشرك على استصوابك راى وانقيادك لامري فاجل اذا
كلما في الخزينة من المال واذهب بالسنن الى اسبانيا وامكث بها زمناً
تخير فيه من البضائع احسنها ومن التحف اجملها بما لا نظير له في
هذه البلاد لتكون الكرة غائمة والتجرة رابحة وعليك بان تمكث فيها زمناً
ولا تسرع بالسفر منها ليمكنك نظر كل شيء والاطلاع على كل جديد
لكن حضورك واجب بعد ثلاثة شهور لمطالب لا تجهلها اما الان فقم لاعداد
المهمات ونهياً للسفر

فخرج يوسف من حضرة سيده ممثلاً لارادته فاعد المعدات وال لوازم
وسافر بالراكب في اليوم الرابع متأسفاً على مفارقتها البلاد التي فيها قلبه ولبه
وحياته وجنته متهدداً الحشرات منشداً هذه الايات

يا طلعة الشمس بل يا غيبة الوادي	تختال ما بين اغوار وانجاد
انت بقلبي لا سيف الواد رانعة	مرعاك ثبت حشاشات واكباد
واعين الماء من دمع العيون جرت	وعيجتي كالغضا في حر ايقاد

رفقا بصبك يا رفقاً ومنى على قلب المعنى بقرب دون ابعاد
هجرني ومرامي البين واصلتي اجوب كالعيس اذركب النوى حادى
فيا مطوقة صاحت يانها من فوق انهار روضات واعواد
هلا اعرت غريب الدار اجتمه بها يطير الى ذوالك النادي
نادي الحبية على الدهر يجمعه بها على رغم اعداء وحساد
فيا نسيماً سرى من حبيها سحرًا عدواثرها من سلامي حمل اطواد
وقل لما صبك المجهور ومن ضنا اصاره ميتاً من دون الحاد
رثى لفاقد من سقم براه هوى حتى اخفى طيفه عن عين عواد
راحت به الروح فارثي واردي كرمًا بزورة الطيف ارواحاً لا جساد

ثم صعد الى اعلى المركب وجعل ينظر الى تلك البلاد التي فارقها والاطلال
التي نأى عنها يتنسم هواها ويستنشق عبير نسيمها حتى توارت عن
عينه واستترت بالافق عنه فانقرض في السفينة بعيداً عن الربان والنوتين
وضج بالبكاء والمويل وزاد في الحسرات والزفرات حتى نصبت دمعته
وخفت صوته فوق على فراشه بدون حراك وقد خمدت انفاسه واغمي
عليه . ولم يع على نفسه الا بعيد الاصيل فصعد الى اعلى المركب يطلب
بنظر البحر تسليه ونسيمه اتماشاً فوجد فيها بعض الراحة لقلبه وبعض
التسليه على همه . هذا والريح معتدل والسفن سائرة تحملها الرياح وتدفعها الامواج
في الليل والنهار حتى وصلت بهم قالانس في مساء اليوم الرابع فرموا في
مياها المراسي وانزلوا الشراع ونام صاحبنا يوسف فيها ليرتاح من عناء السفر
وضعف السهاد . ولما نشرت الغزاة شعاعها نزل يوسف المدينة وبعد ان تفرج
على مناظرها العجيبة وبدائعها المدهشة وتنقل في طرقها وشوارعها خرج لتسليه
النفس في ضواحيها وترويحها في رياضها ومنزهاتها حتى مالت الشمس الى

الغروب فرجع الى المدينة وافضى به الترحال الى فندق مشيد هناك فدخل
 واختار غرفة للسكن وبعد ان تناول فيه العشاء مع مجمع من الناس
 دخلوا جميعاً لقاعة الجلوس فقطعوا وقتاً بالمسامرة والحديث ثم ارفض المجلس
 فعمد يوسف الى غرفته وهناك تحركت عليه الجروح وكثرت عليه الشجيرات
 فتذكر بعده عن الحبوب وما قاساه من اليم الجفا وتجرعه من مرارة الفراق
 فتهد الحشرات وسال دمه على الوجنت فزال بكاءه عن قلبه
 بعض الحزن وهجم عليه سلطان الرقاد فتغاب عليه وازم الى الصباح .
 ولما بدد الفجر جبوش الظلام نهض يوسف من مرقده منكسر القلب
 كليم القواد ولكنه تصبر وتجلد وخرج الى الشاطيء واستحضر منه الاموال
 والمهمات التي تلزمه مدة اقامته في تلك البلاد واخذ بعدها يدور المعامل
 ويوت التجارة ويتفرج على المصنوعات والتحف . وفي المساء عاد الى النزل
 وظل على هذه الحالة عشرون يوماً بلياليها فتاقت نفسه للتوغل في تلك
 البلاد الجميلة فركب اجنحة البخار قاصداً مدينة مادريد عاصمتها
 فنزل في احسن فنادقها وبعد ان تفرج على المدينة وعرف شوارعها وطرقها
 ومداخلها ومخارجها جعل يزور المعامل ويختار البضائع كما فعل في مدينة
 فالانس مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع خرج من الزل على حسب
 عادته وعاد اليه عند منتصف النهار لناول الفداء فينما هو على المائدة حانت
 منه التفاتة الى الجانب الاخر فرأى فتاة والى جانبها رجل متوسط السن
 تسامره وتمازحه وهما يضحكان بصوت عال صوب نحوهما الانظار . فلحال
 ارتعشت يدا صاحبا ووقعت آلة الاكل من يده واصفر لونه وشخصت عيناه
 بالفتاة وجلسها ولم يزل كذلك مضطرب الجأش منزع الحواس وهو مع ذلك

لا يدي حراكاً ولا يثبت بينت شفة كانه اصاب اعضاءه الشلل ولسانه
الحرس مدة دقائق خمس . اخيراً رجع الى نفسه فتحركت يده ونظر ذات
اليمين وذات الشمال ثم حقق النظر في الفتاة فصاح صيحة استوقفت الابصار
واستلفتت الاسماع ووقع الى الارض مغشياً عليه . فاضطرب الجمع لوقوعه
وحمله اصحاب الفندق الى غرفته وتبعهم بعض الجلاس فاعتنوا جميعاً بامره
الى ان افاق على نفسه فالتفت يمنة ويسرة ونظر بين الحاضرين كانه يفتش
على شخص ينتظره او انسان يترقبه ثم نظر الى نفسه نظر الحجل الحصر وطلب
من حوله العفوى على ما كلفهم من العناء وشكرهم على اعتنائهم بامره ثم طلب منهم
المزلة والانفراد فاخولوا له الجوى وكل منهم مشغل بامره متحدث بصره . ولما خلا
به المكان جعل يمشي في ارض الغرفة ذهاباً واياباً منكس الراس مضطرب
الحواس وهو يقول . هل انا في منام او في اصفاء احلام وهل التي رايتها
نعاذل الرجل وتسامره هي رفقا ام ارتتي عيني غير الحقيقة وتلك فتاة شبيهة لما . . .
لا لا انني لا شك في ضلال مبين وما الذي ياتي برفقا الى هذه البلاد وقد
فارقتها في صوصه وتركته روجي عندها وكيف يسمح لما ابوها بالسفر وركوب
الاخطار وهي وحيدته وسلوته لا عيشة له الا بها ولا عمل الا برايتها . . . نعم
نعم هي هي بنفسها فلم تر عيني الاها ولا وقع نظري على سواها . وكيف
اجد لها شبيهاً وهي فريدة عصرها . وكيف اشتبه في معرفتها وصورتها
مرسومة في فؤادي منقوشة على صفحات قلبي . . . فلا بد ان اتحقق
الامر واطلع على حقيقة الخبر ولا يمكني البقاء في هذه الحالة القاسية وانا
معلق بين الارض والسماء متقلب على حجر الفضا . فيا سعادتي ان لم يجب
ظني ويا فرحتي ان تحقق امني . ثم ازال عنه وغطاء الغشاء وتقلب على

اضطرابه فتمالك نفسه ونزل الى متدى القوم ولكن لم تطاوعه نفسه على الدخول
اليه فارسل فيه رائد طرفه من الخارج وحقق النظر في الجلوس فلم يجد غادته
بينهم فتخبر في امره وجعل يفكر في كيف يمكنه استقصاء الخبر فخطر في
باله ان يسال صاحب المنزل عن تلك الفتاة الحسنة ولكنه خاف ان
يطلم القوم على سره ويعلموا انها سبب اضطرابه فاجم لهذا القصد عن
السؤال ورأى الاوفق ان يطلم على سجل هناك يكتب فيه اسماء الواردين
للنزل في كل يوم ففعل . ولم يتقدم نحو السجل الا وارتد الى الوراء
مذعوراً مجتملاً وقد تفرغت عيناه بدموع الفرح والسرور على وجهه قد
طفح ولكنه تمالك نفسه للحال خوفاً من تحويل الانظار اليه وعمد الى
غرفته فاختلى فيها . وهناك اطلق لدموعه العنان فسالت مدراراً واعطى لقلبه
السرور فجعل يرقص كمن اصابه جنون وهو يشد ويقول

يا قلب قد وافى حبيبك فاطرب	وبلغت من لقاء غاية مارب
فابكي عيوني فرحة قدومه	واياه من بعد طول تغيب
وتنمي منه برؤية طلعة	ان قابلت شمس الظهيرة تغرب
وتهللي روعي باحمد عوده	بعد النوى والى لقاء تقربي
روحي ايا روعي ذلى حاجة	بك حيث روعي من احب ومطلبي
ان غبت عن جسدي فان حبيتي	رفقا حياتي وهي روعي ومذهبي

ولكنه لم يلبث ان تغيرت احواله وبذل فرحه بالكآبة وسروره بالحزن
فرمى نفسه على كرسي هناك وهو منكس الراس مضطرب الحواس وبعد
ان افترق قليلا تصاعدت منه الزفرات وسالت العبرات وانشد

كم ذا تعال منك النفس بالامل	والقلب للوصل بالمحبوب لم يصل
فنت لو من في شهد بمرشفه	فدقت صاب الجفان من ذلك العسل

فهل بمن حبيبي بعد هجرته بوصله وهو ذو صد وذو جفيل
 قضى على الهوى اني ايت على رغمي واصبح رهن المم والوجل
 اقضي نهاري بتذكار وتحرقه ويمطر الاليل دمعى ساهد المقل
 حقق الهى آمالى بعطف رشاً كالقطن بيلاولى بالمطف لم يال

ثم انتصب على قدميه وقد كفكف دموعه وملك نفسه وجعل يقول .
 ما الذي اتى برفقا الى هذا المكان وكيف نزلت في هذا النزل مع كثرة
 النزل وانتشارها في انحاء المدينة . أهل لاجلي قد رحلت عن بلادها ونأت
 عن ابيها ولاجلي اقتعدت غارب الاغتراب وعرضت نفسها للمخاطر
 والالوصاب حتى اذا وصلت الى فالانس علمت منها انني بارحتها اقصد
 العاصمة فتبعني واهتدت هنا لمحل نزولي . اه . اه انني لاشك مجنون
 قد ذهبت بعقلي الاحزان والشجون . فكيف ترحل عن بلادها ولاجلي
 وقد جفتني اذ كنت بجانبها وصدتني ونفرت مني اذ كنت اقرب اليها
 فهي لا تحبني ولا تميل الي . والسما اقرب من قلبها الي . فها تلك الا
 اضغاث احلام وتخيلات واوهام يزيناها لي الامل ويظهرها لي الغرام
 فقد انت هذه البلاد لمهمة اناطها بها ابوها وقد نزلت في هذا الفندق
 كما نزلت فيه انا ولا وجه هنا للاستغراب ولا سبيل للتعجب . . .
 فعلي ان ابعد عن بالي هذه الاوهام ولا اشتغل بالاحلام . . . ولكن كيف
 اسلموها وهي بجانبني وكيف ابعد صورتها عني وهي منقوشة على صفحات
 قلبي وكيف اعرض عن رواياها وطيفها لا يغرب عن عيني وهل يجوز
 لي بان اتسلى عن هواها وقد كرمست لها نفسي واهتم بابعاد غرامها عني
 وقد اوقفت له قلبي . . . فتحكي بقايا ياربة الجبال فهو ملكك وعدنى

فؤادي يا فاتنة اللحظ فهو اسيرك وافعل ما شئت فانا عبدك . فلاضحين
النفس في مناك واموتن بهواك .

عذبي الصب بالفسا والتجني	يا حباتي وبالترب ضني نتي
واغلبى اللب بالدلال ونبيهي	واسابي معبتي وروحي مني
واهجري واجرحي الفؤاد بصدري	وابتماد واعرضي الدهر عني
واحرقني بلوعة وغرام	واغرقني بادمع شبه وزن
مهما شئت فافعلي بي فاني	مك راض يا ذات دل وحن
رفقا مالي عن وجه حبيك ميل	وانصرف ولو منيت بدفن

ولا بد لي من بذل الجهد من التقرب اليها ففعل قلبها يلين بعد الشدة
ويرحم بعد القسوة فارى منها التفاتاً بعد الاعراض وصلة بعد الصد
والهجر فيكون الله قد ساقها الي هنا لاجل خلاصي ومن بها علي لراحتي
وسعادي . ولكن يجب علي الثاني والصبر فالعجلة تورث الندامة والاسف .
فهم القراء بلا شك بان التي راها صاحبنا يوسف وميت له الاضطراب
وانزعاج الحواس كانت ابنة اسحق اليهودي . نعم انها هي بنفسها فانها
بعد ان خرجت من حضرة ابيها ذهبت فبيأت نفسها للرحيل وسافرت
في ثاني الايام قاصدة فالانس . ولما وصلت اليها علمت من السفن
الراسية في مياهها ان يوسف سافر معها منذ يومين الى مادريد فاقتفت
اثره دون ان تضيع وقتاً وهناك اتصلت بواسطة احد خدمة السكة
الحديدية الى معرفة النزل الذي اختاره فاتخذت فيه غرفة الى الجانب
الايمن من غرفته ومكثت لتقرب مجيئه حتى اتى للغذاء وجلس الى الجانب
الايمن من المائدة ففرحت بقدومه ووثقت من نفسها الاستيلاء عليه
فجلست تجاهه الى الجانب الآخر ليراها اذا ما حانت منه التفاتة ولما راته مطرق

الرأس لا يلتفت الى احد من شدة الافتكار علمت بانها هي سبب همه
 وموضوع فكرته فازدهت بنفسها واعجبت واستولى عليها الفرح وظهرت
 بين عينيها هزة الانتقام وعلائم النصر فقالت في نفسها لم يزل حبي
 شاغلا منه الفؤاد وغرامي محرقا منه القلب وانعم بذلك من سلاح يخواني
 عليه النصر ويسهل عليّ الكرة فقد ازف وقت الحرب والصدام. فلا قيمتها
 يا يوسف عليك عواناً واذيقك من مكري واحتيال الوائى . ثم انها جعلت
 تشاغل رجلا بجانبها فسحرتة بسحر يانها وامرت له بفنجه ودلالها ثم
 صادته بسهام لحظيها واحرقت قلبه بنار خديها فتركته قتيلا بين يديها ثم
 ابتسمت له فاحيت فؤاده وبشت في وجهه فانشرح صدره ومازحته
 فعلا ضحكه . وهي لا تقصد من ذلك الا تنبيه يوسف اليها واصلاء قلبه بنار
 الغيرة عليها حتى حصل ما كانت تترقبه ورأت شدة تأثير الكرة الاولى
 عليه فطار قلبها من الفرح وتأكد لديها النصر والظفر . ولما حمل يوسف
 الى غرفته صعدت هي ايضا الى غرفتها التي بجانبها لتتربح حركاته
 وما يصدر عنه . ولما افاق على نفسه بعد الاغواء سمعته يتأوه ويتحسر ويبيكي
 ويتذمر فسرت هي وتهللت . واذ انشد الايات وشكى القرام والمهوى
 ضحكته منه وهزأت وهنأت نفسها بالظفر واعجبت بنفسها مزدهية كلنها
 تقول له لم تر بعد الا طليعة جيوش مكري وبعض مكائدي وغدري
 فلا ذيقك ضروب العذاب واطعم لحملك للكلاب . اما صاحبنا فانه
 بقى يتربح الفرصة لبث لوايح غرامه ويتنظر سنوح الزمن الذي به يتقرب
 اليها ويكسب رضاها وهو مثل بغمرة الحب آمن من صروف الزمن
 فكان يراها كل يوم على المائدة فيشغله رويأها عن الاكل وهي مشغلة

عنه بياسطة الرجل الاسباني ومسامرته فيأتهب قلبه غيره ويضطرم
 فؤاده حسداً ونقماً ويتربخ زوجها من مائدة الطعام فيراها قد اخذت
 بذراع الشاب المذكور وخرجا من النزل فيتبعهما مستراً ولكن لا يخفى
 على اللبنة امره فتزید في دلالها وتضاعف من تراهيها وتلويها ورفيقها
 يزدد فيها ولماً وبهواها جنوناً فيطفح على وجهه الغرام ويحسب نفسه في
 منام فيموت صاحبنا كمداً ويطفح صدره حقداً وغضباً فيتمنى الوصول
 اليهما ليفتك بذلك المعتدي على حقوقه ويحل محله في ذاك النعيم الارضي .
 ولكن اذ يرى نفسه عاجزاً قتيلاً للحظ واسير الهوى وليس من يطلق سراحه
 فيبلغ منه يكتفي من الحبيب برويا ليل شعره المسدل وثقل ردفه
 المتماوج ويقتصر من التمتع به على ثقيل اثار رجله اللطيفتين . هذا
 وهو ذاهل العقل ذاهب الاحساس يمشي في الطريق كاللهوف لا يعي
 على ما امامه ولا يجيد الا عما يحجب عنه خيال من جذب عقله
 وسلب له حتى اذا رجعا الى الفندق راي نفسه بجانبها وهو لا يعلم
 ما يفعل ولا يعرف ما يرى . وكان اذا ازف وقت المنام وحجبت جدران
 الغرفة سنا الحبيب عن عينه يجلس على عتبة الباب ويمحي سواد
 ليله بالبكاء والنحيب والتنهد والشهيق . وهي تسمعه وتطرب وتأمل بحاله
 وتعجب ولا تزيد في الغد الا اعراضاً وجفاءً ولا توليه الا تجنياً وتقاضياً .
 ولم يمض عليه في تلك الحال بضعة ايام حتى هزل جسمه واصفر لونه
 وغارت عيناه وخارت قواه حتى عده من رآه من الاموات فلزم الفراش
 مضطراً وحرم رؤية حبيبته مقهوراً فاخذ جسمه بالانحلال وادركت
 روحه التراق والاطباء لا يعلمون له داء ولا يجدون له دواً حتى

يشبوا من شفاه ومكثوا يترقبون حلول اجله وتلاشي جسمه . اما رفقا
اللعينة فانها كانت تنسم كل يوم اخباره حتى علمت اخيراً مصيره الى
حالة الخطر وقطع الرجاء فندمت على تفریطها بالرجل الى هذا الحد
لانها لم تقصد باعراضها عنه وتظاهرها بالنفور منه الا تملكه بالاكثر
وتقييده بهواها فلا يعود له من يدها مناص اذا ما اظهرت له الميل
وظهرت امامه بالحبة . اما الان وقد افضى امره الى الخطر وسيقضى
عليه ويفدو كانه لم يكن فسيذهب تبعها ادراج الرياح وترجع بالخيسة
والخذلان لانها ما جاءت الا لتدبر بأفلاس الفضل بن يحيى اذا ما اغرت
وكياه على خيائنه او سلب المال الذي يحمله هذا بالاحتيال فترجى المال
ويغوز ابوها بالمرام . اما اذا قضى يوسف نجه فانه سيمجز على ما معه من المال
ويرد الى صاحبه الفضل بحسب وصية الوكيل فتكون بهذا قد ضيعت
المال الذي كانت كسبته لو احسنت التدبير وبلت هي مع ابياها بالخسارة
وسوء المصير . وقد افكرت بجميع هذا وسبب لها القلق وانشغال البال
وعليه رات بان تصلح ما افسدته وترجع ما ضيعته وما ذاك الا ارجاع
يوسف الى قيد الحياة وهذا سهل لسيها لان بها كان مماته وبها ستكون
حياته فشمرت للحال عن ساعد الجد وترقت خروج الاطباء من عنده
ولم يبقَ بجانبه احد فدخلت الى غرفته واقتربت من سريره
ولكنها لم تكد تنظر الى وجه المنكود الحظ الا وارتدت الى الخلف
مذعورة ترتعد فرقا من عاقبة ما جنته يداها . واكاذ اقول بانها تأثرت
لحاله لو لم اعرف ان اليهود لا يعرفون للتأثير اسماً ولا للشعائر الانسانية
معنى وانما توجد فيهم تلك الشعائر التي نقشها في قلوبهم التلمود وتوارثوها

خلفاً عن سلف . الا وهي الحقد على كل عباد الله والانتقام من خرج
عن دين التلمود او الفتك بمن يكسبهم قتله المال . فالى هذه الحالة اتصل
المسكين ابي الى حالة يرثي لها اليهودي . تخافت رفقا لهذا من الوقوع فيما
كانت تحشاه ولكنها تجلدت واظهرت الثبات واقتربت من سرير
الليل وقالت بصوتها الرخيم كأنها تكلم احدا - كيف حالة المريض وما
يقول الاطباء في شأنه وهل حاله سائرة بالتحسن او بالعكس . فتحرك المريض
عند سماع هذا الصوت وتنفس الصعداء . ثم فتح عيناه واجال نظره في
الغرفة حتى وقع على رفقا فاطاله فيها مدة وبعد ذلك ابتسم ثغره وغمضت
عيناه ورجع الى الغيبوبة . فلما رأت انتعاش المريض لصوتها فرحت وعادت
الكرة فقالت بصوت يخالجه الدلال ويدخله التزاهي - لا شك انهم
يتمكنون بوجوده في حالة الخطر فهذا ظاهر عليه ولولا وجود نفسه الضعيف
الحكم من رآه بأنه اصبح من سكان القبور . فهذه المرة كانت الكرة اعظم
والصدمة اقوى دفعت المريض عن فراشه فانتصب عليه جالسا ثم نظر ذات
اليمن وذات الشمال واوقف نظره على رفقا فانغمض عينيه ونكس راسه وجعل
يشير بيديه كأنه يرغب ابعاد خيال تجلي له او ازالة تذكاراتاً عليه وهو يقول
- اذهب عني ايها الخيال الكاذب فما كنت لتخدعني بالاوهام بعد هذا .

ومن اين لي ان يزورني الجيب واره بقربي وقد حكم عليّ ببعده وحتم
عليّ جفاه وصدده . ثم ضحك كمن يهزأ بنفسه وانطرح بعدها على الفراش
ورجع الى الغيبوبة . فلو كان في الحجر احساس لتصدع او في الجدران
لشقق حزناً لهذا المنظر المؤثر واسفاً على ذبول زهرة هذا الشباب النض
التي وطأتها ارجل العدوان وكادت تضي في سبيل الضغائن والاحقاد

فاني وقع كان لهذا المشهد في قلب هذه اللعينة نتيجة نطفة ايها الخناس
ومثال تريته . انها تهلت فرحاً واهتزت طرباً لهذا المشهد المصدع ولم
تفكر منه الا انها هي كانت اصله وسببه وهذا يخولها النصر ويضـ
الظفر . يا ويلكم ايها اليهود من شر ما تعملون . ثم اسعدت للص
وانتضت سلاح المكر فانطرحت على ركبتيها امام سرير العليل وهي تقول
- يوسف حبيبي انا هي رفقا بنفسي فلم تر الى الحقيقة فارحمي واشفي
عليّ وقل لي بانك عفوت عني وغفرت خطيبي وعدني بانك تعيش
لي وفيّ وتمتعي بحياتك وقربك والا فاني اموت لاجلك لا بحالة فلا
حياة لي بعدك ولا راحة الا بقربك . فانتصب يوسف جالساً عند اول
كلمة وهو يرتعد ويضطرب فنظر اليها نظرة ذاهل العقل ذاهب الالب
وهو لا يصدق ما يرى ولا يثق بما يسمع ولما انتهت اللعينة من كلامها ادار
وجهه نحوها واذرفت عيناه الدموع وقال - الى متى تعذبني يا طيف الحبيب
وحتي مَ تجرح قلبي بتجليك اما كفالك تعديك وانا صريح حتى تروم
عذابي وانا عليل مريض اذهب عني يا خيالها المحبوب وخلي اموت
بمحبة ضحية جفاها وصدها . فسكت رفقا يديه وشدت عليها حتى المنهما وقالت .
- يوسف حبيبي ومهجة قلبي ارجع الى نفسك وانظر الى امامك
فانا رفقا بنفسي عزيزتك واسيرة غرامك ساجدة امامك انظر اليك بعيني
والمسك يدي واكلمك بلساني فارحمني بنظرة واحيني بكلمة ولا تكن
سيئاً لما تي . فانتصب يوسف قائماً على الاقدام كمن صدمته يد جبار
وابعد يده عن يدها كمن لسمته افعى ثم وقف عن رفقا بعيدا وبعد ان
اطال فيها النظر انطرح على قدميها باكية قائلاً

- رفقا حيثي مهجة قلبي منيتي جنتي حياتي انت رفقا بعينك
 وشخصك قد اتيت لزيارة عبدك وقتيل غرامك وهو على فراش الضنا
 والعذاب فبشرى لك ايتها النفس فقد عادت اليك الحياة وسعدالك ايها
 القلب فقد وهبت لك السعادة

قدم الحبيب وبالذنو تعظفا	وشفى بزورته الحشا وتلفنا
قرى عيوني في سنا لحظاته	فالسهد منك بلع مقلته انتنى
ولك المنا سمعي بطيب حديثه	فلقد حباك حلي اللآل وشنفا
قد كنت قبل قدومه يصدوده	شبحاً تناهيه السقام فادنفا
وبعوده عادت حياتي وانجلا	صداء بنفسي كنت منه على شفا
روحي فداوك باحبيبة فاعطني	املي وميلي للمحبة والوفا
يارفقا بي رفقاً بحفك وارجمي	عن هجر صبك لا تعودى الى الجفا
ما عاد لي روحي على ألم النوى	جلد وما قاسيته فلقد كنى

ولكن لما ايها الحبيب قتلتني بالهجران وامت قلبي بالصد والجفا
 وكيف استحللت دمي وسمحت بهلاكي افلم يكن الاجدر بك ان تعاملني
 بما ينطبق على جمالك اللطيف وخيالك الرقيق ... ولكن عفواً يا حياتي
 فلألوم بذنا عليك فاننا الذي سملك النفس واوقفت لك الفواد ورضيت بان
 موت بغرامك ان لم احى به ... اما الآن وقد مننت بالقرب بعد البعاد
 وبالوصل بعد الصد والجفا فعديني بان لا تضني بعد الجود ولا تهجري
 بعد القربى والا فانزكني اموت بمحبك واروح ضحية تجنيك فما لي على
 بعادك اضطبار وعلى هجرك طاقة اذ الموت عندها راحتي والقبر ملجأى
 فانطرحت المحتاله على اقدام يوسف ثقلها وهي تبكي وتحنس وتأسف تأسف
 التادم الحصر وهي تقول - عفواً سيدي عما سببته لك من العذاب بغير قصد

ومن الالم بغير المراد فان اكن اذنبت فبحر حلمك واسمع او ايتت امراً اداً في
بجبك اقوى مجير وشافع . واعلم بانى ما رحلت عن اوطانى الا لاجلك ولا ركبت
الاخطار الا ودليلى غرامك . فرغبة في لقاءك بارحت وطني ومسقط راسي وسعباً
وراء التمتع بقربك تركت ابي وكل اقاربي وما كنت اصدك هناك وابعد
عنك الا خوفاً من والذي وخشية من تحدث الناس بي مع اتي اسيرة
غرامك وقبيلة حبك ولم اكد اعلم انك بارحت هانك الاطلال آتياً
نحو اسبانيا الا وتاججت نيران الحب سيفي احشاي فاهبتها ولم يعد لي
طافة على المكوث بعدك ساعة واحدة بل لربما حظيت منك بالذي
ارغب في البلاد الغربية حيث لا اخشى مجبك عدلاً ولا في غرامك
لوماً وما قصدت بصدك هنا الا التمكن من محبتك وما منعي من الانطراح
على اقدامك الا حياة النساء وما وجه ربات المخدور وانا لا اعلم ان سيفضي
الامر الى ضررك وعذابك ومرضك وسقمك

غادرت في حبيلك رؤية والذي وديار خلاً في وعز الملتقى
وتركت اعزازي وكل سعادتي وعرضت نفسي للمذلة والشقا
وغدوت مثل حمامة في قفرة ناحت على عذبات بانات النقا
اذنبت في هجر اهلك مهجتي ونسيت فاعف وكن بربك مشفعا

اما الآن وقد تاكدت بقائك على محبتي وقد منيت من حبي بالنعول
والاعتلال فقد ايتت اطلب من حالمك عفواً ومن محبتك عذراً فاني
مستعدة لتضحية النفس في سبيلك والموت في غرامك نخذ قلبي هدية
بغير ثمن ونقبل حياتي ضحية ذكية . وها انا ذاهبة عنك الان لئلا يضربك
التاثير والانزعاج فقد اصبحت لا تقوى على المكوث طويلاً خارج الفراش

فارجع اليه واسترح وتعاف وعش لاجلي فاننا لا ابقي الحياة من الان الا
بك ولا جلك . قالت هذا ومشت نحو الباب لتمايل تمايل القصن الزاهي
ويوسف شاخص بها متامل في بديع جمالها مطرب بلذيد حديثها ولم يدعها
تخرج الا لانه غاب عن الحواس ولم يعد يعرف اهو في الارض الفانية
ام في جنة الفردوس الدائمة . ولما غابت عن عينه رجع الى نفسه وتذكر بما كان
فيه وبالسعادة التي نالها والتي سينالها فانشد

احمي غرامك فالغرام حياة	والعيش من دون الهيام مات
لا خير في عيش يمر بلا هوى	فالعشق قد جمعت به اللذات
بعد الحبيبة شبه نار جهنم	ودنوها لمحبه - جنات
هشتر يا نفسي بقرب حبيبة	بهرت بشمس دنوها الاوقات
فستلقين على الدوام سعادة	رفعت لها فوق العلا الدرجات

ثم اذرفت عيناه من دموع الفرح مدراراً ففتت عنه الاكدار
والغموم ثم انتبه ان به تعب وخوار قوى فعلم انه بحالة المرض فعمد الى
سريره ونام مطمئن البال مرتاح القواد . ولما انتبه رأى الطيب بجانبه
يتأمل فيه وينظر الى حاله وعليه علام السرور والاستبشار فكلمه الطيب
قائلاً - لقد نمت هنيئاً ومُتعت عافية وشفاء انني ارى فيك من
علامه الشفاء والصحة ما حيرني امره وبعد ان كان املي ضعيف بشفائك
اضمنه لك الان واهنتك به سلفاً . ولكني في غاية الانذهال والاستعجاب
من هذا التغير السريع واظن بان لذلك سراً وارجع ان هذا السر غم
قد زال وكربة قد فرجت . فتبسم يوسف اذ ذاك وفرح لكلام الطيب
وقال - انني اري بنفسي قوة ونشاطاً واشتهاء للطعام وكل ذلك
دليل الخير وبشير الصحة فالامل ان يكون كلامك صحيحاً ولكن لا سر

لذلك سوى اعتنائك ببني واهتمامك بمداواتي فاشكرك عليها كل الشكر
 وتراني مديوناً لك بالحياة . فلم يغير كلام يوسف فكر الطبيب ولكنه لم
 يحاول استطلاع الخبر احتراماً للاسرار ثم خرج بعد ان فحصه ووصف له العلاج
 واوصاه بالتحرز من البرد والتزام الحمية خوفاً ان تكون النكسة شراً من الداء .
 وبالْحَقِيقَةُ ان بالحلب اسرار اوجدها الخالق الحكيم يحير فيها كل
 متأمل ويقف عن ادراكها كل تصور فما هي تلك القوة السرية وتلك
 الروح الخفية التي احبنا صاحبنا بعد الممات وارجعنا اليه الصحة بعد ان
 فارقه انني اوجف خوفاً من سهر غور هذا السر المكنون واجمع احتراماً لهذه
 الروح اللطيفة الخفية فاقصر القلم عن الخوض فيما حارت فيه العقول .
 ولكن لا حرج عليّ ان بسطت ما سهل لديّ فهمه وهو ان صاحبنا
 يوسف لم يصب بعلّة ولا بمرض ولا بداء صعب البرء والشفاء بل ان
 علته كانت مجرد سقم ناتج عن انشغال الفكر واضطراب البال وما اصل
 كل هذا الاحبه لشخص وشدة شوقه للتمتع به والانتعاش بروياه فكان قرب
 الحبيب من فؤاده مقام القوت من الجسد وصلته مقام الروح من الجسم .
 ولما احرم فؤاد يوسف من القوت وجسمه من الروح عند صد الحبيب
 وهجره الهاء هذا عن الانشغال بامر جسمه واحرمه القوت والرقاد فضنى
 وسقم وسار بالخوار وقارب الاضمحلال . فكان من البسيط اذاً ان نرى
 هذا الميت قد عاش اذ رجعت اليه الروح وهذا الفؤاد قد اشتد عندما
 اتاه القوت . نعم ان يوسف قد عاش بعد الممات ولم يمض عليه الا ايام
 قلائل حتى رجعت اليه صحته وقام ينفض غبار العلة بسرعة توجب
 الحيرة والاندھال . وكثيراً ما كانت تزوره رفقاً ويزورها وتسامره ويسامرها

وهي لا تفتحها بما يخالف سرها لأنها كانت تنتظر رجوع القوة الى يوسف
ليمكنه بها مقاومة الصدام وصد الكرة حتى حصل على تمام الشفاء وتمكن
من الخروج منها للتزهر في احدى ضواحي المدينة المقفرة فاقبلت عليه
وقالت له - ها قد من الله عليك بالشفاء وردك الله الي بعد قطع
الرجاء والحمد له على ذلك فعذني الان بانك لا تبعد عني وعاهدني على
البقاء بجانبني فلم يعد لي صبر على فراقك ولا حياة بعد البعد عنك
- انتى افتخر بمحبك لي واسعد لعمري ان قلبك في يدي وكيف ابعد عنك
يا مالكة الفؤاد وبعدك كاد يحرمنى الحياة او كيف افارقك وقربك اعادها
الي فاعاهدك باننى لا اعيش من الان الا بك ولا جلك وافضل
الموت على البعد عنك لا سيما وانى اعلم ان ذلك يسوءك ويكدرك فلا
عاش من يكون السبب في تكدير صفاء راحتك . فانتى بعد ان اقضى
اشغال سيدي هنا واقوم بالهمة التي اناطها بي ارحل بك الى صوصه
واخطبك رسمياً من ايك وان كان دينك يغير ديني . اما اذا لم يقبل
هو بهذا فانى اترجك بدون رضاه وان اردت البقاء على معتقدك فانت
وشانك فلا تعلق للدين في حينا فانت ديني ومذهبي ومعبودي ومعتقدي .
قال هذا ونظر الى عينيها نظر من يروم الاطلاع على خفايا قلبها فراها
كثيفة البال غارقة في بحار التأمل ثم راها نظرت اليه بطرف حزين وجرت
دموعها السكينة على خديها وهي صامته شاخصة لا تتحرك فطار قلب
حييها لفعلمها وقام اليها فمسك يديها وجعل يقبلها ويقول اخبريني يا حياتى
ما الذي يحزنك وما الذي يبكيك فقد احرق قلبي فملك فقالت له
- انك ترى السراب وتحسبه ماء والمنام وتظنه يقظة . كيف

يمكنني يا هذا الرجوع الى اوطاني بعد ان شاع امري واشتهر فيه حبي
لك حتى علم اني رحلت منها لاجلك وفضلك عن والدي واهلي واقاربى
وكل ما هو عزيز لديّ او كيف يزوجني والدي لك وهو يكره كلما هو
خارج عن دين موسى وبعيد عن دين التلمود ولو كان في الامكان حصولي
على مناي وانا في بلدي لما كنت رحلت عنها واتبعتك . واذا رايتك تموي
الرجوع اليها بكيت على نفسي وندبت سوء حظي وعلمت بانني من امانيّ
في غرور . واعلم يا يوسف ان لا حياة لي بعدك وقد صممت لذلك النية
على الفتك بنفسى ما لم تعدني بانك لا تبارخني ولا ترحل عني ولا تخليني
هدفاً لسهام المصائب

- وكيف يمكن ياربّة القوَاد ان ابقى في هذه البلاد وانا مامور
منتدب لقضاء مهمة سيدي فقد كلفني هذا بمجاجة وسلمي ماله ومراكبه
وجميع ثروته فهل يمكنني الا الرجوع اليه بعد قضاء حاجته لارجع له
ما سلمني من الصالح والمال فما العمل يا فائنة اللحظ وكيف التدبير وباي
واسطة يمكنني ان ارضيك . فلم يكذبتم كلامه الا وضحكت حتى استلقت
على قفاها وقالت - انك في الحقيقة قليل الحيلة عديم التدبير فاي امر
ابسط واي واسطة احسن من فرارنا معاً الى بلاد غريبة حيث لا يعرف
لنا خبر ولا يوقف لنا على اثر وهناك نكون في امان من صروف الزمان
بعيدين عن استقصاء الحكومة وصرامة القانون . . .

فكانت الصدمة عظيمة والضربة قوية على راس صاحبنا المنكود اللحظ
فدفعته الى الوراء عدة خطوات فكانته كان في منام واستيقظ وفي غفلة
وانتبه وتجلّب له الحقيقة الساطعة وكادت تعمي عينيه فارتعد منها فرقاً

ونظر الى رفقا نظرة المستطعم المتعجب الخائف لعله يرى منها ما يستدل منه بانها قصدت بذلك مزاحاً فراها ثابتة صامنة ناظرة اليه نظرة الامر التحكم كأنها تامره بعينها الاتقياد لشارتها والخضوع لامرها وهي تنتظر منه الجواب بالايجاب فرد عنها طرفه واطرق برهة الى الارض لا يتكلم ثم رفع راسه مقطب الوجه دامع العين وقال لها - لا لا فلا اخون سيدي ولا انكث بعهد فانه ائتمنى على الله وسلمني ثروته وصوالحه واشغاله وانتدبني لقضاء مهمة في هذه البلاد فلا اضيع ثقته بي ولا اخيب ظنه في امانتي . لا ليس الحياة من شائي ولا نبذ الجميل من خضالي واني افضل الموت على ان ابادي من وثق بي بالحياة ومن غمرني جميله بالكفران فانتفضت رفقا من الغضب عند سماع هذا الكلام ووثبت قائمة على

الاقدام ونظرت مهددة موعدة وقالت

قد ظننت انك صادق في محبتك ثابت في غرامك فعلت نفسي بالامال واملت بالاسعادة في قربك واتبعتك . فلاجلك ركبت الاخطار وبارحت وطني العزيز ونذت الوالد والاقرباء والاهل والعشيرة ولاجلك جعلت نفسي مضغقة في افواه الناس وارتكبت العار والشنار واخيرا لاجلك تركت ديني ومذهبي وجلبت علي غضب ربي ووالدي كل هذا حباً بك ورغبة في القرب منك ولم اكلفك مقابل هذا الا المكوث بجانبى واجتناء ثمرة حبي كل هذا وانا اظنك صادقاً في محبتك مقيم على عهدك فعلمت بانك كمن سواك من الرجال لا تعرف للعب معنى الا الشكوى ولا للفرام داعياً سوى الاميال الجسمية . فاراد يوسف ان يقاطعها هنا معترضاً فقال رفقا سيدتي فمنعته قائلة - صه يوسف فلم يعد يخدعني كلامك ويغرنى ظاهرك ولو كنت

صَادِقًا لَأَثَرَتِ الْبَقَاءُ نِجَانِي وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَا تَسْمِيهِ خِيَانَةً وَنَكَتْ عَهْدًا وَمَا
هُوَ فَعَلْتُكَ بِجَانِبِ مَا فَعَلْتَهُ أَنَا . فَأَنَا الْخَائِنَةُ الْجَانِيَةُ الْمَجْرَمَةُ وَآيِ خِيَانَةٍ أَعْظَمَ
مِنْ فِرَارِ فَتَاةٍ مِنْ يَلِيتْ أَبْيَسًا وَرَاءَ مَعْشُوقٍ يَدْعِي الْعَشْقَ وَالْهَيْامَ وَتُسَلِّمُ
نَفْسَهَا لِمَنْ لَا يَعْرِفُ مَقْدَارَ فَعْلِهَا . كُلُّ هَذَا فَعَلْتَهُ لِاجْلِكَ وَمَا زِلْتُ نَرَى
الْمَكْرُوثَ بِجَانِبِ خِيَانَةِ ٠٠ ؟ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ هِيَ تَخْلِيكَ عَنْ أَمْرَأَةٍ
أَضْعِيفَةٍ تَرَكْتَ الْعَالَمَ أَجْمَعَ وَتَبِعْتِكَ وَتَرَكْتَ أَيَّاهَا مُنْكَسِرَةَ الْقَلْبِ كَلِمَةً
الْفَوَادِ وَحِيدَةً بِغَيْرِ عَوْنٍ وَلَا سَنْدٍ سَنَقَسِي مِنْ بَعْدِكَ الْيَمَّ الْعَذَابَ وَتَمُوتُ
مَنْفِيَةً عَنْ ذَوِيهَا قَتِيلَةً حَبَكَ وَضَمِيحَةً هَوَاكَ . قَالَتْ هَذَا ثُمَّ بَكَتْ وَاشْتَكَتْ
وَتَنَهَّدَتْ الْحَسِرَاتِ وَاسْأَلَتْ الْعِبْرَاتِ كُلَّ هَذَا وَصَاحِبُنَا شَاخِصٌ فِي جِهَالِهَا
مَسْمُورٌ بَيَانِهَا وَقَدْ كَسَرَ غَضَبُهَا سِلَاحَهُ وَابْطَلَ حَسَنَ الْقَاهَا شَوْكَتَهُ وَهُوَ
لَا يَشْكُ بَانَ كَلَامُهَا صَادِرٌ عَنْ عَظِيمِ حُبِّهَا وَثُورَةٍ غَرَامِهَا لَا سِيَّمَا إِذَا رَأَى
بَكَاهَا وَسَمِعَ عَوِيلَهَا فَانَّهُ اصْبَحَ ذَاهِلُ الْآلِ ذَاهِبُ الْعَقْلِ مُحْتَارًا فِيمَا يَقُولُ
مُتَرَدِّدًا فِيمَا يَفْعَلُ . وَلِمَارَاتِ الْحَتَالَةِ نَاقِثٌ فَعْلُهَا فِيهِ وَدَلَائِلُ اسْتِيلَاتِهَا عَلَى
عَقْلِهِ فَرَحَتْ وَارَادَتْ تَمَامَ الْاسْتِيلَاءِ وَغَايَةَ الْإِنْتِصَارِ فَدَتْ يَدَهَا إِلَى مَا
بَيْنَ ثَدْيَيْهَا وَأَخْرَجَتْ خَنْجَرًا مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ عِدَّةَ خُطَوَاتٍ
وَقَالَتْ بِصَوْتٍ تَخْفَعُ الْعَبْرَةُ وَبِمِيتَةِ الْحُزَنِ .

آه مَا اسْأَسُوا حَظِّي بِالْهُوَى	وَعَذَابِي مِنْ تَبَارِيحِ الْمَجْوَى
كَمْ نَقَاسِي مَهْجَتِي مِنْ حَرِّ	مِنْ هَوَى مَحْبُوبِ قَلْبِي وَالنَّوَى
هَلْ لِقَلْبِي فِي هَوَى مِنْ صَدَّقِي	مِنْ مَعِينٍ أَوْ مَعْبِرٍ فِي الْهُوَى
خَاقِ صَدْرِي قُلُوبُ صَبْرِي وَانْقَضَى	شُمُورِي وَانْصَرَمَتْ مِنْهُ الْقُوَى
وَأَرَى مَوْتِي لِي أَرْجَى مِنْ	بَعْدِ مَحْبُوبِي وَحَبْذَا الدَّوَا

نَمِ نَمِ لَا عَيْشَةَ لِي بَعْدَكَ وَلَا لَذَّةَ لِي بِالْبَقَاءِ بَعْدَ بَعْدِكَ فَالْمَوْتُ مَلْجَأِي

والحمام راحتي . ولكن تذكر بانك انت الذي قتلتي غدرًا وامتني ظلمًا وان
 ساحتك بقتلي وضعت لك حياقي فان روحي المظلومة ستزورك في كل حين
 وتظهر لك بثوب المتشكي المنظلم وتتاديك بذاك النداء المرهب المهيب : انت
 كنت السبب في قتلي فاطالبك امام الحق بحياقي ١٠٠٠ ثم رفعت يدها بالخنجر
 وكادت تضرب نفسها به حقيقة لولم يهجم عليها يوسف وهو ذاهب العقل
 طائر اللب وحاول امساك الخنجر من يدها فدفعته بعنف قائلة خلني اموت
 الان وانا اراك ولا اموت ضنا وسقما بعدك واذهب قتيلة صدك وبعدك .
 ثم جعلت تحاول ابعاد يوسف عنها واطلاق يدها بالخنجر لتضرب به نفسها
 ان القلم يقصر لعمر الحق عن وصف حالة هذا المسكين اسير الهوى والعوبة
 القدر . فانه كان يتمنى ان تزوره المنية في تلك الساعة المهولة ولا يقف هذا
 الموقف الحرج ويكون غيراً بين ان يخون سيده ويفر بامواله كالمختلس السارق او
 ان يسمح بموت مالكة قلبه وسالبة لبل حياته وراحته ومناه وجنته فيفي بعده
 ويكون كالقاتل السافك ثم يموت بعدها اذ لا حياة له بعد موت قلبه . ولكن لا وقت
 هناك للتردد ولا فرصة للتأمل ولا بد من الاختيار العاجل فاختار اخف
 الضررين واهون الشرين وهو ان يعد سارقاً مختلساً ولا يكون قاتلاً سافكاً الدماء .
 فانطرح على اقدام رفيقا با كياً متجنباً قائلاً - لم يبق لي ارادة غير ارادتك ولا
 فعلاً مختاراً سوى ما تأمرين فمريني بالتي تريدان فاني عبدك المطيع
 واسيرك الخاضع . وقد صدق فيما قال فانه قال هذا ولم يعلم ما يقول
 واتى اعظم المنكرات وهو لا يعلم ما يفعل فطوباه من ضحية غدر ورحم
 الله ثراه من قاتل غرام . فقالت الماكرة عند ذلك وهي فرحة منتصرة - انا
 لك مذ الان نخذني وتمتع بمجالي واجتنر زهرة صباي فالفرصة مناسبة

الفصل الخامس

على الباغي تدور الدوائر

خرج علي بن صالح المغربي من تونس وترك الاميرة فاتنة اسيرة هواه لان قلبها قد مال اليه لاول نظرة وتمنت لو امكنها في الحال ان ترمي بنفسها اليه وتقول له . خذني فاني لك فلم يبق لي صبر عن جمالك وغنى عن حميد خصالك ولكنها كانت مقيدة بارادة ابيها فلا يليق بها ان تمث بيمينها التي اقسمتها امامه فتهينه في العهد وتصبح هدفاً لغضب المولى . ولكنها تمثت لو اختار علي ذلك الاتاء الذي فيه صورتها فترضي بذلك والدها وتفوز به بماها ووطدت النفس على تسهيل العلامات وتكثير الاشارات له لئلا يخطئ سهمه المرمى فتكون الخسارة على الاثنين . ومكثت تقرب رجوعه اليها فلم يرجع وقد جهلت بانه سافر الى بلده صوصه للحصول على المال . ولو علمت لمنعه عن ذلك لا محالة وتلافت ما كان عتيداً ان يحصل من المصائب والاهوال ولكن قدر الله ذلك ليقضي امراً كان مفعولاً . فسبحانه مدبر الكون بمحكمته القدسية مسخر الكل لتنفيذ ارادته الالهية . ولما طال على فاتنة المطال تعجبت من عدم رجوع علي اليها لانها اظهرت له كل انس وبشاشة وتركت له محلاً للامل هذا فضلاً عن انه وعد بالعودة القريبة ولعله العود الاحمد . ولكنها كانت تشعر بسرور في قلبها وانتراح في صدرها اامت منها الحصول على مناها لانها كانت ممن يعتقد بدلائل القلب وامارات النفس ولهذا مكثت تنتظر رجوعه العاجل والاّ اجل

هذا ولم تنقطع عنها الطلاب ولكنهم ندرؤا عن ذي قبل لـحبوط
مسمى الجميع ولم يكن يقصدها الا امير لـحبها مفرم بهواها حتى جاءها
يوماً امير من الجزائر من ذوي البسالة والاقدام المشتهرين بالشهامة وحميد
الخصال ولكنه كان اسمر اللون تلوح على وجهه اثار الشاعة والرجولية
لا اثار الجمال واللطافة فاعرضت عنه باديء بدء اولاً لـقبح منظره ثم لان
قلبها مقيد غير مطلق . ولكنه كان قد سمع بامر الاواني والصورة فابى
الرجوع الا بعد اختيار الانية وجعل يستعطف خاطرها ويرجوها الالتفات
والرفق فا اضطرت مقهرة لمساواته بمن سواه وقبل ان تدخل به محل
الاختبار حاولت منعه بقولها

انى سادخلك الان الى محل الانتخاب ولكن قبل الدخول اليه
يجب بان نقسم لي اليمين المقلظة بالا تعود تفكر بعد بمصادرة النساء
والتزوج بغيري اذا ما خابت امالك وحبطت مساعيك لدي والا فارجع من
حيث اتيت ولا تحدث النفس بالحصول على

فقال لها بغير تردد - اقسم لك بهذا البتار وشرف ابائي وقومي
الشجعان الاخيار بانني لا اعود الى الفكر بالنساء وانذر بعد اليوم الزهد
والبكارة فلا يـحركنى جمال امرأة ولا يـهزنى دلال غانية ان حرمت
التمتع بجمالك ياربة الجمال الباهر وذات الدلال الزاهر فدخلت الاميرة امامه
الى قاعة الانتخاب وهي توجف خوفاً من نجاح مسعاه ولما وصلا اليها
اوقفته تجاه الاواني وقالت له اقرأ ما عليها وتانى في الاختيار فانت
الان بين امرين اما الحصول على او تحرم النساء عليك . فنظر الامير الى
الاواني فقرأ على الذهب هذا اليت

ان الذي يختارني يحظى بما يبغي الكثير من اذنام نواه
ثم قرأ على الفضة

اذا اختارني طامع بالنوال فيعطى على قدر ما يستحق
ثم قرأ على الرصاص

ومن يختارني يقضى عليه يذل النفس والال النفس

فنامل طويلا في هذه الايات وفكر مليا في معانيها وهو متحير خائف فقال
في نفسه ان اخترت اية الرصاص خاطرت بنفسي وبكل مالي وذلك في
سبيل اناء من الرصاص الاسود الوجه . ومن جهة اخرى فلا يحتمل بان هذه
السيدة العديمة المثال تشرى بالرصاص فعلي اذا باللجين الواضح فلعلي اجد
ياض حظي بياضه فقد نقش عليه باب متعجه ينال ما يستحقه .
ومن يستحق الاميرة اكثر مني وانا من بيت ائيل المجد رفيع العاد تخشى
الاسود باسمي وتهاب الملوك قوة مراسي . . . ولكن كيف اختار الفضة واترك
الذهب فانه منقوش عليه من اختارني نال ما تمناه كثيرون . فهي التي
وهي غاية الارب وفوق ما استحق فلا شك ان الذهب محل لصورتها فهي
سيدة النساء وهذا سيد المعادن فلا طمع بالذهب واعرض عن الفضة
ولا شريتها باغلى الاثمان . ثم التفت الى الاميرة وقال لها اعطني المفتاح
يا مولاتي فقد اخترت الذهب لانه لون شرك الفاتن فتبسمت فاته
فرحا وهو يظن بانه اصاب المرمى وناولته المفتاح . ولما ازال به العجاب عن
داخل الآنية راي فيها ورقة بدل الصورة فامتنع لونه واضطربت حواسه
وكاد يغيب عن الصواب لولا حيائه من الاميرة فتمالك نفسه وتشدد
وتناول الورقة بايد مرتعشة وقلب مرتجف فقرأ فيها هذه الايات
يفتر كل امرؤ نيا له ذهبا ما كل لامة من معدن ذهبا

يا طلما باعت الافوام اتقسم حبا بوصلي ليعوروا الجاه والنشبا
 راوا الى وجهي الوضاح فانبهروا وفاتهم ان تحت الوجه بش نبا
 وان طلي نواويس مزخرفة نسانة ورفاة تجلب العطببا
 فلوحوت الذكا والعقل فيك كما تحوى الجسارة وبالاندالم والادبا
 لماضلت وفي ذا الحسك عن غلط اخطات واخترت حمل الم والنصبا
 قدخاب مسعاك فاذهب آيسا قنطا وارجع بخفي حنين واقصر الطلبا

فكاد فؤاده يتمزق من شدة الفيظ ورشده يغيب من كثرة الاسف
 ولكن علم ان لا مرد لهذا الحكم ولا سبيل لاعادة الانتخاب فودع الاميرة
 وهو منكسر القواد وزكى قسمه الاول باخرانه لا يفكر بعد هذا قط
 بالنساء وهكذا قضى على هذا الباسل بان يموت بحبه ولا ينال من
 القرام بغيته . وبعد ايام قصدها اخر خلفته اليمن ورجع كالامير بمجبة
 المسعى لانه اختار القضية وابى ان يخاطر بنفسه وما لديه لو وقع اختياره
 على الرصاص وحصل هذا من كثيرين غيرها فرجعوا بخفي حنين وهي
 تنتظر معي . صاحبنا علي . والغريب بانها كانت كلما تواتت الايام على غيابه
 ازدادت يقيناً برجوعه واملا بالحصول عليه فسبعان المناجي الحكيم
 الرووف الحليم . واخيرا ما زال املاها حتى تحقق . فان علياً مذهب حصل على
 المبلغ بضمانة صاحبه لم يمكث ببلدة صوصه الا بضعة ايام لقضاء ما يلزمه
 من الحاجات ثم سافر بعدها الى تونس فوصل اليها وهو يظير فرحاً ويهتر
 طرباً وقصد على الفور قصر الاميرة فائنة وهناك خفق فؤاده وحسب للفشل
 الف حساب واكنه لم يلبث ان اطمان باله اذ ظهر له نور ابتسامها وعين رضاها
 فرجبت به وانزلته محل السعة وقامت باكرامه كل القيام وبعد ان مكث لديها
 ساعة قال لما انني قد اتيتك الآن خاطباً ولقريد جمالك طالباً نعم انني لست

اهلاك يا من تفردت بالجمال ولا استحقك يا من هي وجدة في شرف
الاصل وحسن الخصال ولكني ساضحى النفس حباً برضاك وتستسهل
الصعب في سبيل مناك فلملي استحق هذا الجمال با ماتي وهذه الذات
باخلاصي فارجوك ان تقابلي طلبي بالرضى وتحليه بحمل القبول

- جئت على الرجب والسعة ايها السيد المهاب فاني ارضى بك
زوجاً واختارك لي بعللاً لان الشهامة تلوح عايك وملاح المروءة والروقة
تشير اليك ولكنك تعلم اني مقيدة بامر والدي فلا اعصي امره واخالف
وصيته وقد بلغك على ما اظن خبر الاواني الثلاث فني احدها صورتي ان
اخترتها فانا لك وملك يديك . وغاية مناي ان تصيب المرمى وتختار
الصحيح لافوز بك واحظى بلطفك فقد شمت نفسي الانتظار واخشى من
الوقوع في ايدي من لا ارضاه فاجابها اشرك مولاتي على ما ابديته من
الروقة والتمطف وحسن الالتفات واني اعد نفسي سميحاً ان حل طلبي لديك
محل الرضا والقبول . فيها بنا من الان الى محل الاختيار فلملي افوز بالمتى
بالهام الحكيم الستار . وحالما وقع نظره على البيت المنقوش على انية الرصاص
قال هذا هو حالي وما يليق بشائي . فاني جئت مخاطرأ بنفسي وكل ما
لدي فان لم انجح في هذه الكرة لم يبق لي في الحياة مطمع وصار الموت عندي
اعز الاشياء . فابتسم عند ذلك وقال . قد اخترت انية الرصاص يا سيدتي
بعد الاتكال على الله فلملي فزت بالمتى ونلت المراد . فانطرحت الاميرة عند
ذاك على عنقه وجعلت تقبله وتقول له انت زوجي من الان فقد اخترت
الصحيحة . والحمد لله على وقوعي في ايدي من احب واختار فعانقها هو
ايضاً وبلل عنقها بدموع الفرح وهنأ نفسيهما يبلوغ الارب . وبعد مضي

يومين اولت الاميرة فائنة الولايم ودعت الاكابر والاعيان فزنها اهلبا الى على
ابن صالح باحتفال رائع وابتهاج شائق . و الناس بين حاسد له على
النعمة التي نالها ومهين بها

وكان الفضل في كل هذه المدة مطمئن القلب مرتاح البال لا يحسب للمصائب حساباً
وهو يترقب وفود وكيله يوسف بالاموال والتحف فيفي اليهودي ماله بينما يظهر
من صاحبه خبراً . كل هذا واليهودي يهزأ به ويترقب بفروغ صبر انقضاء
الاجل . ولما قارب الانقضاء تعجب الفضل من تاخير وكيله وحدثه نفسه
بوقوع مصاب عظيم وخاف من انقضاء الامر واجراء الحكم عليه . وقد
علم الناس بامر الشروط الغريبة وعلموا ان في الامر مراً غريباً وقصداً منوياً .
وخاف بعض الاصدقاء على الفضل من مكر اليهودي الماعون فذهبوا اليه
وسموا لديه بتحويل الشروط وطلبوا منه الرفق فقال لهم - عبياً تعبون
نفسكم في تغيير مقاصدي فاذهبوا الى صديقتكم وانذروه بتنفيذ الشرط
المتفق عليه فلا مناص من تنفيذه . فقالوا له وما فائدتك يا اسحق من قطع
سلم الرجل . فقدمم اليهودي وتمم واخذته هزة الانتقام فقال - كم من مرة
اسلف المال بغير الربى وعارضني في اشغالي حتى الحق بي التاخير والخسران وليس
هذا فقط فانه طالما اهانتني واحتقرني وطعن في امتي وكره الناس بي فاحتملت كل
ذلك بصبر وذلة . اما الآن فقد حان وقت الانتقام وان لم امزق لحمه باسناني
فساطعه لسماك البحار . يا قوم أليس اليهودي بشر مثلكم ومن صنع باريكم
وله اعضاء كاعضائكم واحساس كاحساسكم ومشاعر كمشاعركم فان كلمتموه
تلكم وان اهتمموا تألم وان اسأتموه تأووه وان احزنتموه تحسروا وان
اغضبتموه غضب وان باسظتموه بسم . نعم هو مثلكم الا في معتقدكم

وفي الانتقام منكم فهو يهودي لا يعرف الرحمة وحقوق غرامه الانتقام .
فاعلموا ذلك وانقلوا كلامي هذا بالحرف اليه وخلوه يستعد لشرب صاب الحمام
من يد من لم يخش باسه الى الآن . فذاع هذا الخطاب في المدينة وبلغ مسامع
الفضل بن يحيى فخاف على نفسه من الهلاك وكتب الى صاحبه علي في تونس
ينبزه بكلمة حصل ولكن الاجل انتفى قبل ان يحضر الجواب من علي
فرجع اليهودي امره الى قاضي المدينة ودخلت القضية في التحقيق .

اما ما كان من امر علي بن صالح فانه وصله كتاب صديقه الفضل فطار
قلبه اسفاً على حالته ولام نفسه على انشغاله بالغرام عن صديقه حتى قضى
الامر ولكنه يعذر من جهة ظنه ان المال متوفر لدى صديقه وجهله ما طرا
من الحوادث . فللمحال دخل على قرينته الاميرة وقص عليها القصة
فاعطته عشرة آلاف دينار وقالت له اذهب بنفسك الى صوصه لخلاص
صديقك الفضل فان كل هذا قد حصل من اجلك فسافر ممثلاً لامرها
وهو يمتنى لو كان له اجنحة يطير بها الى خلاص صديقه . اما الاميرة
فانها بعد ان خرج علي من لديها اسرعت الى الباي الذي هو خالها وطلبت
منه ان يتدبها للحكم في هذا الامر . فقبل الامير رجاها وقال لها ان امير
صوصه يحنار في الامر وقد بعث يطلب رايي فيه فاليسي لبس القضية
وسافري الى صوصه نائبة عني وانا واثق بانك ستصرفين هذا الامر بدراية
وحكمة

وفي اليوم المعين لسماع المحاكمة تقاطر الناس افواجاً وفرادي لسماع الدعوى
حتى غصت بهم قاعة الحكم والدار ولما اكتمل الجمع برئاسة الامير والقاضي
طلب القاضي من اليهودي ان يشرح دعواه فشرحها وبين ظاهرها وطلب

الحكم بتنفيذ الشرط المتفق عليه من الجانبين فجعل الاميراذ ذاك يعظ
اليهودي ويحذره من عقاب الله اذا اصر على الانتقام فلم يحوله الارشاد
والنهي عن عناده وقال لا معنى عندي للرحمة ولا مبال للعفو فعايكم ان
تصروا الحق وتحكموا بتنفيذ الشروط والا قلت على العدل والحق السلام .
فقال له القاضي كيف تنتظر من ربك رحمة ولم ترحم غيرك فقال
لا ابتغي من ربي رحمة ولا اروم من القانون رفقاً وكيف ابني الشفقة
وليس في شرطنا رحمة او اشفافاً فاحكموا بالعدل يا خدمة القانون
الصام واعطوا الحق لذويه والا فدعوني اقول ان الحق والعدل قد ضاعا
من العالم . فاجابه القاضي برزانة - ان صفة الرحمة يا اسمح لا حد لها
ولا نهاية فهي كالغيث ينزل على الراحم والمرحوم فيكون لهما بركة ونعمة .
وان شئت فقل انها الزم للقلب من القوت للجسد والا فمن فقدوها عدّ
كالوحوش الكاسرة او المذئاب المفترسة . اما مقدارها فهو بقدر عظم مقام
الراحم وهي ضرورة للمقدر واكثر ضرورة للملك من صولجانه . لانها دليل
الحلم والعفو والاحسان وذاك عنوان العنف والقوة فعليك بالرحمة يا اسمح
ففي خير دليل وارفق بهذا الرجل الكامل الصفات ولا تجعله يلقي الشر
في هذه الدنيا جزاء على ما تعود من الخير والاحسان فتضاد بذلك
الارادة الالهية والطبيعة الانسانية وهذا فضلاً عن اني اتعهد لك برد
مالك وفوقه الف دينار وينتهي الامر بسلام . فقال اسمح - كنت اظنك
منصفاً يا حضرة القاضي واعذك فيلسوفاً عندما سمعت بادئ بدء الفاظك
الدرية وافكارك السامية ولكنك قد اتيت في الاخر بما خالف ظني . فما
فائدتي من الرحمة انا وهل تجوز اذا كان بها الظلم والاخلال في القانون

فليست الرحمة من العدل . اما الاربعة الاف دينار فلا ارضاها واعلم بانك
 اتيت للحكم بالحق لا للصلح والمساواة فان فعل اذاً الواجب عليك ولا تدخل فيما
 لا يعينك . فصاح على بن صالح وقبه يتمزق من الحزن والغيظ - ارحم ايها اليهودي
 وترفق بجالي فان عفوت عن هذا الرجل صرت انا مع جميع اصدقاء الفضل
 الحاضرين لك عبيدا واطلب مقابل عفوك عنه ما شئت مني فلاجل
 وقع في يدك نخذ مني اذاً عشرة الاف دينار بدل اثلاثة او عشرين
 او ثلاثين فاجابه العيين بتآن وهو باسم مسرور - لا اطلب غير رطل
 لحم من اقرب نقطة من قلب الفضل بن يحيى . فقال له آخر ارض
 بثلاثين الف دينار فهي خير لك من قطعة من اللحم لا قيمة لها فاجابه .
 ان رطل اللحم في شرعي لا يقابله ثمن ولا نقدر له قيمة وقال اخر . ارحمه
 يا يهودي واشفق على اصحابه فاجابه انا في موقف انتقام لاني موقف رحمة
 فضايق صدر الفضل عند ذلك وفرغ صبره وشمت نفسه الحياة فقال
 للامير بانه هو ايضا يطلب الحكم بتنفيذ الشرط وان خصمه لم يطلب الا
 الحق . فقال له القاضي . قدم له صدرك اذاً . ففعل فاخذت اليهودي
 عند ذلك هزة لا انتقام فقد حبت عيناه الشرر ونفث صدره سم الحقد
 والضغينة فاستل سكيناً اعدّها لهذا القصد وتقدم نحو فريسته وهو يرتعش
 من الفرح . فطار فواد على بن صالح لفعله وهجم كالاسد على اليهودي
 فاخطف السكين من يده وهو يتنفّض من الغضب والحزن وصاح بعلي
 صوته - يا ويلكم ايها الحكماء من غضب الله وعقاب الآخرة هل
 اصابكم جنون حتى تسلموا ناصر الانسانية وعزيز الوطن الى هذا اليهودي
 القاتل الدافك او هل قدّت قلوبكم من الصخر او جردت عن الحق

والانصاف حتى تتركوا الدم الزكي البري، يهرق بأيدي الضعيفة والعدوان
المدنسة فتباً لهذا القانون . . . فزجره القاضي « قرينته الاميرة » على فعله
وقال له لا تتعرض لئلا يعينك ودع الحكم لاربابه . ثم التفت نحو اسمحق
وقال . هل اتيت بميزان لتزن اللحم وجراح يمنع الدم من التزيف فقد عزمنا
على انصافك واعطائك حقك فلا تخرج عن القانون . فقال قد اتيت بالميزان
ولكن لم يخطر ببال الجراح اذ لا يعني ان مات غريمي او عاش . فقال
القاضي حيث انه لا يمكننا الخروج عن القانون ويجب علينا ان نصفك
ونحكم بتنفيذ شرطك كما هو فقد اذننا لك بقطع رطل اللحم من جسم
غريمك كما تطلب ولكن اياك ان تسقط نقطة واحدة من دمه فليس
مذكوراً في الشروط ان تاخذ الدم ايضاً فحياتك اذا تكون فداء لنقطة واحدة
من دمه . واياك ايضاً ان يزيد المقطوع درهماً واحداً عن الرطل فالدرهم
فداؤه حياتك فنقدم الآن ونفذ الحكم بمحضرتنا . فصاحت الجموع اذ
ذاك وعلت منهم اصوات الفرح وتصفيق الاستحسان ودار الاصدقاء
بالفضل يهنئونه وهم متعجبون من حكمة القاضي التي اشبهت حكمة سليمان .
اما اليهودي فكان صاعقة قد انتفضت عليه فاحمدت منه الانفاس او ان
الارض انقلبت به فرمته في قعر البعيج . فعلته صفرة الاموات وجرى دمه
بارداً في العروق واشعر بسوء منقلبه « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون » واحس بعاقبة خيانه وقال . ان كان الامر كذلك وهذا
مستحيل فقد رضيت بالمال الذي عرض عليّ وهو ثلاثين الف دينار .
فصاح عليّ وهو فرح بسلامة صديقه . نعم اعطيه المبلغ . فقال القاضي
انما ترضيان بهذا الاتفاق ولكن العدل والقانون يقضيان بان ياخذ

اليهودي الرطل الأهم مع المحافظة على الشرطين اللذين اشترطتهما . فعلت
ضجة الاستحسان ثانية في قاعة الحكم وفرحت الجموع لرجوع اليهودي
بخفي حنين . وهذا يلطم ويكي ويصيح ويندب ماله وابنته الى ان قال
القاضي . انه بناء على المادة ١١٥ من قانون العقوبات التونسي التي
نصها " اذا حاول يهودي قتل خارج عن دينه يقتل ثم يعطى نصف
امواله للحكومة والنصف الآخر لغريمه " قد حكمت المحكمة بنص هذه
المادة على اسحق اليهودي الذي ثبتت عليه محاولة قتل الفضل بن يحيى
التاجر المسلم حتى امام المحكمة . فصاح اليهودي مولولا وضج بالبكا والعيول
وطلب من المحكمة ان ترفق بماله فقال له الامير لما كان الغفو من
شيمتنا والرحمة من لوازم شريعتنا فقد عفوت عن حياتك ولكن لا بد
من ضبط اموالك لانك جعلتها حائلاً تصيد بها الناس وترمي بها عباد
الله . فقال اسحق لا بل اقتلوني ولا تبقوني بعد مالي ساعة واحدة فلا
حياة لي بغير المال ولكن لم تصنع المحكمة لكلامه واصدرت الاوامر
بتنفيذ الحكم عليه

فاخذ الفضل بن يحيى نصف مال اليهودي فاستعاض بعض
خسارته وسافر مع صديقه الى تونس فسبغتهم اليها الاميرة وهناك علما
بانها هي التي حكمت في القضية وتصرفت فيها بتلك المحكمة الباهرة .
اما اليهودي فانه لم يمض عليه زمن الا ومات حسرة وحرناً على فقد ماله
وابنته ورجوعه بالحياة والخسران فاستراح الفضل وصاحبه من شره وفرحا
بموته ولم يعد هناك ما يكدر صفاء راحتها او يشوب رغد عيشهما الا انقطاع
اخبار يوسف عن الفضل لانه لم يكن يخاطر بباله بانه يقدم على خيانتة

وينكث عهده فرجح وقوعه في مصاب . ولما كان احد الايام جاءه الخبر
ان احدى الجرائد الانكليزية قد ادرجت مقالة وهذا فخواها " دخل
من مدة شهرين الى عاصمة البلاد الانكليزية شاب ومعه فتاة جميلة
الصورة فنزلا في احدى الفنادق العالية فيها . فاكثرا في المدة الاولى الدخول
والخروج ونما يصرفان الاموال الطائلة ويزوران كافة محلات الزهو والملاهي حتي
استلقت حالتهما انظار رجال البوليس اليهما فراقبوها وراوا ان الرجل كان
في كل هذه الملاهي والمسرات كاسف البال باذي الحزن والكآبة مع ان رفيقته
مبتهجة متلهة . ثم انقطعا بعدمدة عن هذه السيرة ونذر خروجهما من النزل الى
ان حدث في الشهر الفائت ان اصحاب النزل دخلوا الى غرفة هذين الضيفين
العجيبين فراوا الشاب ملقياً على الارض مضرباً بدماء وان الفتاة قد
فرت . فلم يعد هناك شك بانها الفاعلة لهذه الجريمة فطاردها رجال
البوليس حتي القوا عليها اقبض وهي على حدود انكلترا تبغي السفر الى
فرنسا . فحوكت وما زال بها القاضي حتي اعترفت بانها الفاعلة لهذه
الجريمة وانها تدعى رفقا . اما الرجل فيدعى يوسف وهو وكيل لرجل من اعظم
تجار تلك المدينة يدعى الفضل بن يحيى وهم جميعاً من بلدة صوصه من اعمال
تونس . وقد عشقها الشاب وهرب بها الى هنا بأموال سيده فطاوعته هي رغبة
في امواله حتي تسنت لها الفرصة ففتكت به وفرت بالاموال . فحكمت
عليها المحكمة العليا بالاشغال الشاقة المؤبدة جزاء ما جنته يداها في عاصمة
البلاد الانكليزية وقد وضعت الاموال في صندوق الامانات حتي يطلبها
التاجر المذكور .

فتكدر الفضل لهذا الخبر وحزن لموت وكيله لانه علم اذ ذاك بان تلك

الفتاة كانت ابنة اسحق اليهودي فهي غابة عن البلاد ولم يسمع لها خبر
 من عدة اشهر . فادرك انها فعات ذلك باتفاق مع ابيها للانتقام من
 الفضل فوقع الانتقام على يوسف . فعزى عائلة وكيله على فقده وغمرها
 بالانعام . ثم طلب امواله من الحكومة الانكليزية وارسل سي في طلب
 المراكب من مياه اسبانيا لانها كانت لم تنزل تنتظر رجوع يوسف .
 وقد عاد اليه عزه اذ عادت اليه امواله وعاش عزيزا باصدقائه محاطاً
 باحبائه الى ان اتاهم هادم اللذات ووفرق الجماعات . فسبحان الحي الذي
 لا يموت

—•••••—

اعتذار

لقد وقع في طبع هذا الكتاب بعض التحريف الناتج عن السهو
 واغلاط الطبع كما يحصل في طبع كافة الكتب العلمية والادبية وقد
 اكتفيت عن تعدادها بالتلميح اليها لانها طفيفة لا تخفى على اللبيب العارف
 فيسبل عليها ذيل المذرة وله الفضل



صدر من هذه السلسلة

١- الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر

وبين يديك العدد الثاني

((في الزوايا خبايا او كشف أسرار اليهود))